بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا
الشرعيـــة
فرع العقيـــــــدة



" الصفات الخبرية بين الاثبات والتأويـــــــل "

رسالة مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمـــة

لنيل درجة الماجستير في العقيـــــدة

اعـداد

عثمان عبد الله آدم " الأثيوبـــــى "

واشـراف

فضيلة الشيخ / كمال محمد هاشم نجـــــا

الأستاذ بقسم الدراسات العليا بالكليـــــة

في عـــام ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م

" شكر وتقدير "

اعترافا بالفضل والاحسان أتقدم بخالص الشكر وبالغ التقدير لفضيلة أستاذنا الجليل الشيخ كمال محمد هاشم نجا / المشرف علي الرسالة ، الذى قدم لي نصيحته الصادقة ، وتوجيهاته المفيدة ، فقد وجدت فيه سعة فى العلم واخلاصا بالغا فى التوجيه والنصيحة ، الأمر الذى ساعدنى على مواصلة السير في البحث، وسهل علي المتاعب التى واجهتنى أثناء كتابة هذه الرسالة التى يعد موضوعها من أصعب المواضيع .

كما أتقدم بجزيل شكرى وعظيم امتنانى الى جميع المسؤولين فى جامعة الملك عبد العزيز وعميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة وجميع العاملين فى قسم الدراسات العليا الشرعية على ماقدموه لنا من عون وتسهيلات خلال دراستنا فى القسم وفى أثناء اعداد الرسالة ، أجزل الله مثوبتهم ووفقهم الله على الدوام .

كما لا يفوتنى أن أسأل من الله الرحمة والغفران لفضيلة شيخنا العزيز المرحوم الدكتور / محمد خليل هراس الذى استفدنا منه كثيرا خلال الدراسة المنهجية والمشرف على الرسالة فى بادئ الأمر ــ فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته انه ولي ذلك والقادر عليه .

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحات
ثاني أسباب التأويل	٨٢
الألفاظ العامة المشتركة لاتؤدى الى التشبيه	٨٢ — ٨٩
الباب الثانى	٩٠
معانى التأويل وبيان المراد بالمتشابه والتأويل فى سورة آل عمران	٩٢ — ١٦٩
بيان معنى التأويل فى اللغة	٩٢ — ٩٧
التأويل فى الكتاب العزيز	٩٨ — ١٠٩
التأويل فى السنة	١١٠ — ١١١
التأويل عند السلف	١١١ — ١١٤
التأويل لدى المتأخرين	١١٥ — ١١٦
موقف السلف من تأويل الخلف	١١٧ —
رفض السلف لتأويل الخلف	١١٧ — ١١٨
التأويل الصحيح والتأويل الفاسد	١١٨ — ١٢١
التأويل عند المتأخرين لا وجود له فى الكتاب والسنة ولم يكن معروفا لدى السلف ولا فى المراجع اللغة المتقدمة	١٢٢
نشأ التأويل بالمعنى الاصطلاحى تحت ظروف عقدية خاصة	١١٣ — ١١٤
وجود التأويل بالمعنى الاصطلاحى فى مراجع اللغة المتأخرة	
لا يكفى لثبوت التأويل لهذا المعنى لغة	١٢٤ — ١٢٥
التأويل الاصطلاحى كان سببا لرد كثير من نصوص الكتاب والسنة	١٢٦
جميع البدع والفتن التى نشأت فى الاسلام كان سببها ظهور التأويل بالمعنى الاصطلاحى	١٢٦
الواجب ترك التأويلات المبتدعة والرجوع الى مافى الكتاب والسنة	١٢٧
الفصل الثانى	١٢٨
المتشابه والمحكم والتأويل فى آية آل عمران	١٢٨
المحكم والمتشابة لغة	١٢٩ — ١٣١
المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم	١٣٢
القرآن كله محكم	١٣٧ — ١٣٨

الموضوعـــات	الصفحـــات

الباب الثالـــث

الموضوعـــات	الصفحـــات

الموضوعـــات	الصفحـــات

الموضوعات	الصفحات
المتأخرون من الأشاعرة	
موقف جمهور الاشاعرة من الصفات الخبرية	٢٧٢
أبو المعالى الجوينى أول من اشتهر عنه نفى الصفات	٢٧٥
مخالفة الاشاعرة للأشعرى وقدماء أصحابه فى اثبات الصفات	٢٧٦
يرى بعض الاشاعرة عدم مخالفة مذهب الاشعرى للاشاعرة	٢٧٧ — ٢٨٠
مناقشتنا لهذا الرأى	٢٨٠ — ٢٨٤
الصحيح أن كتاب " الابانة " هو آخر مؤلفات الاشعرى	٢٨٢ — ٢٨٤
الفصل الثالث	٢٨٥
بيان شبهات النفاة للصفات الخبرية والرد عليها	٢٨٦ — ٣١١
الالفاظ العامة المجملة	٢٨٦ — ٢٨٩
منهج المتكلمين فى التنزيه	٢٨٦ — ٢٨٧
منشأ تعطيل الصفات كان عن طريقة حدوث الاجسام	٢٨٨ — ٢٨٩
الموازنة بين منهج القرآن ومنهج المتكلمين اثباتا ونفيا	٢٩٠
طريقة القرآن التفصيل فى الاثبات والاجمال فى النفى وطريقة المتكلمين على العكس من ذلك	٢٩٠ — ٢٩٢
الجهمية أول طائفة أحدثت المنهج السلبى فى التنزيه	٢٩٢
مذاهب الناس فى اطلاق لفظ الجسم على الله وعدم اطلاقه	٢٩٢ — ٢٩٧
أئمة السنة لا يطلقون لفظ " الجسم " لا نفيا ولا اثباتا	٢٩٤ — ٢٩٧
بيان ما فى لفظ الجسم من الاجمال	٢٩٨ — ٣٠٣
الاجمال فى لفظ التركيب	٣٠٤ — ٣٠٥
الإجمال فى لفظ " الجهة "	٣٠٦ — ٣٠٧
بيان الاجمال فى لفظ " التحيز "	٣٠٨ — ٣٠٩
بيان الاجمال فى الالفاظ الآتية :	
الحركة والانتقال والاعراض	٣١٠ — ٣١١
شبهات النفاة للصفات الاختيارية	٣١٢ — ٣١٥
الرد على شبهاتهم	٣١٣ — ٣١٥
مذاهب الناس فى مسألة حلول الحوادث بذاته تعالى	٣١٦
بيان ما كان من الاجمال فى قولهم : ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث	٣١٨ — ٣١٩
الرد على المانعين بتسلسل الحوادث	٣٢٠

الموضوعـــات	الصفحـــات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الرسالـــــة

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يوافى نعمه ، ويكافئ مزيده ، سبحانــــــه لا أحصى ثناء عليه ، كما هو أثنى على نفسه ، واصلى ، وأسلم على رســـول اللـه الرحمة المهداة ، وعلى آلـه وصحبه ومن تبع هداه الى يوم الدين.

(أما بعد) :

فبعد نجاحى فى امتحان السنة المنهجيـة بقسم الدراسات العليا الشرعيـــة بكليـة الشريعة والدراسات الاسـلامية احدى كليات جامعة الملك عبدالعزيــــز كان لزاما ، أن اكتب رسالـة لنيل درجـة الماجستير ، ولما كنت طالبا ، من طـلاب فرع العقيدة ، أخذت أفكـر فى موضوع ، من مواضيع العقيدة تمس الحاجة اليـــه وبعد تفكير طويل ، رأيت اختيار " الصفـــات الخبريـة " فجعلت موضـــوع رسالتى :

(الصفـات الخبريـة بين الاثبـات والتأويـل)

وقد دفعنى لاختيار هذا الموضوع ، أسباب كثيرة ،

أولا :

أنه لايزال الخلاف بين المسلمين فى اثبات الصفات الخبريـة ، وتأويلهـا ، أو تفويض ، ما جاء فيها من نصوص الى الله تعالى ظنا أن ظاهرها يوقـــع فى التشبيه.

ثانيا :

هذا الموضوع ، يتصل اتصالا وثيقا بالمحكم ، والمتشابه ، فرأيت أن أوضح ما أريد بهما احقاقا للحق ، وحتى لاتؤول النصوص أو يدعى ان الاسلم تفويض العلم بمعانيها الى الله تعالى ، بدعوى التشابه الذى لادليل عليه.

ثالثا :

التكلم فى هذا الموضوع سيدفعنى الى أن أتناول بالبحث بمسائل لاغنى عنها ، كمسألة قيام الصفات ، والأفعال بالله تعالى ، وبيان المذاهب فى ذلك وأدلة كل فريق ، والموازنة بين هذه الأدلة ، حتى لايضيع الحق وسط أقوال كثيرة ، وشبه تثار ، وكمسألة ،معارضة العقل للنقل ، والأخذ بخبر الآحاد فى الاعتقاد ، وبيان أن خبر الواحد ، يفيد العلم واليقين •

رابعا :

فى هذا البحث توضيح لتلك الحقيقة ، وهى نصح الرسول ،وهدايته، وكمال دينه ،وأن الناس من هذه الهداية ، وكمال ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه عليهم أن يرجعوا فى معتقدهم الى الكتاب والسنة فيثبتوا لله جميع ما أثبته لنفسه ،بدون تشبيه ولاتعطيل ، وينفوا عنه ما نفاه عن نفسه جل وعلا ، •

خامسا :

فى هذا البحث بيان للمنهج الصحيح فى اثبات وجود الله تعالى ، وبيان لما نشأ عن مسلك كثير من المتكلمين فى ذلك ، وهذا سيؤدى بنا الى التعرض للتسلسل ، والأدلة التى ساقوها على ابطاله ، وتمييز التسلسل الباطل من غيره •

بهذه الأسباب يتضح ان الموضوع على جانب كبير من الأهمية ،وأنه يستدعى دراسة واعية ، وتناولا سليما ، حتى يتضح الحق لمن يريدون الوقوف عليه ، لايصرفهم عنه تعصب مذهبى ، فالحق أحق أن يتبع • وبعد الموافقة على هذا الموضوع ، ربطت بين أجزاء البحث ، وعملت جهدى على أن يكون القول فيها واضحا ، لا يشوبه غموض ، ولالبس ، وأن أحرر محل النزاع قبل اقامة الأدلة ،ثم أوازن بين هذه الادلة ليظهر الحق بجلاء • وقد عولت فى بحثى هذا على المراجع التى يوثق بها حتى لايكون هناك شك فى نسبة الرأى لقائله ، وحتى يكون هناك الماء بما قيل فى هذا الموضوع•

وقد التزمت خطة أسير عليها فى بحثى ، فوضعت هذا الموضوع على مقدمة ، وتمهيد وأربعة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد ذكرت فيها أسباب اختيارى هذا الموضوع ، وبيان أهميته ، والخطة التى التزمتها فى بحثى لهذا الموضوع .

وأما التمهيد ، فقد ذكرت فيه نبذة تاريخية عن الصفات بين الاثبات ، والتعطل والمراحل الزمنية التى مر بها الكلام فى الصفات الالهية حتى الآن .

وأما الباب الأول : فهو يشتمل على فصلين :

الفصل الأول : فى تقسيم الصفات الالهية الى صفات نفسية ، وسلبية ، ومعان ، ومعنوية والى صفات فعلية ، وذاتية ، والى عقلية وخبرية ، وتعريف كل قسم من هذه الاقسام المذكورة .

وأما الفصل الثانى : فهو يشمل على مبحثين :

المبحث الأول : فى بيان مذهب القائلين بوجوب تقديم العقل على النقل ، وأن النصوص الشرعية لاتفيد العلم ، واليقين ، وفى الرد عليهم

وأما المبحث الثانى ، فقد شرحت فيه مذهب القائلين : ان الأسماء العامة المشتركة تؤدى الى التشبيه ، والتجسيم ، فلا يجوز اطلاقها على الله تعالى ، ثم عقبت ذلك بالرد عليهم .

وأما الباب الثانى : فهو يشتمل على فصلين أيضا .

الفصل الأول : فى معنى التأويل ، فى اللغة وفى الكتاب والسنة ، وعند السلف ، والمتأخرين وبيان أن المراد بالتأويل فى الكتاب والسنة وعند السلف ، لايختلف عن معناه اللغوى بخلاف ما أريد به عند المتأخرين .

والفصل الثانى : فى بيان المراد بالتأويل والمتشابه فى آية " آل عمران " ومعنى المحكم ، والمتشابه لغة والمراد بهما فى القرآن ، مع افراد سورة آل عمران بالبحث ، ومع بيان مذاهب العلماء فى الوقف على لفظ الجلالة ، وعلى والراسخون فى العلم .

وأما الباب الثالث ، فهو فى بيان مذهب المثبتين للصفات الخبرية.

ويشمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فى بيان مذهب المشبهة ، والمجسمة وذكر شبهاتهم ، والرد عليها .

وأما الفصل الثانى ،فهو فى بيان مذهب أهل السنة ، وبيان رأى القائلين : أن ظواهر النصوص تؤدى الى التشبيه والرد عليهم ، كما يتناول الرد على من يستدل بالآية الكريمة " ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير " على نفى الصفات.

وأما الباب الرابع : فهو فى بيان موقف النفاة من الصفات الخبرية ، ويحتوى على ثلاثة فصول :

الفصل الأول: فى اقسام الصفات الخبرية ، وبيان مذاهب النفاة فيها .

والفصل الثانى : فى الموازنة بين مذهب الأشعرى والأشاعرة .

ويشمل على مبحثين :

الأول: فى بيان مذهب الامام ابى الحسن الأشعرى.

والثانى : فى بيان مذهب الاشاعرة فى الصفات الخبرية .

والفصل الثالث : فى بيان شبه المؤولين مع الرد عليها .

وأما الخاتمة : فتشتمل على أهم نتائج هذا البحث .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيــــد :

الكلام عن الصفات الالهيــة ، عبر عصورها الطويلة :

كثر الكلام فى الصفات الالهية عبر عصور طويله ، ومع ذلك يمكن تقسيم هذه العصور الى مرحلتين :ـ

أولا : مرحلــة الاثبات للصفات .

ثانيا : مرحلــة التعطيل ، والتأويل للصفات .

والهدف من هذا التقسيم الى مرحلــة الاثبات ،ومرحلــة التأويل ،أن نعــرف مقدما أى القولــين (الاثبات والتأويل) يوجــد فى الكتاب ، والسنة ولأيهما صلــة بزمن الوحــى ، والرسالــة ، والى أيهما ذهــب السلف من الصحابــة والتابعــين ، ولكى نعرف ما كان عليه الوضع ، والمجتمع بالنسبــة للصفات فى كل من المرحلتين ، اثباتــا ونفيا ،وتعطيلا .

ونخص كل واحــدة من هاتين المرحلتين بالكلام .

المرحلــة الأولــى :

تبدأ المرحلــة الأولى (الاثبات) من بدايــة نزول الوحى ، ومبعث الرســول الكريم عليه الصلاة والسلام الى أن ظهر رجــل يسمى (الجعد بن درهم) وتلميذه (جهــم ابن صفوان) الترمذى فى مطلع القرن الثانى الهجــرى ، فى آخــر دولــة بنى أميــة فقد نزل القرآن الكريم مشتملا على الصفــات الالهيــة ، واثباتها له تعالى ، وجــاءت السنة المطهــرة بتأييد طريقــة القرآن فى الاثبات .

وقد أجمــع السلف من الصحابــة ، والتابعين ، ومن بعدهم أئمة الحديث علــى التمسك بمنهــج القرآن ، والسنــة ، من الاثبات فقد قال الله فى كتابــه : (ليس كمثله شيئ وهو السميع البصــير)(١) .

---

(١) الشورى ، آيــة (١١)

فنزه نفسه عن جميع مالا يليق به ، وأثبت لنفسه السمع ، والبصر ، والسميع من قام به السمع ، والبصير من قام به البصر .

وقد فهم الصحابة ذلك ، فكانوا يثبتون لله ما أثبته لنفسه في كتابه العزيز ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، دون أن يشبهوا صفة من صفاته تعالى بصفة من صفات خلقه ، ولم يعرف عنهم القول بنفي الصفات ، ووصفه بالسلوب ، كما لم يعرف عنهم تأويلها ، كماسيأتي مزيد من الايضاح لهذا عند الكلام على مذهب السلف ان شاء الله تعالى .

ولا يعني تسميتنا هذه الطريقة ، " مرحلة الاثبات " أن الاثبات للصفات انتهى بعدها وتوقف .

ليس الأمر كذلك ، ولكن المقصود أن أصحاب هذه الفترة من الصحابة ، والتابعين ، لم يكن التأويل معروفا عندهم ، فلم يعرف عنهم سوى الاثبات ، والايمان ، والتسليم ، والقبول التام بكل ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله بدون دخول في نفي ، أو تأويل ، تحقيقا لمضمون الآية الكريمة وأمثالها :

" وماآتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) (1)

فقد عرفوا منذ أن سمعوا كلام الله ، وكلام رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، أن المقصود من نصوص الصفات ، اثبات الصفات له تعالى ، على ما يليق بجلال الله ، وعظمته ، ولم يفهم أحد منهم أنها تؤدي الى أن يكون الله حادثا ، كمن قامت به هذه الصفات من الحوادث ، وفهموا أن المعنى الظاهر من اللفظ اذا اثبت لله تعالى فهو مع نفي التشبيه ، والله ليس كمثله شيء ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض .

---

(1) سورة الحشر ، آية (٧) .

وعرفوا أن صفات الله كذاته تعالى ، كما أننا نثبت لله تعالى ذاتا لا تشبه ذوات المخلوقين ،كذلك يجب أن نثبت له تعالى صفات ليست هى كصفات المخلوقين ، اذ الصفة تابعة للموصوف ، فاذا كان الموصوف لا مثيل له فى ذاته فلا يماثله أحد فى الوجود ، فكذلك الصفات لا تشبه صفات المخلوقين بحال من الأحوال (١) .

فلما فهم الصحابه رضوان الله عليهم ، والتابعون هذا الفهم السليم لم يحتاجوا الى السؤال ولم يقع منهم جدال ،ولا نزاع فى مسألة الصفات ، لأنهم أعرف الناس بمراد الله ، ورسوله ، كما أنهم أعرف من غيرهم بمفاهيم اللغة العربية ، لكونهم من أهل اللغة ، يعرفون مدلول الألفاظ ، نصا ،ومفهوما ، كما يعرفون العام ، والخاص ، ونحو ذلك ولا يخفى عليهم أسرار اللغة العربية ، ومعانيها المقصودة منها .

لذا لم ينقل الينا أحد من العلماء ، أن احدا من الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معانى آيات الصفات ،والمقصود منها ، فلم يسأل أحد منهم ما معنى استواء الرب على عرشه عز وجل ، ؟ وما هو المقصود بنزول المولى سبحانه الى سماء الدنيا فى آخر كل ليلة ؟

وما معنى الآية التى تثبت له سبحانه ، صفة الوجه ، واليدين ، والعينين ، والمجيء ، والرؤية لانها ليست محل اشكال ، ونزاع فى يوم من الايام ، فى صدر الاسلام فقد فهموا أن الله لم يخاطبهم بألفاظ ، لا يفهمون معانيها ، فليسوا

---

(١) أنظر : رسالة المدينة فى تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله ضمن رسالة الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ، الطبعة السادسة تحقيق / محمدعبد الرزاق - مطبعة المدنى بالقاهرة ، ص ٤

كالذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، فحصل الاتفاق فى عهدهم ، على اثبات ما فى الكتاب ، والسنة من الصفات ، ولم ينقل الينا ، أنهم قسموا الصفات ، الى صفات فعلية ، وذاتية ، وان كانوا يعلمون أن بعضها لازمة له تعالى ، وبعضها أفعاله المتعلقة بمشيئته ، لأنهم لم يكن عندهم ما يدعوهم الى هذا التقسيم .

فهم يؤمنون بجميع الصفات على حد سواء ، دون تأويل ، ودون تشبيه ، وتمثيل فلم يثبتوا بعض الصفات لكونها ثابتة بالعقل ، ويجعلوا ما عدا ما رأوه ثابتا بالعقل مؤديا ، الى تشبيه حتى يسلكوا مسلك التأويل أو التفويض على ما فهمه المتكلمون .

واليك فيما يلى ، نبذة من النصوص المنقولة الينا ، من علماء الاسلام المحققين تصور لنا هذه المرحلة أعنى مرحلة الاثبات ، تصويرا يرينا أن التعطيل ، والتأويل انما حدثا بعد القرن الأول الهجرى ، من غير السلف ، والأئمة المشهود لهم بالعلم .

قال أبو العباس بن تيمية :

وأما اثبات الصفات له تعالى ، وأنه يرى فى الآخرة ، وأنه يتكلم بالقرآن ، وغيره وكلامه غير مخلوق ، فهذا مذهب الصحابة ، والتابعين لهم باحسان ، وأئمة المسلمين ، وأهل السنة ، والجماعة من جميع الطوائف .

والخلاف فى ذلك مشهور مع الجهمية ، والمعتزلة ، وكثير من الفلاسفة ، والباطنية .

وهؤلاء يقولون :

ان اثبات الصفات ، يوجب أن يكون جسما ، وليس بجسم ، فلا تثبت له الصفات .

قالوا لأن المعقول من الصفات أعراض قائمة بجسم ، لا تعقل صفته الا كذلك.(١)

قال المقريزى :

من أمعن النظر فى دواوين الحديث النبوى ، ووقف على الآثار السلفية ، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ، ولا سقيم عن أحد ، من الصحابة رضى الله عنهم ، على اختلاف طبقاتهم ، وكثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن معنى شيئ ، مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا معنى ذلك ، وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات ،أو صفة فعل ، وانما أثبتوا له تعالى ، صفات أزلية ، من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والاكرام ... وساقوا الكلام سوقا واحدا ، وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ،ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة ، من الوجه ، واليد ،ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل.

ولم يتعرض مع ذلك أحدهم ، الى شيئ من هذا ، ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحدهم ما يستدل به ، على وحدانية الله تعالى ، وعلى اثبات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - سوى كتاب الله تعالى ، ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية ، ولا المسائل الفلسفية.(٢) *

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ،ص ٥٨ تصحيح د. طه يوسف شاهين من مكتبة أنصار السنة المحمدية.

(٢) الصفات الالهية بين السلف ،والخلف ،نشر مكتبة السنة المحمدية ،ص ٧ ، ٨

* قال الشهرستانى : اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله صفات أزلية من العلم ، والقدرة ... الى أن قال : ولا يفرقون بين صفات الذات ، وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا ...) اهـ الملل والنحل ج١ ،ص ٩٢.

قال العلامة ابن قيم الجوزية :

وقد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة ، ايمانا ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الأسماء ، والصفات ، والأفعال ، بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنة ، كلمة واحدة ،من أولهم الى آخرهم لم يسوموها تأويلا ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ... ولم يقل أحد منهم :

يجب صرفها عن حقائقها ، وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول ، والتسليم ، وقابلوها بالايمان ،والتعظيم ، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا ، وأجروها على سنن واحد ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء ، والبدع حيث جعلوها عضين وأقروا ببعضها ، وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه .(١)

وقال الامام البخارى :

وقال سعيد بن عامر :

الجهمية أشد قولا من اليهود ، والنصارى ، قد اجتمعت اليهود والنصارى ، وأهل الأديان ، أن الله تبارك وتعالى على العرش ،وقالوا هم ، ليس على العرش شيء .(٢)

وقد حكى الامام الأوزاعى ، شهرة القول فى زمن التابعين ،بالايمان بأن الله تعالى فوق العرش ، وبصفاته السمعية .(٣)

---

(١) اعلام الموقعين جـ ١ ، ص ٤٩ ، تحقيق محى الدين عبد الحميد

(٢) خلق أفعال العباد ص ٨ مطبعة النهضة الحديثة ١٣٨٩هـ ـ ١٣٩٠هـ

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٥ ، ص ٣٩ ،الطبعة الأولى مطابع الرياض سنة ١٣٨١هـ.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

وانما قال الأوزاعي هذا ، بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ، ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك . وثبت عن الاوزاعي أيضا قوله :

كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول : ان الله تعالى ذكره ـ فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته .(١)

وقال الحافظ ابن عبد البر :

أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة (و) حملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، الا أنهم لم يكيفوا شيئا من ذلك ،وأما الجهمية والمعتزلة ،والخوارج ، فكلهم ، ينكرها ، ولا يحمل منها شيئا على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقربها مشبه ، وهم عند من أقربها نافون للمعبود .(٢)

وقد حكى الامام ابو الحسن الأشعري ، أن أهل السنة على الاقرار بالصفات ، الواردة في الكتاب ، والسنة يثبتون لله ، الاستواء ، واليد ، والعين ، والوجه ، والسمع والبصر ، وما الى ذلك من الصفات التي ذكرها في بيان مذهب أهل السنة في كتابه " مقالات الاسلاميين واختلاف المصليين " .(٣)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ، ص ٣٩

(٢) العلو للعلي الغفار ص ١٨٢ تقديم وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ .

(٣) أنظر مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ . طبع بمطبعة النهضة المصرية ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

المرحلة الثانية :

وهى المرحلة التى نشأ فيها تعطيل الذات الالهية عن الصفات ، وتأويل نصوص الكتاب ، والسنة الواردة فى اثبات الصفات له تعالى .

تبدأ هذه المرحلة من ظهور " جهم بن صفوان " الترمذى وشيخه " الجعد ابن درهم " ولا تزال مرحلة التأويل مستمرة عند كثير من الناس حتى الآن . والجهمية أول من عارض الكتاب والسنة بآرائهم ، وكان حدوثهم فى آخر عصر التابعين ، بعد موت عمر بن عبد العزيز ، فى أوائل المائة الثانية ، فى دولة بنى أمية .(١)

وقد اتفقت كلمة علماء الاسلام ، على أن " الجعد بن درهم " هو أول من عارض الكتاب والسنة بآرائه بالنسبة للصفات الالهية قائلا :

ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، والجعد لم يكتف بهذا ، بل ذهب الى القول : بخلق القرآن ، وهو ، وتلميذه جهم بن صفوان ، يهدفان من وراء ذلك ، الى نفى جميع الصفات ، وأنها لا تقوم به تعالى . ومرحلة التأويل هذه ، مشهورة ، لا تخفى على كثير من الناس ، لأن كثيرا من الحفاظ ، وعلماء التاريخ ، والأديان ، وغيرهم ، يحدثوننا ، أن (الجعد بن درهم) هو أول من أسس فكرة تعطيل الصفات ، وتأويل نصوصها ، وأيدها المعتزلة فى أيام الخليفة العباسى " عبد الله المأمون " الذى نشطت عقيدة المعتزلة فى عهده ، وعهد

---

(١) أنظر منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ، بالرياض ، المملكة العربية السعودية ، ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٤٨ تصحيح زكريا على يوسف ، مطبعة الامام ، ومقدمة كتاب : نقض تأسيس الجهمية ، لمحمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص ٨ ، ٩ الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ .

أخيه " المعتصم " وذلك فى أول المائة الثالثة .(١)

وقد عرف أتباع " جهم " عند السلف باسم " الجهمية " نسبة الى امامهم " جهم بن صفوان " .

وأما شيخه " الجعد بن درهم " وان سبقه الى فكرة التعطيل للصفات ، فأن (جهما) هو الذى قام بنشر هذه الفكرة .

واشتهر عنه هذا المذهب ، لأنه يدافع عنه ويدعو اليه ، ويرسل الدعاة لنشر مذهبه ، فلذا نسب مذهب التعطيل ، وأتباعه الى " جهم بن صفوان " دون شيخه " الجعد بن درهم "(٢) *

---

(١) أنظر : مختصر الصواعق المرسلة ، ج ١ ص ١٤٨ ، تصحيح زكريا على يوسف ، مطبعة الامام ، ومقدمة كتاب " العلو للعلى الغفار " للحافظ الذهبى ، ص ١٢ ، ١٣ مطبعة العاصمة ، وشرح العقيدة النونية لمحمد خليل هراس ج ١ ص ٢٤ .

(٢) أنظر بيان تلبيس الجهمية ص ٢٧٧ الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ، ص ٢٠ الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ .

* قتل " جهم بن صفوان " فى المعركة ، مع الحارث بن سريج الذى خرج على " نصر بن سيار " عامل " خراسان " لبنى أمية ... وكان " الجهم " كاتبا للحارث ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائه ، فى خلافة " مروان الحمار " آخر خلفاء بنى أمية .

وقيل ان جهما لم يقتل فى المعركة ، ولكن أسره " نصر بن سيار " وسلمه الى سالم بن أحوز ، فقتله ، وكان " سالم " على شرطة " خراسان " شرح النونية لمحمد خليل هراس ، ج ١ ، ص ٢١ .

واليك ما قيل فى نشأة مذهب " الجهمية " وما انتهى اليه أمر (الجعد) •

قال الحافظ ابن كثير :

وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان (١) وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم ، وأخذها طالوت عن لبيد بن أعصم الساحر الذى سحر رسول الله وأخذها لبيد عن يهودى باليمن ، وأخذ عن (الجعد) ، " الجهم ابن صفوان الخزرى " وقيل الترمذى ، ••• وأخذ بشر المريسى عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبى دواد عن بشر •

وأما (الجعد) فانه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم ، فسكن الكوفة فلقيه فيها " الجهم بن صفوان " فتقلد هذا القول عنه ، ثم ان خالد بن عبد الله القسرى قتل الجعد يوم عيد الأضحى بالكوفة ، وذلك أن خالدا خطب الناس فقال فى خطبته تلك :

أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فانى مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه فى أصل المنبر ، وذلك سنة نيف ، وعشرين ومائة •

وذكر هذا غير واحد من الحفاظ :

---

(١) وفى فتاوى شيخ الاسلام ، عن أبان بن سمعان ، بدلا عن قوله هنا : عن بيان بن سمعان •

منهم البخارى (١) وابن أبى حاتم ، والبيهقى ، وعبد الله بن أحمد ، وذكره ابن عساكر فى التاريخ وذكر أنه كان يتردد الى وهب بن منبه .. وكان يسأل وهبا عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوما :

ويلك يا جعد ، أقصر المسألة عن ذلك ، انى لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله فى كتابه ، أن له يدا ما قلنا ذلك ، وأن له عينا ما قلنا ذلك وأن له نفسا ما قلنا ذلك ، وأن له سمعا ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام ، وغير ذلك ، (٢)

وقد نشأ مذهب المعتزلة فى نفس القرن الثانى الهجرى الذى نشأ فيه

---

(١) ذكر ذلك البخارى فى كتابه " خلق أفعال العباد ص ٧ مطبعة النهضة الحديثة .

ومن الذين ذكروا القصة ، الحافظ أبو عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه " الرد على الجهمية " ص ٤ بدون تاريخ وشيخ الاسلام احمد بن تيمية فى كتابه المسمى مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٢٠ ـ ٢١ الطبعة الاولى سنة ١٣٨١ هـ وبيان تأسيس الجهمية ٢٧٧ وابن قيم الجوزية " فى قصيدته النونية ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٤ بشرحها للدكتور " خليل هراس " مطبعة الامام وفى كتابه " مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٤٨ مطبعة الامام .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٣٥٠ الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦م .
ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٤٨ تصحيح زكريا على يوسف مطبعة الامام .

مذهب الجهمية . فى نفس دولة بنى أمية (١)

ظهر بعد مذهب المعتزلة ، مذهب " الكلابية " الذى يتزعمه [ابو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب) ، القطان (٢) وبعد الكلابية نشأ مذهب الأشاعرة والماتريدية (٣) ، وذلك فى آخر القرن الثالث الهجرى ، وأول القرن الرابع الهجرى .

---

(١) نشأ مذهب المعتزلة فى عهد (واصل بن عطا) الذى ولد سنة ٨٠ هـ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة ١٣١ هـ ، وانما سمى هو ، وأتباعه باسم " المعتزلة " أن الحسن البصرى سئل عن مسألة مرتكب الكبيرة ، ففكر " الحسن البصرى " فى ذلك ، وقيل أن يجيب (الحسن) قال واصل ابن عطاء : أنا لا اقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل الى أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن اعتزل عنا واصل ، فسمى هو وأتباعه (معتزلة) اهـ
" الملل والنحل " للشهرستانى ج ١ ، ص ٤٨ ، وكتاب " فوات الوفيات " ج ٢ ، ص ٦٢٥ ، تأليف محمد بن شاكر ، ابن أحمد ، وتاريخ الفرق الاسلامية للغرابى ص ٧٣ - ٧٤ والمعتزلة وان اختلفوا فيما بينهم الى حوالى عشرين طائفة الا أنهم متفقون على نفى صفات البارى عز وجل

(٢) توفى ابو محمد عبد الله بن كلاب سنة ٢٤٠ هـ شرح التدمرية ج ٢ ص ٨٥ ، ومقدمة كتاب (الشامل) للجوينى ، ص ٥٤ .

(٣) ذكره الشيخ أبو زهرة فى كتابه " ابن تيمية حياته وعصره ....) ص ١٨٤ ط دار الفكر العربى .

والماتريدية نسبة الى أبى منصور الماتريدى ؛

قال الشيخ ابو زهرة :

ولد ابو منصور الماتريدى ، بقرية " ماتريد " من أعمال سمرقند . وتفقه على مذهب أبى حنيفة ونهج حتى رجع الناس اليه فيما وراء النهر ، يأخذون عنه الفقه ، وأصوله وسائر علوم الدين ... ثم ذاعت شهرته فى علم الكلام ، حتى صار له مذهب يسلكه أهل " خراسان " يقارب مذهب الاشعرى الذى سنبينه .

وقد ذكر الاستاذ الامام الشيخ " محمد عبده " ... أن بين الماتريدية والاشاعرة خلافا فى نحو ثلاثين مسألة ، ولكن أكثر العلماء على أنها مسائل جزئية ، والخلاف فيها لفظى ، فهما متفقان فى الغاية ، (١)

ومذهب المعتزلة يتفق مع الجهمية ، فى تعطيل الصفات جميعا ، ثم تزيد الجهمية نفس الأسماء على القول ، بنفى الصفات (٢) .

فمذهب المعتزلة هو فى الحقيقة امتداد ، للجهمية ، لأن بشر المريسى (٣) وهو من كبار الجهمية أخذ عقيدة التعطيل من نفس (جهم بن صفوان) ثم أخذ عنه أحمد بن أبى دواد ، قاضى القضاة .

---

(١) ابن تيمية حياته ، وعصره - اراؤه وفقهه ص ١٨٤ دار الفكر العربى

(٢) منهاج السنة النبوية ج ١ ، ص ٣٤٤ .

(٣) وهو بشر بن غياث ابن أبى كريمة ، أبو عبد الرحمن المريسى شيخ المعتزلة واحد من أضل " المأمون " اهـ . البداية والنهاية ج ١٠ ، ص ٢٨١ — الطبعة الاولى ١٩٦٦م .

فى عهد الخليفة العباسى (المأمون بن هارون الرشيد) وهو المحرك الأول لفتنة " محنة القرآن " التى عذب فيها علماء الاسلام من المحدثين ، والفقهاء . ومن هؤلاء الجهمية انتقلت فكرة تعطيل الصفات الى المعتزلة (١)

أما مذهب ابن كلاب ، فهو يخالف مذهب المعتزلة والجهمية فى تعطيل الصفات ، بل ان ابن كلاب كان يرد على المعطلة من الجهمية ، والمعتزلة ، وقد نصر مذهب أهل السنة فى اثبات الصفات ، فأثبت جميع الصفات الالهية ، فكان مذهبه أقرب الى مذهب السلف منه الى الجهمية ، والمعتزلة ، ومناظرته مع الجهمية المعتزلة معروفة لدى أهل العلم (٢) .

قال ابو الحسن الأشعرى :

فأما أصحاب (عبد الله بن سعيد القطان) فانهم يقولون بأكثر ما ذكرناه من أهل السنة ، ويثبتون أن البارى تعالى لم يزل حيا عالما قادرا سميعا بصيرا ... (٣) .

---

(١) أنظر مقدمة كتاب " بيان تأسيس الجهمية " ص ٩ ، ١٠ وبيان تلبيس الجهمية ص ٢٧٧ ،

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : كان بشر المريسى من كبار الجهمية ولم يكن معتزليا . منهاج السنة المحمدية ج ١ ص ٣٤٤

(٢) أنظر شرح التدمرية ج ٢ ، ص ٨٤ ، ٨٥ الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ ، وبيان تلبيس الجهمية ص ١٢ ، ١٣ المقدمة مع التقرير ومنهاج السنة المحمدية ج ١ ، ص ١١٣

(٣) مقالات الاسلاميين ، واختلاف المصلين ، ج ١ ، ص ٣٥٠ تحقيق : محيى الدين عبد الحميد .

قال العلامة ابن " قيم الجوزيه " :

" كان عبد الله بن سعيد من أعظم اهل الاثبات للصفات ، والفوقية وعلو الله على عرشه منكرا لقول الجهمية " (١)

ومع أن ابن كلاب يثبت لله الصفات الخبرية ، من اليد والوجه والاستواء ، ونحو ذلك ولا يؤول شيئا من هذه الصفات ، ولا غيرها ، نجد أن له رأيا وافق فيه الجهمية ، والمعتزلة وعاتبه عليه السلفيون كثيرا .

وذلك اعتقاده بعدم قيام الصفات الاختيارية بذاته تعالى ، وعلى كل حال فان مواقف الرجل معروفة فى الدفاع عن مذهب السلف ، لاثبات الصفات وله أتباع من أجلاء أئمة الاسلام ، نصروا مذهبه ، وفندوا آراء المعطلة ، وقرروا اثبات الصفات من جديد ، بعد فترة التعطيل التى ساد فيها مذهب الجهمية والمعتزلة .

وفى عهد ابن كلاب بدأ مذهب المعتزلة يتضاءل ، ويختفى شيئا فشيئا .

ثم استمر أتباعه من بعده فى الدفاع عن مذهب السلف ، من الاثبات ، منهم ابو العباس القلانسى ، والحارث المحاسبى ، وأبو الحسن الأشعرى الذى رفض مذهب المعتزلة ، بعد أن عاش عليه طوال أربعين سنة ، وأعلن عن رجوعه فوق المنبر وسط جمع غفير من المسلمين عن مذهب المعتزلة الى مذهب اهل السنة ، وبعد رجوعه أيد طريقة بن كلاب ، فى اثبات الصفات الخبرية غير أنه وقع

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزوى المعطلة والجهمية ، ص ١٣٥ نشر زكريا يوسف مطبعة الامام ومنهاج السنة المحمدية ج ١ ص ١١٣

فيما وقع فيه بن كلاب من نفى قيام الصفات الاختيارية به تعالى وكان رجوع أبى الحسن الأشعرى عن مذهب المعتزلة خاتمة ظهور مذهب المعتزلة حيث وقف الامام ابو الحسن الأشعرى أمام مذهب المعتزلة ، وفند آراءهم ، وأعلن بطلان مذهبهم فى صراحة منتصرا للحق ، كما يصور ذلك كتابه (الابانة) .

وبعد أن ظهر مذهب الاشعرى الى حيز الوجود اندمج مذهب ابن كلاب فى مذهب الأشعرى فاشتهر باسم (الأشعرى) مع أن مذهب الاشعرى فى الحقيقة هو امتداد لمذهب ابن كلاب ، لأن ابن كلاب ، والأشعرى لايختلف موقفهما فى الصفات حيث ان ابا الحسن الأشعرى يثبت جميع الصفات الخبرية وينفى قيام الصفات الاختيارية بذات الرب مثل ابن كلاب .

متأخرو الأشاعرة

ثم بدأت جولة أخرى بعد الامام أبى الحسن الأشعرى ، وقدماء أصحابه (١) قام بها جمهور الأشاعرة ، المتأخرون ، مثل الجوينى والامام الغزالى ، وابن فورك ، وفخر الدين الرازى والشهرستانى وسيف الدين الآمدى ، والبيضاوى وسعد الدين التفتازانى وغيرهم من متأخرى الأشاعرة .

---

(١) وهم الذين كانوا أهل العراق ، كابى الحسن الكبير ، وأبى الحسن الباهلى وابى عبد الله بن مجاهد ، وصاحبه القاضى أبى بكر ، وأبى على ابن شاذان ونحوهم .

بيان تلبيس الجهمية ص ٢٣ ، ومقدمة كتاب (بيان تلبيس الجهمية) ص ١١ مع التقرير .

وهذه الجولة تتمثل فى تأويل هؤلاء الأئمة جميع الصفات الخبرية ، بعد أن كان الامام أبو الحسن الأشعرى ، وقدماء أصحابه لا يؤولون شيئا من الصفات الخبرية •

وهذا التأويل الذى مال اليه جمهور الأشاعرة بعد أبى الحسن الأشعرى ، هو بعينه ما عليه الأغلبية العظمى من العالم الاسلامى ، فى الوقت الحاضر ،

والحق أن مذهب المتأخرين من الأشاعرة لا يختلف عن مذهب المعتزلة بالنسبة للصفات الخبرية (١) •

وان كانوا يخالفون المعتزلة فى اثبات صفات المعانى السبعة التى سيأتى الحديث عنها قريبا ان شاء الله تعالى :ــ

وسنتحدث عن الفرق بين مذهب الامام أبى الحسن الأشعرى وبين مذهب جمهور الأشاعرة المتأخرين تفصيلا فيما بعد ان شاء الله تعالى (٢) •

والجدير بالتنبيه أن مذهب السلف وأهل السنة لا يزال بحمد الله تعالى يعتنقه كثيرون من ذوى العلم بجانب مذاهب المتأخرين الحديثة فى كل زمان ، يدافع عنه ويقوم بحمايته ، والذود عنه ، علماء السنه وحملة الحديث من الذين يمثلون مذهب السلف خير تمثيل ، يثبتون ما أثبته الكتاب ، و السنة من الصفات مع تنزيه الرب عن مشابهة المخلوقين •

والى هنا ينتهى هذا العرض الموجز للكلام عن الصفات الالهية عبر العصور الطويلة • ويليه بيان أقسام الصفات الالهية من الباب الاول •

---

(١) أنظر مجموع فتاوى لشيخ الاسلام جـ ٥ ص ٢٢ ــ ٢٣ ــ ٢٤ •

(٢) وذلك فى الباب الثانى عند الكلام على مذهب الاشاعرة •

الباب الأول

ويشمل على فصلين :

الفصل الأول :

في

اقسام الصفات الالهية وتعريف كل قسم

الفصل الثاني :

ويشمل على موضوعين :

* بيان مذهب القائلين بوجوب تقديم العقل على النقل وأن النصوص الشرعية لاتفيد العلم واليقين ، وفي الرد عليهم.
* بيان مذهب القائلين بأن الاسماء العامة المشتركة تؤدي الى التشبيه والتجسيم مع الرد عليهم.

أقسام الصفات الالهية

الصفات جمع صفة ، والصفة ، والوصف ، لغة بمعنى واحد ، يقال وصفه بمعنى نعته ،وهما مصدران يقال : وصف يصف صفة ، ووصفا ،كالوعد ، والعدة فأصل كلمة (صفة) وصف بكسر الواو ، نقلت الكسرة الى الصاد ، ثم حذفت الواو ، وهى فاء الكلمة وعوض عنها هاء التأنيث ، فصارت ،صفة ، كعدة (١)

وفى القاموس : وصفه ، يصفه ، وصفا ، وصفة ... والصفة كالعلم والسواد ، وأما النحاة ، فانما يريدون بها النعت وهو اسم الفاعل ، والمفعول ، ومايرجع اليهما من طريق المعنى ،كمثل وشبه . (٢)

وفى مقاييس اللغة :

والصفة الامارة اللازمة للشيء ، كما يقال : وزنته وزنا . (٣)

والمتكلمون فرقوا بين معنى الوصف ،والصفة فقالوا : " الوصف يقوم بالواصف ، والصفة تقوم بالموصوف " (٤)

---

(١) أنظر " التعريفات " لأبى الحسن على بن محمد الجرجانى نشر الدار التونسية ص ١٣١ ، وحاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية ، ص ٥٤ مطبعة الاستقامة

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ، ص ٢١١ الطبعة الثانية ، ١٣٧١هـ.

(٣) مقاييس اللغة ،لابن فارس ج ٦ ص ١١٥ الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٦٩هـ

(٤) التعريفات ، ص ١٣١ نشر الدار التونسية.

فالصفة عندهم " .... هى الشيئ الذى يوجد بالموصوف أو يكون له ، ويكسبه الوصف الذى هو النعت ، الذى يصدر عن الصفة ... وأما الوصف فهو قول الواصف لله تعالى ، ولغيره ، بأنه عالم ، حى ، قادر ، منعم ، متفضل ، وهذا الوصف الذى هو كلام مسموع ، أو عبارة عنه ، غير الصفة القائمة بالله تعالى ، التى لوجودها به يكون عالما ، وقادرا ، ومريدا ، وكذلك قولنا : زيد حى ، عالم قادر ، انما هو وصف لزيد ، وخبر عن كونه على ما اقتضاه وجود الصفات به ، وهو قول يمكن أن يدخله الصدق ، والكذب ، وعلم زيد ، وقدرته هما صفتان له ، موجودتان بذاته ، يصدر الوصف والاسم عنهما ، ولا يمكن دخول الصدق ، والكذب فيهما " (١)

وقال الشيخ الصاوى :

أما عند المتكلمين ، فالصفة ما يحكم به على الشيئ ، سواء كان عين حقيقته أو قائما بها ، أو خارجا عنها ، فدخل فى هذا التعريف ، الوجود ، وصفات المعانى ، والمعنوية . (٢)

جمهور الأشاعرة يقسمون الصفات الالهية الى :

١ ـ صفات نفسية :

وهى " كل صفة دل الوصف بها على الذات دون معنى زائد عليه " وبعبارة اخرى " صفة النفس ، كل صفة لا يصح توهم انتفائها مع بقاء النفس " (٣)

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى : التمهيد ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ، المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧م .

(٢) حاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية ص ٥٤ مطبعة الاستقامة ، وحاشية الشيخ ابراهيم البيجورى ص ١٥ مطبعة دار احياء الكتب العربية .

(٣) هذا التعريف نسبه " الجوينى " الى أستاذه أبى اسحاق الاسفرايينى . أنظر الشامل للجوينى ص ٣٠٨ ، تحقيق دكتور على السامى النشار .

وعرفها الجويني قائلا :

صفة النفس عندنا : كل صفة اثبات راجعة ، الى ذات لا لمعنى زائد عليها .(١) والصفة النفسية " نسبة الى النفس أى الذات " (٢) والمراد بها وجوده تعالى .

٢ ـ وصفات سلبية ، وهى خمسة :

القدم ، والبقاء ، وقيامه تعالى بنفسه ، ومخالفته عز وجل للحوادث ، ووحدانيته سبحانه ، والصفات السلبية هى الصفات التى تسلب عن الله عز وجل مالا يليق بجلال الله ، وعظمته سبحانه وهى نسبة للسلب أى النفى ، وانما نسبت للسلب " لأنها مفسرة به اذ القدم سلب أولية الوجود والبقاء سلب آخرية الوجود ، والمخالفة للحوادث سلب المماثلة لها (٣) والقيام بالنفس سلب الافتقار الى المحل ، والمخصص فليس عرضا ، فيفتقر الى محل يقوم به ، ولا يحتاج فى وجوده الى غيره والوحدانية سلب التعدد فى الذات ، والتعدد فى الصفات وفى الافعال .

فليس المراد " بكونها سلبية ، أنها مسلوبة عن الله ، ومنفية عنه عز وجل ، والا لزم أن يثبت له الحدوث وطرو العدم ، والمماثلة للحوادث " وهكذا وهو سبحانه منزه عن هذا كله . (٤)

---

(١) الشامل للجوينى ، ص ٣٠٨ تحقيق دكتور على السامى النشار .

(٢) شرح الخريدة البهية ، ص ٥٨ ، مطبعة الاستقامة .

(٣) فذاته تعالى ، وصفاته تخالف فى حقيقتها سائر الذوات والصفات .

(٤) حاشية الشيخ ابراهيم البيجورى على متن " السنوسية " ص ١٩ مطبعة دار احياء الكتب العربية ، وشرح " أم البراهين " مع حاشيته للشيخ محمد بن أحمد الدسوقى ص ٩٣ ـ الطبعة الاخيرة ، وحاشية الصاوى ص ٧٦

٣ـ صفات المعانى :

وهى سبعـــة :

الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والكلام ، والسمع ، والبصر .

وانما سميت بذلك ، لأن كل واحدة صفة ثبوتية تدل على معنى زائد على ذاتــه تعالى ، ومرادهم بصفات المعانى ، الصفات الوجوديـة ، أى التى لها وجـــود فى نفسها والاضافـة للبيان .

" أى تسمى تلك الصفات السبعة بالصفات التى هى نفس المعانى " " وتسمى أيضـا بالصفات الذاتية ، لأنها لا تنفـك عن الذات ، والوجوديـة ، لأنها محققـــة باعتبار نفسها ، والمعنى لغـة " ما قابل الذات فيشمل النفسية والسلبية والمعنويـة " وفى الاصطلاح :

كل صفـة قائمـة بموصوف ، زائدة على الذات موجبـة له حكما " كما توجب القدرة القادريـة ، والعلم ، العالميـة وخرج بذلك الصفات المعنويـة ، فانها لاتوجـب حكمـا وكذلك الصفات السلبيـة ، كالقدم ، واخراجها بهذا القيد أولى مـن اخراجها بقوله قائمة بموصوف ، فالصفـة مطلقا بمقتضى كونها صفة ، لابد أن تقـوم بموصوف ". (١)

وفى " الشامل " للجوينى : وصفـة المعنى كل وصف دل (٢) الوصف بهـا

(١) حاشية الصاوى ص ٧٦ مطبعة الاستقامة وحاشية على شرح أم البراهين ص ٩٧ الطبعة الأخيرة.

(٢) هكذا فى النسخـة التى اطلعت عليها ولعل الصواب كل (صفـة دل الوصـف بهـا ...).

على معنى زائد على الذات ، كالعالم والقادر ونحوهما (١) .

٤ـ والصفات المعنوية :

" وهى الحال الواجب للذات مادامت المعانى قائمة بالذات) (٢) وهى " نسبة للمعنى الذى هو واحد المعانى للقاعدة النحوية ، أنه اذا أريدت النسبة لجمع ينسب لمفرده ، كما قال ابن مالك فى ألفيته :

" والواحد اذكرنا سبا للجمع * مالم يشابه واحدا بالوضع (٣)

وانما نسبت هذه السبعة للمعانى ، لكونها تابعة لها فى التعقل ، (٤) أو لأن : الاتصاف بها فرع الاتصاف بالسبع الاولى ، فان اتصاف محل من المحال بكونه عالما أو قادرا مثلا ، لا يصح الا اذا قام به العلم ، أو القدرة ، وقس على هذا ، فصارت السبع الأولى ، وهى صفات المعانى عللا لهذه ، أى ملزومة لها ، فلهذا نسبت هذه الى تلك ، فقيل فيها صفات معنوية (٥) .

---

(١) الشامل للجوينى ص ٣٠٨ تقديم وتعليق دكتور على النشار .

(٢) حاشية الصاوى ص ٥٩

(٣) الألفية فى النحو والصرف مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٥٨ هـ ١٩٤٠ م

(٤) حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين ص ١١٨

(٥) شرح أم البراهين تأليف السيد محمد يوسف السنوسى ص ١١٨ بهامش حاشية الدسوقى .

ومما ينبغي التنبيه عليه ، أن ما تقدم ، من اعتبار الصفات " المعنوية " والصفات " النفسية " من اقسام الصفات الذاتية القائمة به تعالى ، انما هو على مذهب من يثبت الأحوال من المتكلمين ، كالقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي المعالي الجويني ، وأبي هاشم المعتزلي وأما الذين ينكرون " الأحوال " فانهم لا يعدون الصفات " المعنوية " و " النفسية " من أقسام الصفات القائمة به تعالى الزائدة على الذات ، لأنهم ينكرون وجود شيء يسمى " حالا " ليس بموجود ، ولا معدوم

وقد حد المثبتون " الحال " بأنها صفة ، غير موجودة ، ولا معدومة ، في نفسها قائمة بموجود .... ومن الذين ينكرون الحال أبو الحسن الأشعري ، فهو يقول :

ان وجوده تعالى ، عين ذاته ، وليس أمرا زايدا على ذاته بل وجود كل شيء هو عين ذاته ، فلا يعد الوجود صفة زائدة على الذات على مذهبه (١) .

قال الشيخ محمد بن أحمد الدسوقي :

ان التحقيق نفي هذه " المعنوية " وعدم ثبوتها ، لأن الحق نفي الاحوال (٢)

وقد بين شيخ الاسلام (ابن تيمية) مذاهب الناس في " الاحوال " فقال : قد تنازع فيها مثبتو الصفات ونفاتها ، فأبو هاشم ، وأتباعه يثبتون الأحوال دون الصفات والقاضي أبو بكر وأتباعه يثبتون الأحوال والصفات، وأكثر الجهمية والمعتزلة ينفون الأحوال والصفات وأما جماهير أهل السنة فيثبتون الصفات دون الأحوال (٣) .

---

(١) أنظر حاشية ابراهيم البيجوري على متن السنوسية مع تقرير الانبابي ، بهامش حاشية البيجوري ص ١٥ ـ ١٦ ط ـ دار احياء الكتب العربية ، وحاشية الدسوقي على شرح أم البراهين ، ص ٧٤

(٢) حاشية الدسوقي ص ١١٨ الطبعة الاخيرة .

(٣) ابو العباس ابن تيمية : شرح حديث النزول ص ١٦ منشورات المكتب الاسلامي .

وبينما ذهب مثبتو الصفات الى ان لله تعالى صفات زائدة على ذاته فهو حي بحياة وعالم بعلم ، وقادر بقدرة ، وهكذا ، اذ اطلق على نفسه انه تعالى حي عالم ، قادر خطابا لمن هو من اهل اللغة ، والمفهوم من عالم ، ذات له العلم ، بل يستحيل عندهم ، عالم بلا علم ، كما يستحيل عالم بلا معلوم ، فلا يجوز صرف اللفظ عما يدل ، عليه ، من أن له تعالى علما زائدا على ذاته ، بينما ذهب الى ذلك مثبتوا الصفات ، ذهب الجهمية ، والمعتزلة ، الى القول بأن الله تعالى ليس له صفات زائدة على ذاته سبحانه ، ذهابا منهم الى أن ذلك يؤدى الى تعدد ، القدماء ، وتعدد القدماء باطل . غافلين عن أن المستحيل هو اثبات ذوات قديمة . أما كون الذات الالهية قديمة بصفاتها اللازمة لها فهذا ليس بمستحيل واليك بيان مذهب المعتزلة على ما يحكيه عنهم الشيخ / محمد عبده / قال :

وأما بعض رؤساء المعتزلة ، كواصل بن عطاء ، وبعض متابعيه فظاهر كلامهم ، أنها من الاعتبارات العقلية ، التى لا وجود لها ، فى الخارج ، حيث ردوا جميع الصفات الى صفة العلم ، والقدرة ، وزعموا أنهما صفتان ذاتيتان ، هما اعتباران للذات ، وان كان تحقيق قولهم قد يرجع الى قول الحكماء ، وبعضهم كالهذلية قالوا بمثل قول الحكماء ، وحققوا نحو تحقيقهم ، وان كان بنهج أدنى . وبعضهم كالجبائية أثبت حالا هى كونه عالما وقادرا ... الخ . وتلك الحال مبدأها نفى الذات فلم يثبت صفة ، أو حالا أوجبت الكون المذكور .

وبعضهم كالبهشمية أثبت حالا للذات ، لا موجودا ولا معدوما ، تلك

الحال أوجبت كونه عالما ، والحال المذكور هى صفة العلم او صفة القدرة وغير ذلك • هـ (١)

ويعنى بقول الحكماء أن صفاته تعالى «عين ذاته» فهو من حيث انه مبدأ الانكشاف «علم ومبدأ صدور الاثار الاختبارية قدرة ومبدأ تخصيص كل ممكن بماله «ارادة الى غير ذلك (٢) •

ومما يجدر الاشارة اليه أن مثبتى الصفات لله تعالى كابن كلاب ، والاشعرى وغيرهما يقولون :

لا يقال ان صفاته تعالى عين ذاته ولا يقال انها غير ذاته ، فصفاته (٣) ليست عين الذات اذ مفهوم الصفة ليس مفهوم الذات وليست غيره اذ كانت لازمة له لا تنفك عنه •

---

(١) حاشية الشيخ محمد عبده على شرح الجلال الدوانى على العقائد العضدية جـ ١ ٩١ الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢هـ• وشرح التفتازانى على متن العقائد النسفيه ص ٧٦

(٢) حاشية الشيخ محمد عبده على شرح الجلال الدوانى الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ص ٩١

(٣) أنظر مقالات الاسلاميين جـ١ ص ٣٥٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ومقدمة كتاب " الشامل للجوينى ص ٥٥ ، والملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٩٥ نشر موسسة الحلبى للنشر والتوزيع•

فعلى هذا لا يلزم مثبتى الصفات التناقض فى نفى الغيرية والعينية عن الصفات (١)

قال سعد الدين التفتازانى :

ولصعوبة هذا المقام ذهبت المعتزلة ، والفلاسفة الى نفى الصفات ، والكرامية الى نفى قدمها ، والأشاعرة الى نفى غيريتها وعينيتها ٠ (٢)

تقسيم آخر للصفات

ومن العلماء من قسم الصفات الى صفات ذاتية ،وصفات فعلية ، والى صفات خبرية وصفات عقلية ٠ ومما يجدر الاشارة اليه أن الصفات الذاتية تقابل الصفات الفعلية ، والصفات العقلية تقابل الصفات الخبرية ، والصفات الذاتية ، والفعلية ، عرفهما أبو الهذيل ، فقال فى تعريف الصفات الذاتية : هى التى لا يجوز أن يوصف البارى بأضدادها ، ولا بالقدرة على أضدادها كقولنا : (الله عالم) فان هذا الوصف لايصح أن يتصف البارى سبحانه بضده ، ولا بالقدرة على ضده ، وهو الجهل ، وكقولنا : " قادر ،حى" ، وكذا باقى الصفات الذاتية لايتصف الله سبحانه بأضدادها ، ولا بالقدرة على أضدادها كالعجز والموت وقال فى تعريفه للصفات الفعلية :

---

(١) الدكتور حمودة غرابة فى كتابه " أبو الحسن الاشعرى" ص ١٥٢ ، ١٥٣، والدكتور عبدالعزيز سيف النصر فى رسالته : العقيدة الاسلامية بين التاويل والتفويض ج ٥ ص ٤٢٠ - ٤٢٣
وسعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية ص ٧٩ مع حاشية المولى مصلح الدين مصطفى الكثلى على شرح العقائد النسفية ص ٧٩ ، ٨٠

(٢) شرح العقائد النسفية ص ٧٩ ٠

هى " التى يجوز أن يوصف البارى سبحانه بأضدادها ، وبالقدرة على أضدادها ، كالارادة فانه يصح أن يوصف الله سبحانه بضددها ، وهى الكراهة ، وأن يوصف بالقدرة على أن يكره ، وكذلك الحب والرضى ، يصح أن يوصف بضددهما ، وبالقدرة على أن يوصف بضددهما ، وهما البغض والسخط .

ومن الصفات الذاتية ، الحياة ، والسمع ، والبصر والغنى ، والعظمة والجلال والكبر) (١)

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى فى تعريفة للصفات الذاتية صفات ذاته التى لم يزل ، ولا يزال موصوفا بها ؛

هى الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام والارادة ، والبقاء ، والوجه ، والعينان ، واليدان والغضب والرضا . (٢)

قال الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان :

صفات الله تنقسم الى قسمين : صفات ذات ، وصفات فعل ، وضابط صفات الذات هى التى لا تنفك عن الله ، وضابط صفات الفعل هى التى تتعلق بالمشيئة والقدرة .

---

(١) تاريخ الفرق الاسلامية للغرابى ص ١٥٨ـ١٥٩

(٢) فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٩٩ الطبعة الأولى ١٣٨١هـ .

مثال صفات الذات : النفس ، العلم ، الحياة ، القدرة ... الخ .

ومثال صفات الفعل ، الاستواء والنزول (١) ..... الخ .

وأما الصفات العقلية ، والخبرية فقد قيل في تعريفهما وبيان الفرق بينهما :

ان الصفات العقلية ، كل صفة قام الدليل العقلي على ثبوتها له تعالى ، بالاضافة الى ثبوتها له عز وجل بالأدلة الشرعية من الكتاب ، والسنة ، فهي ثابتة بالعقل والشرع معا ، وذلك كصفة العلم ، والقدرة ، والحياة والارادة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، والوجود ، والبقاء ، والوحدانيه

أما الصفات الخبرية ، فهي الصفات التي دل على ثبوتها له تعالى ، — الخبر من غير استناد الى نظر عقلي ، فدليل ثبوتها السمع ، لا العقل بل ان العقل كما يدعى كثيرون يحيل اثباتها لله تعالى ، لأن اثباتها يؤدى الى التشبيه ، والتجسيم ، الا اذا حملت على المعاني اللائقة به تعالى (٢) .

والصفات الخبرية ، كاستوائه تعالى على عرشه وكنزوله عز وجل الى سماء الدنيا ، وكالوجه ، واليدين ، له تعالى وهذا القسم الاخير الذى هو الصفات الخبرية ، هو موضوع رسالتنا ، وسيأتى ذكر هذه الصفات على وجه التفصيل ، وبيان مذاهب الناس فيها ، اثباتا ، وتأويلا وتفويضا ، وتشبيها .

---

(١) الكواشف الجليه عن معاني الواسطية ، الطبعة الثانيه ص ٢٥٨

(٢) أنظر رسالة محمد عبده ص ٤٥ الطبعة السابعة عشرة سنة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ورسالة : العقيدة الاسلامية بين التأويل والتفويض للدكتور : عبد العزيز سيف النصر ج ٥ ، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ، وبيان تلبيس الجهمية ص ٧٦ ، ٨٤ ، ٨١ ، ٨٧ الطبعة الاولى سنة ١٣٩١هـ .

وبعد أن عرفنا فيما سبق أن الأصل في الكلام عن الصفات ، اثبات جميع ما أثبته الرب لنفسه في الكتاب ، وأثبت له رسوله في السنة ، وأجمع على ذلك الأصل سلف هذه الأمة طوال قرن ، وزيادة ، والى ذلك ذهب أئمة السنة والفقه والتفسير فيما بعد ، فاذا كان الأمر كما قلنا ، فلابد من أن يخطر في بال أحد منا هذا السؤال .

اذا كان كل من التأويل ، ونفي الصفات منهجا مستحدثا ، لم يذهب اليه أحد من السلف ، ولا يوجد له أصل من الكتاب ، والسنة ، فما هي الأسباب ؟ والدوافع التي حملت المتأخرين من علماء الكلام ، على سلوك هذا المنهج المخالف للكتاب والسنة ، وما ذهب اليه سلف الأئمة وللجواب عن هذا السؤال أقول :

هناك شبهات دعتهم الى النفي والتأويل ، وهي :

١- قولهم ، بوجوب تقديم العقل على النقل عند المعارضة .

٢- اعتقادهم أن الأسماء العامة المشتركة يلزم منها المشابهة بين المسميات في الخارج .

٣- استعمال ألفاظ مجملة مشتملة على الحق والباطل لقصد التنزيه .

٤- ذهابهم الى القول :

بأن الأخذ بظواهر النصوص في الصفات يؤدي الى التشبيه .

٥- ظنهم أن الآية الكريمة .

" ليس كمثله شيء " تؤيدهم في الذهاب الى التأويل ونفي الصفات .

وسنخص كل واحدة من هذه الشبهات ، بالكلام ، تفصيلا ، مع الرد عليها ، فيما بعد ان شاء الله تعالى ، ما عدا الشبهة الأولى والثانية

فنبينهما فيما يلى (١)

الشبهة الأولى كما يقررها أصحابها

القول بوجوب تقديم العقل على النقل عند التعارض ، ذهب اليه كثير من علماء الكلام من الجهمية ، والمعتزلة ، وجمهور الأشاعرة المتأخرين .

وهذا القول يتضمن أمرين (١) دعوى أن العقل قد يعارض النقل . (٢) وجوب تقديم العقل على النقل عند التعارض .

وقالوا انما وجب تقديم العقل على النقل ، لأن العقل أصل للنقل ، وأن الدلالة العقلية ، قطعية ، ودلالة النصوص ظنية ، لا تفيد القطع ، واليقين ، وخبر الآحاد لا يؤخذ به فى العقائد .

ومقصودهم يكون العقل أصلا للنقل ، أن نصوص الكتاب ، والسنة لا يمكن اعتبارها حجة صحيحة ثابتة الا بعد معرفة صدق الرسول ، واثبات وجوده تعالى وكونه عالما قادرا متكلما .

وهذا كله انما ثبت بالعقل ، دون النقل ، فبهذا يثبت أن يكون العقل أصلا للنقل ، والنقل فرعا منه .

واذا كان العقل أصلا للنقل ، فلو قدمنا الشرع على العقل كان ذلك ابطالا للأصل

---

(١) أما الشبهة الثالثة فسيأتى ذكرها فى الباب الرابع عند بيان شبهات النفاة ، وأما الخامسة ، والرابعة فسنذكرهما فى الباب الثالث عند بيان مذهب السلف ان شاء الله تعالى .

بالفرع ، وابطال الأصل بالفرع ابطال للأصل والفرع معا ، لأن الفرع انما ثبت بالأصل فاذا أبطل الأصل ، بطل الفرع تبعا للأصل . (١)

واليك فيما يلى بعضا من أقوال علماء الكلام توضح لنا مذهبهم هذا .

أقوال علماء الكلام فى وجوب تقديم العقل على النقل

أ ـ قال القاضى عبد الجبار :

فاعلم أن الدلالة أربعة ، حجة العقل ، والكتاب والسنة ، والاجماع ، ومعرفة الله تعالى ، لا تنال الا بحجة العقل ... (وذلك لأن) ما عداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده ، وعدله ، فلو استدلنا بشيء منها على الله والحال هذه ، كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله ، وذلك لا يجوز " .

بيان هذا ، أن الكتاب انما ثبت حجة متى ثبت انه كلام عدل حكيم لا يكذب ولا يجوز عليه الكذب وذلك فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده ، وعدله ، وأما السنة فلأنها انما تكون حجة متى ثبت أنها سنة رسول عدل حكيم ، وكذلك الحال فى الاجماع ، لانه اما أن يستند الى الكتاب فى كونه حجة ، أو الى السنة ، وكلاهما فرعان على معرفة الله تعالى . (٢)

---

(١) مطالع الانظار شرح طوالع الانوار ص ٦٠ ـ ٦١ وكتاب " ابو الحسن الاشعرى " تأليف دكتور حمودة غرابة ص ١٣٨ .
والاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص ٩٤ ـ ٩٥ الطبعة الأولى ، طبع بالمطبعة الأدبية بمصر ، بسوق الخضار القديم .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ، ص ٨٨ ، ٨٩ بتعليق الامام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم وتحقيق دكتور عبد الكريم عثمان .

٢ ـ وقال الغزالي :

وأما ما قضى العقل باستحالته ، فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به ، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول ، وظواهر أحاديث التشبيه اكثرها غير صحيحة ، والصحيح منها ليس بقاطع ، بل هو قابل للتأويل .(١)

وذكر ما يؤيد كلامه هنا فى مواضع من مؤلفاته قال فى رسالته " قانون التأويل) اذا كان الشرع قول الصادق ، فان العقل هو الذى شهد بصدق الشرع فلا يمكن القول بكذبه ، لان من كذب العقل فقد كذب الشرع ، اذ بالعقل عرف الشرع ولولا صدق العقل لما عرف النبى من المتنبى ،وكيف يكذب العقل بالشرع ، وما ثبت الشرع الا بالعقل ؟ .

قال الاستاذ " محمد الجليند " فى تلخيص رأى الغزالى فى المسألة: فالأصل الذى بنى عليه " الغزالى " قانونه فى التأويل هو أن العقل أصل فى اثبات الشرع، فاذا عارضه ظاهر نقلي ، فعليه أن يتأوله الى ما يوافق مقتضى العقل ، ولا يرد برهان العقل أصلا ، وهذا الأصل هو الذى بنى عليه " الرازى" قانونه أيضا ... فالعقل فى مذهب الغزالى هو محور تفكيره فى التأويل ، وأساس مذهبه ، وبنى على موقفه من العقل مذهبه فى الصفات .(٢)

٣ ـ ويقول أبو الثناء شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الاصفهانى :

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٩٥ الطبعة الأولى ، مطبعة الأدبيه بسوق الخضار القديم بمصر .

(٢) الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٥٣ .

وأجيب عن الآيات المذكورة (١) القابلة للتأويل لظهورها - بأنها لا تعارض القواطع العقلية التي لا تقبل التأويل لقطعها ، اما أن يفوض علمها الى الله تعالى كما هو مذهب السلف ، وقول من أوجب الوقوف على الله في قوله :

وما يعلم تأويله الا الله ، واما أن يؤول كما هو مذهب المؤولين ، وقول من عطف قوله .

" والراسخون في العلم على الله " (٢) .

وقال الاصفهاني أيضا - في بيانه أن تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بحجة العقل .

ان الحجة " النقلية دليل صح نقله ممن عرف صدقه عقلا ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن الدليل العقلي ، دل على صدقهم ، لأنهم ادعوا الصدق وأظهروا المعجزة على وفق ما ادعوا ، وذلك يدل على صدقهم عقلا ... لأنه يمتنع أن يعرف صدقهم بالنقل . (٣) لأن ذلك يلزم منه الدور ، " اذ النقل موقوف على أن يكون منقولا عن الأنبياء عليهم السلام ، فلو كان صدق الأنبياء موقوفا على النقل يلزم الدور كما لا يخفى (٤) .

---

(١) يعني آيات الصفات

(٢) مطالع الانتظار شرح طوالع الأنوار ص ٢٢٨ والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٨٠ الطبعة الأولى تأليف الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي .

(٣) مطالع الانتظار ص ٦٠

(٤) حاشية السيد الجرجاني ، بهامش مطالع الأنظار ، ص ٦٠ .

ومن أشهر علماء الكلام المعروفين بتأييد هذه المقالة ـ مقالة تقديم العقل على النقل ـ أبو عبدالله الرازى .

٤ ـ فانه قال ما نصه كما ـ حكى عنه ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ـ :

" اذا تعارضت الأدلة السمعية ، والعقلية ... فاما أن يجمع بينهما وهو محال ، لأنه جمع بين النقيضين ... واما أن يراد ا جميعا (١) واما أن يقدم السمع وهو محال ، لأن العقل أصل النقل ، فلو قدمنا عليه (النقل) كان ذلك قدحا فى العقل الذى هو أصل النقل والقدح فى أصل الشيء قدح فيه ، فكان تقديم النقل قدحا فى النقل والعقل جميعا ، فوجب تقديم العقل ، ثم النقل اما أن يتأول ، واما أن يفوض ... وهذا الكلام قد جعله الرازى ، وأتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله ، وكلام أنبيائه ، وما لا يستدل به ، ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء ، والمرسلون فى صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التى أثبتوا بها .

وظن هؤلاء أن العقل يعارضها ، وقد يضم بعضهم الى ذلك ، أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين ... وأما هذا القانون الذى وضعوه فقد سبقهم اليه طائفة منهم أبو حامد ، وجعله قانونا فى جواب المسائل التى سئل عنها فى نصوص أشكلت على السائل ..." (٢)

---

(١) قوله : واما ان يرادا جميعا ، كذا فى النسخة الموجودة عندنا ولعل الصواب والله أعلم ، واما ان يردا جميعا

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ، ص ٢ ، ٣ بهامش " منهاج السنة النبوية " نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، المملكة العربية السعودية .

وحاصل الكلام في المسألة ، أن أدلة الكتاب والسنة لا تفيد القطع ، واليقين الا اذا توفرت فيها الشروط العشرة ، التي يشترطها المتكلمون ، ومنهم (الرازى) لأجل أن تفيد الأدلة الشرعية ، القطع واليقين ، غير أن توفر هذه المقدمات العشرة أمر ، لا يتأتى ، لأن هذه الشروط العشرة ـ كلها مظنونة ، والموقوف على المظنون مظنون والظن لا يكتفى بـه في الأصول ، فلا يمكن أن تفيد الأدلة الشرعية القطع كما صرح بذلك أبو عبد الله " الرازى " قائلا :

صرف اللفظ الراجح الى المرجوح ، لابد فيه من دليل منفصل ، وهو اما لفظى أو عقلى ، فالأول ، لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية ، لأنه لا يكون قاطعا لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة * وانتفاؤها مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون ، والظن لا يكتفى به في الأصول .(١)

---

(١) الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٥ ، ٦ مطبعة حجازى بالقاهرة

* بيان هذه المقدمات العشرة كالتالى :ـ

أما المقدمة الأولى :ـ

فهى أن التمسك بالدلائل اللفظية موقوف على معرفة اللغات ، واللغات منقولة برواية الآحاد لا بالتواتر ، فان رواة اللغات ، جمع معينون من الأدباء ، كالخليل ، والاصمعى ، وغيرهما ، ولا شك أنهم ما كانوا معصومين ، ومثل هذه الرواية لا تفيد الا الظن .

والمقدمة الثانية :

أن التمسك بالدلائل النقلية ، موقوف على صحة النحو ، لأن باختلاف الاعرابات تختلف المعانى ، والنحو منقسم الى أصول ثبتت بالرواية ، والى فروع ثبتت بالأقيسة .

....

أما الأصول المثبتة بالروايات ، فهى أيضا منقولة برواية الآحاد ، ولاتفيد الا الظن وأيضا فالبصريون ، والكوفيون يكذب بعضهم بعضا ويطعن بعضهم فى بعض.

وأما الفروع المثبتة بالقياس ، فلا شك أنها فى غاية الضعف فثبت أن الكل مظنونة لا معلومة.

اما المقدمة الثالثة :

فان التمسك بالدلائل النقلية موقوف على عدم الاشتراك فى الألفاظ ،لان بتقدير حصول الاشتراك ، فى الألفاظ ، فلعل مراد الله من هذه الآية او من هذا الخبر غير ما عرفناه ، وتصورناه بل معنى آخر ، فاذًا تعيين هذا المعنى يتوقف على نفى الاشتراك (ونفى الاشتراك أمر مظنون).

المقدمة الرابعة :

أن التمسك بالدلائل النقلية موقوف على وجوب حمل اللفظ على حقيقته ، لا على مجازه ، والا فتبقى المجازات كثيرة ، فلم يكن حمل للفظ على بعضها أولى من حمله على البقية ، الا أن قولنا : الأصل فى الكلام هو الحقيقة مقدمة ظنية.

المقدمة الخامسة :ـ

أن هذا التمسك موقوف على نفى الحذف والاضمار لأن تجويزه يقضى الى انقلاب النفى اثباتا والاثبات نفيا ...).

المقدمة السادسة :ـ

نفى التقديم والتأخير معتبر فى دلالة الدلائل النقلية وهى كثيرة الوقوع فى القرآن وهى أيضا مقدمة ظنية.

....

المقدمة السابعة :ـ

التمسك بالعمومات انمايفيد المطلوب اذا لم يوجد المخصص ، ولكن عدم المخصص مظنون لأن أقصى ما في الباب انا طلبناه ، فما وجدناه ولكن الاستدلال بعدم الوجدان على عدم الوجود فى غاية الضعف .

المقدمة الثامنة :

شرط التمسك بالدلائل النقلية ، عدم الناسخ ، وهو أيضا مظنون ، كما بيناه فى عدم المخصص.

المقدمة التاسعة :ـ

شرط التمسك بالدلائل النقلية عدم المعارض السمعى ، لأن بتقدير وجوده يجب الرجوع الى الترجيحات ، التى لا تفيد الا الظن ، لكن العلم بعدم ذلك المعارض السمعى مظنون ، لا مقطوع .

المقدمة العاشرة :

شرطه أيضا عدم المعارض العقلى القاطع ، لأن بتقدير وجوده يجب صرف الظاهر السمعى الى التأويل ، لكن عدم هذا المعارض القطعى مظنون ، لا معلوم ،لأن أقصى ما فى الباب ، أن الانسان لا يعرف ذلك المعارض لكن عدم العلم لا يفيد العلم بالعدم فثبت أن الدلائل النقلية موقوفة على هذه المقدمات العشرة ، وكلها ظنية ، والموقوف على الظنى أولى بأن يكون ظنيا فالدلائل النقلية ظنية . (١)

---

(١) فخر الدين (الرازى) الاربعين فى أصول الدين ص ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر آباد سنة ١٣٥٣هـ وحمد السيد الجليند : الامام ابن تيمية وموقفه من فقيه التأويل ص ٢٦٨

أما الاستدلال بخبر الواحد فى العقائد فقد قال امام الحرمين ،الجوينى - فى بيان عدم الاحتجاج بخبر الآحاد - : وأما الأحاديث التى يتمسكون بها فآحاد لاتفضى الى العلم ، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغا لكن نومئ الى تأويل ما ورد منها فى الصحاح ، فمن ذلك حديث النزول ... (١) .

وقال فى الشامل ... ان الامة لو اجتمعت على العمل بخبر من أخبار الآحاد فاجتماعهم على العمل به لا يوجب القطع بصحته (٢) وقال أيضا :

فاذا ثبت عندك حديث بما ثبت به أخبار الآحاد كنت بالخيار فى تأويله ، فقد اشتمل ما قدمنا على ايضاح الأدلة فى تقدس الرب سبحانه وتعالى عن أحكام الجواهر وخصائصها . (٣)

وقال الباقلانى :

وهذا يعنى خبر الآحاد - لا يوجب العلم على ما وصفناه أولا ، ولكن يوجب العمل ان كان ناقله عدلا ، ولم يعارضه ما هو أقوى منه على حد ما نذهب اليه (٤) .

---

(١) الارشاد ص ١٦١ ، نشر مكتبة الخانجى وأنظر الشامل للجوينى ص ٥٥٧،٥٥٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٥٨

(٣) الشامل للجوينى ص ٥٧٠

(٤) التمهيد ص ١٦٤ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٦هـ .

الرد على الشبهة الأولى القائلة بتقديم العقل على النقل عند التعارض لكونه أصلا للنقل ، ولأن نصوص الكتاب والسنة ، لا تفيد القطع ، واليقين ولأن خبر الآحاد لايعتمد عليها فى العقائد ، هذه الامور الثلاثة هى التى لأجلها أوجبوا تقديم المعقول على المنقول ، وقد رد أهل العلم على هذه الشبهة .

١ ـ تقديم العقل على النقل لكونه أصلا للنقل :

وبدأ شيخ الاسلام فى الاجابة عن هذه الشبهة ، بتوجيه النقض الى نفس المقدمات التى بنى عليها المتكلمون هذه القاعدة ، كما فعل أبو عبدالله (الرازى) فيما تقدم فلنبدأ ببيان تلك المقدمات أولا ، ثم بنقض شيخ الاسلام ثانيا .

بنى علماء الكلام قاعدة تقديم العقل على النقل على ثلاث مقدمات :

المقدمة الأولى :

تسليم امكان التعارض بين الادلة العقلية ، والنقلية حيث كان جماهير علماء الكلام ، من الجهمية والمعتزلة ، وجمهور المتأخرين من الأشاعرة ، يذهبون الى تسليم هذا القول ، مع أنه ليس هناك تعارض بين الدليل العقلى ، والنقلى فى الواقع ، على ما سيأتى تفصيله من شيخ الاسلام .

أما المقدمة الثانية : فهى حصر التقسيم فى الأقسام الأربعة التى بينها " الرازى " وتقريرها هكذا .

اذا تعارضت الأدلة العقلية ، والنقلية ، فلا يخلو الحال حينئذ من تقسيمات أربعة :

اما أن يجمع بينهما ، واما أن يرادا جميعا ، واما أن يقدم النقل على العقل ، واما أن يقدم المعقول على المنقول وهذا هو الصحيح عندهم ، ففى هذه الصور الأربعة حصر الامام " الرازى " الأقسام المحتملة عند التعارض ،أى معارضة العقل والنقل (١)٠

المقدمة الثالثة : اعتقادهم بطلان الأقسام الثلاثة الأول من الاحتمالات الأربعة المتقدمة ، فلم يبق اذا الا تقديم العقل على النقل عند التعارض٠

نقض المقدمات الثلاثة (٢)

حكم شيخ الاسلام ببطلان هذه المقدمات ، وذكر أن القاعدة كان عرضها بطريقة غير صحيحة ، والعرض الصحيح للقاعدة بدلا عن التى ذكرها (الرازى) أن يقال :

اذا تعارض الدليلا ن سواء كانا عقليين ، أو سمعيين أو أحدهما سمعيا ، والآخر عقليا ، فاما أن يكون الدليلان قطعيين ، أو ظنيين ، أو احدهما ظنيا ، والآخر قطعيا ،ففي الصورة الأولى ـ وهى ما اذا كان كل من الدليلين قطعيين ـ لايتصور ، امكان التعارض حينئذ أصلا ، وذلك لاستحالة تعارض الدليلين القطعيين٠ فلا بد من أن يكون الدليلا ن ، أو أحدهما غير قطعى أو لا يكون مدلول كل منهما لايتناقض مدلول الآخر فلا تعارض حينئذ ٠

---

(١) أنظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ،ص ٢ ، ٣ نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض المملكة العربية السعودية٠

(٢) أنظر المقدمات الثلاثة نفس المرجع ج ١ ص ٥٢ ٠

وفى الصورة الثانية ـ وهى ما اذا كان كل من الدليلين ظنيا ، فلابد حينئذ من أن يصار الى طلب ترجيح أحدهما على الآخر ، فأيهما ترجح كان مقدما ، بقطع النظر عن كونه عقليا او نقليا . *

أما فى الاحتمال الثالث وهو ما اذا كان أحد الدليلين قطعيا ، والآخر ظنيا فالواجب حينئذ تقديم القطعى على الظنى ، أيا كان نوعه ، سواء كان عقليا ، أو نقليا ، باتفاق من العقلاء لان الظن لا يدفع اليقين . (١)

ثم لا محيد عما قررنا من القاعدة ، المذكورة ، الا اذا قيل ، ان الأدلة السمعية، لا تفيد القطع ، من أصلها وهذا باطل (٢) ومع هذا لو تنازلنا ، وسلمنا لهم ـ هذا القول ـ وهو عدم افادة الدليل النقلى القطع ـ فلا يستحق التقديم حينئذ لأجل كونه أصلا للنقل ، وانما يستحق التقديم لكونه قطعيا ، بغض النظر عن كونه عقليا أو كونه أصلا للنقل، لأن ذلك لايوجب له التقديم ، خلافا للمتكلمين حيث أنهم جعلوا عمدتهم فى التقديم كون الدليل العقلى أصلا للنقل (٣) .

---

* وقال الشيخ / محمد رشيد رضا / رحمه الله في تفسيره المنار ،ج ١ ،ص ٢٥٣ : واذا تعارض ظنى مع ظنى من كل منهما ، رجحنا المنقول على المعقول ، لأن ما ندركه بغلبة الظن ،من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع ، مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التى يكثر فيها الخطأ جدا .

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ، ص ٥٢ ، ٥٣ ومختصر الصواعف المرسلة ج ١ ،ص ٨٤ ، ٨٥ ،تصحيح زكريا على مطبعة الامام.

(٢) وسيأتى بيان ذلك .

(٣) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ، ص ٥٣ ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ،ص ٨٤ .

والحاصل أن شيخ الاسلام صـــرح بأن ما ذهب اليه المتكلمون من اثبات امكان التعارض بين الدليل العقلى الصريح والسمعى الصحيح ، والجزم بتقديم العقل ، معلوم الفساد بالضرورة ، وهو خلاف ما اتفق عليه العقلاء ..(١) لأنه بين رحمه الله :

١ ــ أن قول الامام (الرازى) ومن تبعه فى ذلك :

(اذا تعارض العقل والنقل) ان أريد به الدليلان القطعيان فلا نسلم امكان التعارض حينئذ ، وان أريد به الظنيان فالراجح هو المقدم ،سواء كان عقليا ، أو نقليا .

" وأما ان أريد به ما أحدهما قطعى (والآخر ظنى) فالقطعى هو المقدم (فى هذه الحالة سواء كان عقليا ، او نقليا) واذا قدر أن العقلى هو القطعى كان تقديمه لكونه قطعيا ، لا لكونه عقليا ، فعلم أن تقديم العقل مطلقا خطأ) .

٢ ــ فبناء على هذا يمتنع انحصار القسمة فى الأقسام الأربعة التى ذكرها " الرازى " لأن هذا الحصر مبنى على امكان التعارض بين الدليلين العقلى والنقلى ومنع تقديم النقل على العقل مطلقا وهذا غير مسلم .

٣ ــ وأما المقدمة القائلة : واما أن يقدم النقل على العقل ، فليس صحيحا ردها على الاطلاق ،اذ من الممكن ان يقال :

---

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ، ص ٥٧

(يقدم العقل تارة ، والسمعى أخرى ، فأيهما كان قطعيا قدم ، (وأما) ان كانا قطعيين ، فيمتنع التعارض (أصلا) وان كانا ظنيين ، فالراجح هو المقدم ، (وبذلك يتضح أن دعوى المدعى) أنه لابد من تقديم العقل مطلقا ، أو السمعى مطلقا او الجمع بين النقيضين دعوى باطلة - بل هناك قسم ليس من هذه الأقسام كما ذكرنا ، بل هو الحق الذى لاريب فيه ،(١)

فبذلك يتضح بطلان المقدمة الثالثة التى هى ابطال الاقسام الثلاثة ، ووجوب تقديم العقل فقط .

فالرازى لم يجعل مناط التقديم قطعية الدليل أورجحانه ، بل جعل مناط - التقديم عند التعارض ، كون العقل أصلا للنقل ، ولهذا فقد فاته امكان التعارض بين الدليلين ، وتقديم أحدهما ، لكونه أرجح ، وفاته أن يقول : بتقديم القطعى مطلقا .

بقى قولهم :

اذا قدمنا النقل كان ذلك طعنا فى أصله الذى هو العقل فيكون ذلك طعنا فى العقل والنقل معا .

هذا الكلام فيه اجمال يحتاج الى التفصيل الآتى :-

فان كان مقصودهم بالعقل الذى قدموه على النقل نفس الغريزة الموجودة فى الانسان ، فهذا المعنى لا يصح ارادته ، وذلك لأن العقل بمعنى الغريزة ، ليست هو الذى

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ، ص ٥٧ .

عارض النصوص في الواقع ، لأن الغريزة ، ليست علما حتى يمكن تعارضها مع النقل وانما هي شرط لحصول العلم" وفهم النصوص ، وما كان شرطا لحصول الشيء كيف يتعارض معه ، فلا يمكن ارادة هذا المعنى . (١)

واما ان كان مرادهم بكون العقل أصلا للنقل ، معنى آخر غير ما تقدم ففيه تفصيل آخر أيضا .

فان قصدوا بذلك ، أن العقل أصل للنقل في ثبوت النقل في نفس الأمر ، فارادة هذا المعنى غير صحيح أيضا لأن النصوص الشرعية ، غير محتاجة الى العقل في ثبوتها في الواقع . لأن الشيء الثابت الموجود ، لا يتوقف ثبوته في الواقع على عقولنا ، فهو موجود ، وثابت ، سواء عقلنا أو لم نعقل ، ومن الأمثلة على ذلك على ما ذكره شيخ الاسلام . وجود المولى ، ووحدانيته سبحانه ، واسماؤه وصفاته وكذلك الملائكة ، والكتب المنزلة ، جميع هذه المعلومات لا يتوقف ثبوتها في الواقع على عقولنا ، بل هي ثابتة وموجودة حتى ولو عدم العقل فكذلك النصوص الشرعية مع عقولنا ، بدون فرق ، لأن النصوص من الكتاب والسنة لا تعتمد في وجودها في نفس الأمر على عقولنا فبذلك يبطل ارادة هذا المعنى أيضا (٢)

وهناك احتمال ثالث ، وهو ما اذا كان قصدهم يكون العقل أصلا للنقل أن المعارف العقلية دلت على صحة النقل ، وليس من شك أن هذا المعنى هو المراد للمتكلمين حينما يقولون :

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ،ج ١ ،ص ٥٩ ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ،ص ٨٥

(٢) موافقة صريح المعقول ج ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ،ص ٨٤ ـ ٨٥ .

" العقل أصل للنقل " (١)

فالجواب عن هذا :

أن ارادة هذا المعنى غير صحيح أيضا ، وذلك لأن المعارف العقلية كثيرة جدا لا يمكن حصرها ، فلا يتصور أن تكون جميع المعقولات أصلا للنقل ، وانما يمكن ذلك في بعض المعقولات ، وهي التي استدل بها على اثبات الصانع وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام — وهذا القسم هو الذي يمكن أن يقال :

انه أصل للنقل لكونه ، دل على صحة السمعيات ، دون ما عداه من العقليات ، ومن هنا نعرف ، أن العقليات ، منها ما هو أصل للنقل ، ومنها مالم يكن كذلك ، ومالم يكن أصلا للنقل ، لا يكون القدح فيه ، قدحا في غيرها ، من العقليات ، فلايكون القدح في هذا القسم من العقليات ، قدحا في أصل السمع ، لأن القدح في بعض العقليات ، لا يكون قدحا في جميعها ، كما أن القدح في بعض السمعيات ، لايكون قدحا في جميعها ٠ (٢) ٠

وأما ما كان أصلا للنقل من المعقولات ، وهو ما به استدل على وجود الصانع وصدق الرسالة ٠

فلا يختلف مع ما جاء به الكتاب والسنة من آيات الصفات والمعاد ، والبعث وصدق الرسالة ، (لأن الحجج السمعية مطابقة للمعقول ، والسمع الصحيح لا ينفك

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ٥٩ ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٨٥

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ، ص ٦٠ ، ٦١ ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٨٥

عن العقل الصريح بل هما أخوان وصل الله تعالى بينهما .... فالكتاب المنزل والعقل المدرك حجه الله على خلقه ، وكتابه هو الحجة العظمى ، فهو الذى عرفناه ، لم يكن لعقولنا سبيل الى استقلالها بادراكه أبدا (١)

وتوضيح ذلك :

أقام القرآن الكريم أدلة كثيرة ـ جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحة ـ على وجود الصانع وربوبيته تعالى كقوله تعالى : ـ

" أفى الله شك فاطر السموات والأرض... الاية) . (٢)

" قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ...) (٣)

" او لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض ، وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى " (٤)

" أفلم ينظروا الى السماء فوقهم ، كيف بنيناها ، وزيناها وما لها من فروج " (٥)

" اولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز ، فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وأنفسهم ، افلا يبصرون " (٦) .

وما الى ذلك من الآيات التى تدعو الى النظر فى الآيات الكونية تارة ، وفى دليل العناية تارة أخرى ، وجاءت هذه الآيات بحمد الله مع أنها ادلة عقلية ، ونقلية ،

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٦٠ ، ٦١
وموافقة صريح المعقول ٦٢ بهامش منهاج السنة النبوية .
(٢) سورة ابراهيم : آية ١٠
(٣) سورة يونس : آية ١٠٠
(٤) سورة الروم : آية ٨
(٥) سورة ق : آية ٦
(٦) سورة السجدة : آية ٢٧

لاتعارض معقولا ، ولا مادلت عليه آيات الصفات ، والمعاد ، والبعث ، والحشر ، وغير ذلك ، مما جاء به الاسلام ، من عقائد ، في حين يزعم المتكلمون أن طريقتهم المشهورة ، لاثبات الصانع تتعارض مع نصوص الصفات .

ويزعم الفلاسفة أن آيات المعاد ، والحشر والبعث الجسماني تتعارض مع الأدلة العقلية ، فأولوا آيات الصفات ، والمعاد ، اعتمادا على عقولهم ، وتقديما للعقل على النقل عند التعارض المزعوم " ومن جعل العلم بالصانع نظريا يعترف أكثرهم بأن من الطرق النظرية التي بها يعلم صدق الرسول ، مالا يتناقض شيئا من السمعيات ، والرازي ممن يعترف بهذا " (١).

والامام ابو الحسن الأشعري ، استدل على اثبات الصانع بطريقة عقلية صحيحة واضحة ، توافق منهج القرآن استدل بالأطوار التي تمر على الجنين ، من نطفة الى علقة ومن العلقة الى مضغة ، حتى يتكامل الجنين .

وبعد الولادة يمر الطفل بعدة مراحل أخرى ، يحتاج فيها الى من ينقله من مرحلة الى أخرى ، من الطفولة الى الشباب ، ومن ذلك الى الكهولة ، ثم الى الشيخوخة والهرم ، وفي جميع هذه المراحل هو يشعر بالحاجة الى غير ينقله من مرحلة الى أخرى ، لأنه يعلم يقينا أنه لاقدرة له على أن يحول نفسه بنفسه ، من شأن الى آخر ، بل يعلم ضرورة أن هناك ناقلا نقله من حالة الى أخرى .

ثم وضح ذلك أبو الحسن الاشعري بأمثلة قال فيها : ان القطن لايجوز ان يتحول غزلا مفتولا ، ثم ثوبا منسوجا بغير ناسج ، ولا صانع ، ولا مدبر - ومن اتخذ قطنا ثم انتظر

---

(١) موافقة صريح المعقول جـ ١ ، ص ٦٣ .

أن يصير غزلا ،مفتولا ،ثم ثوبا منسوجا ، بغير صانع ، ولا ناسج ، كان عن معقول خارجا ، وفى الجهل والجا ، وكذلك من قصد الى برية لم يجد فيها قصرا مبنيا ، فانتظر أن يتحول الطين الى حالة الآجر ، ويتنضد بعضه على بعض ، بغير صانع ولا بان ،كان جاهلا ، واذا كان تحول النطفة علقة ثم مضغة ، ثم لحما ، ودما ، وعظما ، أعظم فى الاعجوبة كان أولى أن يدل على صانع النطفة ، ونقلها من حال الى حال ،وقد قال الله تعالى :ـ

" أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون " (١)

مع تمنيهم الولد ، فلا يكون ، ومع كراهتهم له فيكون .(٢)

وبنفس الطريقه التى استدل بها الامام ابو الحسن الاشعرى استدل غير واحد من أهل العلم قال شارح الطحاوية : وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كان نطفة، وقد خرج من بين الصلب والترائب / والترائب / عظام الصدر / ثم صارت تلك النطفة فى قرار مكين ، فى ظلمات ثلاث ، وانقطع عنها تدبير الأبوين ، وسائر الخلائق ،ولو كانت موضوعة على لوح ،أو طبق ، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئا لم يقدروا ومحال توهم عمل الطبائع فيها ، لأنها موات عاجزة ، ولا توصف بحياة ، ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير ، فاذا تفكر فى ذلك ، وانتقال هذه النطفة من حال الى حال علم بذلك توحيد الربوبيه ، فانتقل منه الى توحيد الالهية .

---

(١) سورة الواقعة : الآيتان ٥٨ ، ٥٩

(٢) ابو الحسن الأشعرى : كتاب " اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، تصحيح وتعليق الدكتور " حمودة غرابة " مطبعة مصرية شركة مساهمة مصرية ٩٥٥

فانه اذا علم بالعقل أن له ربا أوجده ، فكيف يليق به أن يعبد غيره ، وكلما تفكر ، وتدبر ازداد يقينا وتوحيدا " (١) .

والنتيجة التي نريد الوصول اليها ، هي بيان أن هناك طرقا أخرى عقلية لاثبات الصانع ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، لاتتعارض مع الأدلة النقلية .

أما تلك الطريقة للمتكلمين التي هي " طريقة حدوث الأجسام " فانها لايتوقف عليها صحة السمعيات ، فلا تكون أصلا للنقل وبالتالي لا يكون القدح فيها قدحا في السمعيات وفي بيان ذلك يقول شيخ الاسلام :

..... كل ما عارضه السمع مما يسمى معقولا ليس أصلا للسمع يتوقف العلم بصحة السمع عليه ، فلا يكون القدح في شيئ من المعقولات قدحا في أصل السمع (يعني اذا عرفنا أن ما خالف النقل لا يتوقف عليه صحة السمعيات فلا يكون أصلا للنقل ،وما كان أصلا للنقل ، لم يختلف مع النقل ، تبين لنا ، أنه ليس هناك معقولات ،يكون القدح فيها قدحا في أصل النقل) . وجمهور الخلف معترفون بأن المعرفة بالصانع وصدق الرسول ليس متوقفا على ما يدعيه بعضهم ، من العقليات المخالفة للسمع ، والواضعون لهذا القانون كأبي حامد ، والرازي وغيرهما معترفون بأن العلم بصدق الرسول لايتوقف على العقليات المعارضة له " (٢) .

ولو عدلنا عن هذا ، ورجعنا الى القول بأن اثبات الصانع أمر فطري ضروري ، لايحتاج الى نظر عقلي كان كلاما صحيحا حيث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام .

---

(١) شارح الطحاوية ص ٢٨٢

(٢) موافقة صريح المعقول ج ١ ، ص ٦٠ ـ ٦٢ .

فمعرفة الرب أمر مركوز فى نفس كل مولود ـ كما بين ذلك النبى الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله :

كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ـ كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة (راوى الحديث) : اقرأوا ان شئتم " فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) (١) رواه البخارى ومسلم فالفطرة ، المراد بها الاسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب . (٢) وقال البخارى أيضا : الفطرة الاسلام (٣) .

والقول بأن اثبات الصانع أمر فطرى ضرورى ، هو ما ذهب اليه كثير من المحققين ، ومن بينهم أئمة الكلام .

وفى بيان ذلك يقول شيخ الاسلام :

قد بين أن الاقرار بالاعتراف بالخالق فطرى ، ضرورى فى نفوس الناس ، وان كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج الى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس ، وعليه حذاق النظار . (٤)

---

(١) سورة الروم : آية ٣٠ تمام الآية
وأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(٢) رسالة ابن تيمية فى الكلام على الفطرة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ٢ ص ٣٣٣

(٣) أنظر الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب التفسير تفسير سورة الروم .

(٤) رسالة / فى الكلام على الفطرة ، ص ٣٤٥ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ٢ ص لابن تيمية .

ومن الذين اعترفوا بأن معرفة الله أمر فطري ضروري من أئمة علماء الكلام أبو حامد ، والشهرستاني ، وأبو قاسم الراغب ، والرازي ، والآمدي ، وغيرهم وكذلك معرفة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ضروري يضطر اليه الانسان عند ظهور المعجزة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم (١) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أننا نجد في القرآن الكريم أدلة قاطعة تدل على صدق نبوة نبينا وصحة ما جاء به من عند الله دون حاجة الى دليل المتكلمين الذي يعارض الكتاب والسنة.

قال أبو الفرج عبدالرحمن الانصاري المعروف بابن الحنبلي :

والكتاب العزيز كله دليل على صدق رسالته بل كل سورة منه دليل عليه لمكان العجز عن الاتيان بمثلها وقد ورد التحدي بذلك في الكتاب العزيز في خمس مواضع من ذلك قوله تعالى (٢)

" وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين " (٣) .

الموضع الثاني قوله عز وجل :

" قل لئن اجتمعت الانس ، والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (٤).

---

(١) موافقة صريح المعقول ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٣

(٢) رسالة استخراج الجدال من القرآن الكريم : ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ٣ ، ص ٥٤ ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٦٤

(٣) سورة البقرة آية : ٢٢

(٤) سورة الاسراء آية : ٨٨

الثالث :

" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " (١)

الموضوع الرابع :

" أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " (٢)

الموضوع الخامس :

" أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين " (٣)

قال شيخ الاسلام :

ذهب طوائف من النظار الى ان معرفة الله واجبة ، ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد ، وهذا القول انما اشتهر فى الأئمة عن المعتزلة ونحوهم ، ولهذا قال ابو جعفر السمنانى ، وغيره :

ايجاب الأشعرى النظر فى المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال ، وقد دخل فى هذا القول طوائف من الفقهاء ، من أصحاب الأئمة الأربعة ، كالقاضى أبى يعلى وأتباعه ، مثل أبى الفرج الشيرازى ، وأبى الخطاب ، وابن عقيل ، وغيرهم ... وذكر أبو اسحاق الاسفرابينى عن أبى الحسن الاشعرى ، وأصحابه قولين فى المسألة (٤) .

---

(١) هود : آية ١٣

(٢) يونس : " ٣٨

(٣) الطور : " ٣٤

(٤) رسالة فى الكلام على الفطرة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ٢ ، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

قال شارح الطحاوية :

ولا شك أن الاقرار بالربوبية ، أمر فطرى ، والشرك حادث ، طارئ ، والأبناء تقلدوا عن الآباء " (١)

(والى هذه الفطرة الأولى المغروزة فى طباع البشر الاشارة بقوله تعالى :

واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم ـ الى قوله تعالى ـ بلى شهدنا ... الاية) (٢) .

" فالمشركون من عباد الأصنام ، وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به أنه ربهم ، وخالقهم ورازقهم ، وأنه رب السموات ، والأرض ، والشمس والقمر ، وأنه المقصود الأعظم .... (فانه تعالى) فطر الخلق ، كلهم على معرفته ، فطرة توحيد ، حتى من خلق مجنونا مطبقا مصطلما ، لا يفهم شيئا ، ما يحلف الا به ، ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس ، فطرة بالغة" (٣)

وحاصل الكلام :

١ ـ عرفنا مما تقدم ، أن اثبات الصانع ، وصدق الرسالة من الضروريات التى لاتحتاج الى نظر عقلى أصلا .

٢ ـ لو سلمنا أن ذلك يحتاج الى نظر عقلى كما يراه كثير من المتكلمين فهناك أدلة عقلية كثيرة لاثبات الصانع ، وصدق الرسالة ساقها القرآن الكريم

---

(١) شرح الطحاوية ص ٢١٠

(٢) بيان تلبيس الجهمية ص ١٧٥ .

(٣) رسالة فى الفطرة ص ٣٣٧ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢

لم تختلف واحدة منها مع غيرها من نصوص الكتاب ، والسنة ، بالاضافة الى أدلة أخرى عقلية ذكرها العقلاء لاثبات الصانع سوى دليل المتكلمين الذى يزعمون ، أنه عارض مع الادلة النقلية .

٣ـ بهذا يظهر واضحا ،أننا لسنا فى حاجة لاثبات الصانع وصدق الرسالة الى مايسمى بدليل (الحدوث) فلا يقال حينئذ : أن هذا الدليل أصل للنقل ؟ لأن صحة السمعيات لا يتوقف عليه ، فلا يكون الطعن فيه ، طعنا فى العقليات حتى يلزم منه الطعن فى السمعيات ، خلاف ما يدعيه المتكلمون .

٤ـ ليس هناك أصلا أدلة عقلية يتوقف عليها صحة السمعيات تتعارض مع النقليات فبهذا ظهر بطلان قول من يقول من المتكلمين ، بوجوب تقديم العقل على النقل بحجة كونه أصلا للنقل .

فاذا وجدنا دليلا عقليا يتعارض مع ما جاء به الكتاب والسنة ، عرفنا أنه ليس من الادلة العقلية الصحيحة بل هو دليل فاسد ، غير عقلى ،وان ظنه أصحابه أنه من العقليات .

وقد ذكر العلماء (١) أدلة كثيرة للرد على القائلين بوجوب تقديم العقل على النقل ونكتفى بهذا القدر خوف الاطالة .

---

(١) من الذين ذكروا ادلة كثيرة لابطال هذه المقالة ابن قيم الجوزيه فى كتابه " مختصر الصواعق المرسلة " وشارح الطحاوية ، وشيخ الاسلام فى غير موضع من مؤلفاته ولا سيما فى كتابه " العظيم " موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول وكذلك الامام الشاطبى فى كتابه " الاعتصام " .

ب - ج - الرد على القول :

ان نصوص الكتاب والسنة لا تفيد العلم واليقين فلا يؤخذ بها في العقائد في حالة تعارض العقل والنقل سواء في ذلك المتواتر منها وغير المتواتر .

قال ابن قيم الجوزية :

قالوا : الأخبار قسمان ، متواتر ، وآحاد : فالمتواتر وان كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة ، فان الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين ، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات ، والآحاد لا تفيد العلم ، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ، ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية ، وبراهين نقلية ، وهي في التحقيق " كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب " .

ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي ، وعزلوا لأجلها النصوص ١٠ هـ (١)

وقد رد على هذا القول ، وقال بخلافه جمهور علماء الاسلام فهذا القول وان ذهب اليه كبار أئمة الكلام ، الا أنه منقوض من وجوه عديدة ، منها :

أنه قول مبتدع ليس له أصل من مصادر الشريعة ، الكتاب والسنة ، فلا يوجد فيهما ما يدل على صحته .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ، ص ٤٥٤ تصحيح زكريا علي يوسف ، مطبعة الامام ، وشارح الطحاوية ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

بل انه يخالف الكتاب ، وما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ، من السنة ، قولا ، وعملا ، وعلى خلاف ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، من أئمة أهل السنة والحديث ، " وانما قال هذا القول ، جماعة من علماء الكلام ، وبعض من تأثر بهم ، من علماء الأصول ، من المتأخرين ، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم ، دون مناقشة ، ولا برهان .(١)

أما مخالفة هذا القول للكتاب ، فان عدة آيات من كتاب الله تدل على خلافه ، من وجوب الأخذ بخبر الآحاد ، وافادته للعلم ، واليقين .

من ذلك قوله تعالى :ـ

" وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " (٢) .

وقوله تعالى :ـ

يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... الآية " (٣)

وفى قراءة أخرى " فتثبتوا " فدل ذلك على أن خبر الواحد قد يفيد اليقين ، ويحتج به في عموم الدين .

---

(١) رسالة : وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة : لناصر الدين الألباني ص ٥-٦
أنظر : مختصر الصواعق المرسلة جـ ٢ ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ ، تحقيق زكريا على يوسف ـ مطبعة الامام .
(٢) سورة التوبة آية : ١٢٢
(٣) سورة الحجرات آية : ٦

ووجه الدلالة فى الآية الأولى : أن " الطائفة ، تقع على الواحد فما فوقه فى اللغة فأفادت الآية ، أن الطائفة تنذر قومها ، اذا رجعت اليهم ، والانذاره الاعلام بما يفيد العلم ، وهو يكون بتبليغ العقيدة ، وغيرها مما جاء به الشرع،

أما الآية الثانية : فانها دلت بمفهوم المخالفة على أن خبر الواحد ، العدل يفيد صحة النقل ، حيث كان فيها " الأمر بالتثبت عن خبر الفاسق ، فان الله تعالى ، لم يأمر بالتثبت عن خبر العدل الضابط ، " فدل هذا وأمثاله على أن خبر الواحد العدل يفيد العلم " (١)

أما مخالفتها للسنة النبوية ، فمن ناحيتين :

١ـ مخالفتها للسنة العملية الفعلية

٢ـ مخالفتها للسنة القولية .

ومن الأمثلة على مخالفتها للسنة القولية ، ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث (معاذ) رضى الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام ، وهو يخاطب (معاذا) رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن :

انك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز وجل .

وفى رواية أخرى : " فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، فاذا عرفوا الله فأخبرهم ، أن الله فرض عليهم خمس صلوات ...) الحديث (٢)

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ،ص ٤٩٦ ،٤٩٧ ، ومذكرة أصول الفقه للشيخ : محمد الأمين الشنقيطى ،ص ١١٠ ، ١١١ من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ورسالة : وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة ، لمحمد ناصر الدين الالبانى ج ٧

(٢) ناصر الدين الالبانى : وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة ،ص ١١ والحديث متفق عليه ، وللفظ المسلم ـ أنظر الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب: " الزكاة" باب اخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا وباب لاتؤخذ كرائم أموال الناس فى الصدقة.

ففى كلتا الروايتين أمر النبى صلى الله عليه وسلم (معاذا) رضى الله عنه ، بابلاغ العقيدة أولا ، قبل غيرها ، من أحكام الشريعة الاسلامية ، ففى الرواية الأولى ، الأمر بعبادة الله ، وحده ، دون غيره ، وعبادة الله وحده ، هى صلب العقيدة ، وقطب رحاها ، ولأجلها ، أنزل الله الكتب ، وأرسل الرسل وكذلك الرواية الثانية صريحة فى الأمر بالابتداء بالشهادة ، ومعرفته تعالى .

والشهادة ، ومعرفة الله تعالى ، هما أول باب يدخل المرء منه الى الاسلام .

فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم بصحة الخبر ، وكانت دلالة النصوص ظنية ، لم يكتف عليه الصلاة والسلام بارسال (معاذ) وحده رضى الله عنه (١)

فلابد على رأى المتكلمين من ارسال عدد متواتر لا يتواطئو على الكذب ، بل لابد من اضافة أدلة عقلية ، يستفاد منها العلم ، واليقين بجانب النصوص النقلية ، لكونها غير كافية فى افادة اليقين فى نظرهم .

أما مخالفتها للسنة العملية - عمل رسول الله ، وفعله عليه الصلاة والسلام - فلأننا نعلم يقينا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث الدعاة من أصحابه الى الآفاق ، وأنحاء العالم ، أفرادا وجماعات ، لنشر العقيدة ، وتعليم الأحكام ، " كما أرسل عليا ، ومعاذا ، وأبا موسى الأشعرى الى اليمن فى نوبات مختلفة " ولو كان خبر الآحاد ، لا يصلح أن يكون حجة فى العقائد لما اكتفى النبى صلى الله عليه وسلم بهؤلاء الأفراد من الصحابة رضى الله عنهم ، وكيف لم يعارضهم أحد من المرسل اليهم قائلا :

---

(١) رسالة : وجوب الأخذ بحديث الآحاد ص ١١

لانقبل دعوتكم ، لأنكم آحاد ، وخبر الآحاد لا نقوم به الحجة ، وأن دلالة النصوص ظنية ، لايستفاد منها اليقين ، ولم يثبت أن أحدا منهم قال ذلك . (١)

وهذا يدل على شيئين :

١ ـ أن خبر الآحاد يفيد العلم بصحة النقل .

٢ ـ وأن الخبر المنقول يفيد العلم ، واليقين ، والا لم يكتف بمجرد الاخبار .

قال ابن قيم الجوزية :

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه ، فتقوم الحجة على من بلغه ، وكذلك قامت حجته علينا ، بما بلغنا العدول ، الثقات من أقواله وأفعاله ، وسنته ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد ، أو اثنان ، أو ثلاثة ، او أربعة ، أو دون عدد التواتر وهذا من أبطل الباطل .

فيلزم من قال :

ان أخبار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تفيد العلم أحد أمرين :

اما أن يقول ان الرسول لم يبلغ غير القرآن ، وما رواه عنه عدد التواتر ، وما سوى ذلك لم تقم به حجة ، ولا تبليغ ، واما أن يقول ان الحجة ، والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علما ، ولا يقتضى عملا ، واذا بطل هذان الأمران ، بطل القول بأن

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، تصحيح زكريا على يوسف مطبعة الامام ، ورسالة : وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة ، ص ٨ ، ١١ ـ ومذكرة أصول الفقه ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ، ص ١١٠ ـ ١١١ مطبعة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

وشارح الطحاوية ص ٣٣٨ .

أخباره — صلى الله عليه وسلم ، التى رواها الثقات العدول ، الحفاظ ، وتلقتها الأمة بالقبول ، لاتفيد علما وهذا ظاهر لاخفاء فيه . (١)

وبالاضافة الى هذا ، اذا نظرنا الى ما ورد فى السنة من نصوص الصفات نجد الرواية فيها ، منقسمة على النحو التالى :—

١— منها ما تواتر وروده ، بألفاظ واضحة الدلالة على المعنى المقصود منها ، لا اشكال فيها . ولاخفاء بحيث يستفاد من مجموع رواياتها ، القطع واليقين ، وذلك مثل النصوص الواردة فى اثبات استوائه تعالى على عرشه ، وعلوه فوق خلقه ، لأننا لو جمعنا كل ما ورد من النصوص فى اثبات الاستواء والعلو والفوقية وجدناها متواترة ، تواترا معنويا (بعبارات متنوعة ، من وجوه متعددة ، يمتنع فى مثلها فى العادة التواطؤ على الكذب عمدا ، أو سهوا ، واذا كانت العامة ، والخاصة المعهودة من حال سلف الأمة ، وخلفها تمنع التواطؤ ، على الاتفاق على الكذب فى هذه الأخبار ، ويمتنع فى العادة ، وقوع الغلط فيها أفادت العلم واليقين ... فكل عالم بهذه الأحاديث وطرقها ، ونقلها ، وتعددها ، يعلم علما يقينيا ، لاشك فيه ، بل يجد نفسه مضطرة الى ثبوتها أولا ، وثبوت مخبرها ثانيا ، ولايمكن دفع هذين العلمين عن نفسه .

" والعلم الأول " ينشأ من جهة معرفته بطرق الأحاديث وتعددها وتباين طرقها ، واختلاف مخارجها وامتناع التواطؤ زمانا ومكانا على وضعها .

والعلم الثانى ينشأ من جهة ايمانه بالرسالة ، والرسول صادق فيما يخبر به) (٢)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة جـ ٢ ، ص ٤٩٨

(٢) مختصر الصواعق المرسلة جـ ٢ ، ص ٤٧٠ — ٤٧١ .

قال الاستاذ : محمد الجلبند :

وهذا كتاب الله من أوله الى آخره ، مليئ بما هو اما نص واما ظاهر فى أنه تعالى فوق كل شيئ :

فتارة يخبرنا بأنه على عرشه ، استوى فى سبعة مواضع من القرآن ، وبأنه استوى الى السماء ، وتارة يعبر عن هذا المعنى بصعود الأشياء ، وعروجها اليه ، وتارة يخبرنا ، بأن عنده بعض مخلوقاته ، يسبحون له بالليل ، والنهار ، وتارة يعرج الملائكة ، والروح اليه ، وتارة يرفع بعض الأنبياء اليه ، الى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى .

وقد عبرت السنة المطهرة عن هذا المعنى ، فى كثير من الأخبار مثل قصة المعراج ، وصعود الملائكة ، ونزولها ، من عنده ، فهذه الأخبار ، والآيات ، مع تنوعها فى التعبير واختلافها فى الاسلوب ، تؤكد جميعها معنى واحدا هو ثبوت صفة العلو لله . (١)

ومن الصفات التى تواترت بها لنصوص معنى ، صفة النزول أى نزول الرب الى سماء الدنيا ، وكل من تتبع ما جاء من الروايات التى تثبت لله تعالى صفة (النزول) وصل يقينا الى وجوب اثبات صفة النزول له تعالى دون تأويل مع اختلاف ألفاظها وتنوع طرقها .

ذكر (الذهبى) فى كتابه "العلو" ان حديث النزول قد بلغ حد التواتر المعنوى لكثرة طرقه وقوتها (٢) .

---

(١) الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٣٨٢ ، ٣٨٣

(٢) أنظر العلو للعلى الغفار ص ٧٩

ب ـ ومنها ما جاء فيها رواية مستفيضة مشهورة تلقته الأمة بالقبول من ذلك ما ورد فى اثبات صفة (اليد) والوجه ، والعين ، كل هذه الصفات جاءت النصوص المستفيضة المشهورة فى السنة باثباتها وتلقاها علماء السنة بالقبول اجماعا واستفادوا منها القطع ، واليقين ، بحيث لا يبقى مجال لاحتمال عدة معان سوى ما دلت عليه على الوجه الذى يليق بجلال الله ، وعظمته .

ونأخذ صفة اليد مثالا لذلك :

جاءت السنة المطهرة ، مؤيدة لطريقة القرآن فى اثبات صفة اليد له تعالى ، فأوضحت المقام بما لا مجال للشك فى اثبات صفة اليد له تعالى بروايات متعددة ، مختلفة الألفاظ ، متحدة المعانى

ومن هذه الروايات ما ثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يد الله ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض ما فى يده ، وكان عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع . (١)

وفى حديث آخر :

جاء جبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع ، والأرض على اصبع والجبال على اصبع ، والشجر والأنهار على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، ثم يقول بيده ، أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :

---

(١) صحيح البخارى فى كتاب التوحيد ، باب ما يذكر فى الذات ، والنعوت واسامى الله .

وما قدروا الله حق قدره (١)

وفى روايــة للبخارى ،فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ ،

وما قدروا الله حق قدره . وفى روايــة عن عبيدة عن عبد الله فضحك رسول الله تعجبا وتصديقا لــه . (٢)

وفى روايــة جاء حبر من اليهود فقال : انه اذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع والأرضين على اصبع ... والخلائق على اصبع ثم يهزهن ، ثم يقـــول، أنا الملك ...) الحديث (٣)

وفى روايــة عن ابن عباس رضى اللــه عنه قال :

مر يهودى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه ، والأرضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، فأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره)(٤) *

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب التوحيد ، باب بما جاء في قول الله تعالى : ان رحمة اللــه قريب من المحسنين

(٢) أنظر صحيح البخارى فى كتاب التوحيد ، باب ما يذكر فى الذات والنعـــوت وأسامى اللــه .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم

(٤) توحيد ابن خزيمه ص ٧٨ نشر مكتبة الكليات الأزهريــة بتعليق الدكتور محمد خليل هراس .

(*) هذه الروايــة تفيد أن الآيــة انما نزلت بسبب قول اليهودى والرواية التى قبلها (للبخارى) تدل على أن الآيــة كانت موجودة فتلاها النبى صلى اللــه عليــه وسلم عند سماع كلامه وهو أقرب الى الصواب ، فان الآيــة مكية والحديث كان بالمدينة ، افادة دكتور / محمد خليل هراس / فى تعليق له علـــى كتاب (التوحيـد) لابن خزيمــة ص ٧٨ .

وعن أبى هريرة قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض . (١)

ومع ايماننا بهذه الصفات ، وتصديقنا بثبوتها له تعالى حقيقة ، نقول كما قال الحافظ ابن خزيمة رحمه الله :

" جل ربنا عن أن تكون أصابعه كاصابع خلقه ، وان يشبه شيئ من صفات ذاته ، صفات خلقه وقد أجل الله قدر نبيه صلى الله عليه وسلم ، عن أن يوصف الخالق البارى بحضرته بما ليس من صفاته ، فيسمعه ، فيضحك عنده ، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكا تبدو نواجزه ، تصديقا وتعجبا لقائله لا يصف النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة ، مؤمن مصدق برسالته (٢)

وسيأتى ذكر أدلة الكتاب والسنة لاثبات سائر الصفات الخبرية عند التعرض لكل صفة فيما بعد ان شاء الله تعالى .

ومقصودنا هنا ، بيان أن نصوص الصفات لم تكن ظنية الدلالة ، محتملة لعدة معانى بحيث يصرف اللفظ عن ظاهره لدليل عقلى ، وهل يمكن ادعاء الاحتمال لعدة معان ، كلها ظنية ، مع هذه الروايات التى توضح المراد وتفيد العلم واليقين (٣) .

ومع وضوح دلالة هذه النصوص على المعانى المقصودة منها ، فان علماء الامة من

---

(١) البخارى فى صحيحه فى كتاب التفسير فى تفسير سورة " الزمر "

(٢) توحيد ابن خزيمة ص ٧٦

(٣) قال ابن قيم الجوزية : ورد لفظ " اليد " فى القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين فى أكثر من مائة موضع ، ورودا متنوعا متصرفا فيه ، مقرونا بما يدل على أنها يد ، حقيقة من الامساك ، والطى ، والقبض ..) هـ مختصر الصواعق المرسلة جـ٢ ص ٣٤٨ ، فعلى هذا تكون النصوص الواردة فى اثبات صفة اليد له تعالى متواترة ، تواترا معنويا .

المحدثين الحفاظ تلقوها بالقبول وما تلقته الامة بالقبول ، فهو يفيد القطع واليقين ، كما صرح بذلك جمع من الأئمة .

قال أبو العباس ابن تيمية : وهو يبين أن خبر الواحد قد يفيد القطع : فلو كان الحديث كذبا في نفس الأمر ، والأمة مصدقة له قابلة ، لكانوا قد أجمعوا على تصديق ما هو في نفس الأمر كذب ، وهذا اجماع على الخطأ ، وذلك ممنوع ، وان كنا نحن بدون اجماع نجوز الخطأ أو الكذب على الخبر ... فاذا أجمعوا على الحكم جزمنا بأن الحكم ثابت باطنا وظاهرا ، فلهذا كان جمهور أهل العلم على أن خبر الواحد يفيد العلم واليقين ، اذا تلقته الأمة بالقبول كما ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب الأئمة الأربعة ما عدا طائفة قليلة ، تأثرت بكلام بعض المتكلمين الذين قالوا :

= تابع ماقبله :

وقال ابن قيم أيضا : وقال عبدالله بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ ان الله خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ـ أفيصح أن يخص الثلاث بقدرته ، ولا سيما لفظ الحديث " ان الله لم يخلق بيده الا ثلاثة أشياء " أفيصح أن توضع النعمة ، والقدرة موضع اليد ههنا ١٠ هـ مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ، ص ٣٤٩ تصحيح زكريا على يوسف مطبعة الامام ، وانظر العلو للعلى الغفار ص ٩٥ .

انه لايفيد الجزم بصحة الخبر ، على أن كثيرين او الأكثر من أهل الكلام " يوافقون الفقهاء ، وأهل الحديث ، والسلف على ذلك أذا كان الاجماع على تصديق الخبر موجبا للقطع به ، فالاعتبار فى ذلك اجماع أهل العلم بالحديث ، كما أن الاعتبار فى الاجماع على الأحكام باجماع أهل العلم بالامر والنهى والاباحة" (١)

وقال شارح الطحاوية :

وخبر الواحد اذا تلقته الأمة بالقبول ، عملا به وتصديقا له : - يفيد العلم / اليقين / عند جماهير الامة وهو أحد قسمى المتواتر ، ولم يكن بين سلف الأمة فى ذلك نزاع " (٢)

وقال الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى كتبه فى الأصول كالتبصرة، وشرح (اللمع) وغيرهما ، وهذا لفظه فى الشرح :

" وخبر الواحد اذا تلقته الأمة بالقبول يوجب العلم والعمل سواء عمل به الكل أو البعض ... وصرحت الحنفية فى كتبهم بأن الخبر المستفيض يوجب العلم" (٣) .

وممن صرح بأن خبر الآحاد يفيد العلم واليقين اذاتلقته الأمة بالقبول ، القاضى أبو يعلى حيث يقول :

يعمل به يعنى خبر الآحاد فى الديانات اذا تلقته الأمة بالقبول .

وقال أيضا :

---

(١) مقدمة فى اصول التفسير / لشيخ الاسلام بن تيمية ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩.
والصواعق المرسلة ج ٢ ص ٤٨٣ ، ٤٧٦

(٢) شارح الطحاويه ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ورسالة / وجوب الاخذ بحديث الآحاد ص ٢٤

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ، ص ٤٧٥ .

مذهب الحنابلة أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لاثبات أصول الديانات (١)

قال بن قيم الجوزية :

وانما أتى منكر افادة خبر الواحد للعلم ، من جهة القياس الفاسد فانه قاس (خبر) المخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرع عام للأمة ، او بصفة من صفات الرب تعالى على خبر الشاهد على قضية معينة ، ويابعد ما بينهما فان المخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قدر أنه كذب عمدا أو خطأ ولم يظهر ما يدل على كذبه لزم من ذلك اضلال الخلق ، اذ الكلام فى الخبر الذى تلقته الأمة بالقبول ، وعملت بموجبه وأثبت به صفات الرب ، وأفعاله ، فان ما يجب قبوله شرعا من الاخبار لا يكون باطلا فى نفس الأمر ، ولا سيما اذا قبلته الامة كلها ، وهكذا يجب أن يقال فى كل دليل يجب اتباعه شرعا لا يكون الا حقا فيكون مدلوله ثابتا ، فى نفس الأمر .

هذا فيما يخبر به عن شرع الرب تعالى ، واسمائه ، وصفاته بخلاف الشهادة المعينة على مشهود عليه معين فهذا قد لا يكون مقتضاها ثابتا فى نفى الامر " (٢) .

وهناك جمع من الأئمة لم يشترط لوجوب الأخذ بخبر الآحاد سوى شرط واحد وهو ان يكون الحديث مما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من حكى اجماع العلماء على ذلك .

وممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم ، مالك والشافعى وأصحاب أبى حنيفة ، وداود بن على وأصحابه كأبى محمد بن حزم ... قال ابن خواز (٣) منداد فى كتاب

---

(١) شرح لنبذة السفارينى ص ١٩

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩ .

(٣) وهو محمد بن خواز منداد ، مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٧٦ المطبعة السلفية .

أصول الفقه ـ وقد ذكر خبر الواحد الذى لم يروه الا الواحد والاثنان : ويقع بهذا الضرب أيضا العلم الضرورى نص على ذلك مالك وقال أحمد فى حديث الرؤية نعلم انها حق ويقطع على العلم بها وكذلك روى المروذى فقال :

قلت لأبى عبد الله :

ههنا اثنان يقولان ان الخبر يوجب عملا ، ولا يوجب علما فعابه ، وقال لا أدرى ماهذا ؟

وقال القاضى : وظاهر هذا أنه يسوى بين العلم والعمل .

وقال القاضى فى أول المخبر :

خبر الواحد يوجب العلم اذا صح سنده ، ولم تختلف الرواية فيه وتلقته الأمة بالقبول وأصحابنا يطلقون القول فيه ، وأنه يوجب العلم وان لم تتلقه (الأمة) بالقبول قال : والمذهب على ما حكيت لاغير (١) .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة جـ ٢ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ .

وأما مخالفة هذا القول لما كان عليه عامة السلف ، وعلماء السنة

فبيان ذلك :

ان سلف هذه الأمة ، وأئمة الحديث ، والفقه من بعدهم متفقون جميعا على قبول خبر الآحاد واثبات الصفات له به ولم يخالفهم فى ذلك سوى طائفة من علماء الكلام الذين وافقوا الجهمية والمعتزلة فى رد خبر الآحاد قال العلامة بن قيم الجوزية :

فهذا الذى اعتمده نفاة العلم من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم خرقوا به اجماع الصحابة المعلوم بالضرورة واجماع التابعين واجماع أئمة الاسلام ، ووافقوا به المعتزلة والجهمية ، والرافضة والخوارج الذين انتهكوا هذه الحرمة ، وتبعهم بعض الأصوليين ، والفقهاء ، والا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك ، بل صرح الأئمة بخلاف قولهم ، (١) وذكر ابن قيم أيضا :

أن هذا الاختلاف مسبوق بانعقاد (الاجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث واثبات صفات الرب تعالى بها ، فهذا لايشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول ، فان الصحابة هم الذين رووا هذه الأحاديث وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول ، ولم ينكرها أحد منهم على من رواها ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم الى آخرهم ومن سمعها منهم تلقاها بالقبول والتصديق لهم ، ومن لم يسمعها منهم تلقاها من التابعين كذلك وكذلك تابع التابعين مع التابعين .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٤٧٤ .

هذا أمر يعلمه ضرورة أهل الحديث (١) .

" وكان أحدهم " أحد الصحابة " اذا روى لغيره حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصفات تلقاه بالقبول ، واعتقد تلك الصفة به على القطع ، واليقين ، كما اعتقد رؤية الرب وتكليمه ونداءه يوم القيامة لعباده بالصوت الذى يسمعه البعيد كما يسمعه القريب ، ونزوله الى سماء الدنيا كل ليلة وضحكه ، وفرحه ، وامساك سمواته على اصبع من أصابع يده ، واثبات القدم له .

من سمع هذه الأحاديث ممن حدث بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صاحبه اعتقد ثبوت مقتضاها بمجرد سماعها من العدل الصادق ...

ومن له أدنى المام بالسنة ، والالتفات اليها يعلم ذلك ولولا وضوح الأمر فى ذلك لذكرنا أكثر من مائة موضع . (٢) وهذا ابو هريرة رضى الله عنه مع تفرده بكثير من الحديث لا يشكون فى خبره (ولم يقل له أحد منهم يوما واحدا من الدهر خبرك خبر واحد لا يفيد العلم وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فى صدورهم من أن يقابل بذلك وكان المخبر لهم أجل فى أعينهم وأصدق عندهم من أن يقولوا له مثل ذلك (٣) .

فهم " لم يكونوا يعرفون هذه الفلسفة التى تسربت الى بعض المسلمين من بعدهم من التفريق بين العقائد والأحكام " (٤) .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٥٢٤

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٤٧٤

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٤٧٤

(٤) رسالة وجوب الاخذ بحديث الآحاد ص ٨

اقوال الائمة فى عدم معارضة المنقول بالمعقول اذا صحت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

سأل رجل الشافعى عن حديث فقال ، هو صحيح فقال له الرجل ، فما تقول؟ فارتعد ، وانتفض ، وقال أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، اذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت بغيره " (١)

وثبت عنه أيضا أنه قال :

وهل لاحد مع رسول الله قول ٠ (٢)

وقال اسحاق بن عيسى :

سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال فى الدين ، ويقول كلما جاءنا رجل أجدل من رجل ، أردنا أن نرد ما جاءنا به جبريل عليه الصلاة والسلام الى النبى صلى الله عليه وسلم (٣)

وقال مالك أيضا :

لاتعارضوا السنة وسلموا لها ٠ (٤) ٠

وذكر ابن جرير فى كتاب (تهذيب الآثار) له عن مالك قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تم هذا الأمر واستكمل فانما ينبغى أن تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) السيوطى : مفتاح الجنه فى الاحتجاج بالسنة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية جـ ٤ ص ٥٤

(٢) مختصر الصواعق المرسلة جـ ٢ ، ص ٤٦٦

(٣) السيوطى : مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية جـ٤ ص ٣٤

(٤) نفس المصدر جـ ٤ ص ٤٩

ولا تتبع الرأى فان من اتبع الرأى ، جاء رجل آخر أقوى منه فى الرأى فاتبعه ، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته ، (١)

وقال الامام الأوزاعى رحمه الله :ـ

اذا بلغك عن رسول الله حديث فاياك أن تقول بغيره فان رسول الله ، كان مبلغا عن الله تعالى ٠ (٢) ٠

وفى رواية أخرى عنه قال :

عليك بآثار من سلف ، وان رفضك الناس ، واياك ، وآراء الرجال وان زخرفوا لك القول ٠ (٣)

وعن قتادة قال :

حدث ابن سيرين رجلا ، بحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل :

قال فلان كذا وكذا فقال ابن سيرين :

أحدثك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وتقول قال فلان والله لا اكلمك أبدا (٤) ٠

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى الناس ، أنه لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ (٥) ٠

---

(١) اعلام الموقعين ج ١ ص ٧٨ بتعليق / محمد محى الدين عبد الحميد

(٢) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنه ضمن مجموعة الرسائل المنيريه ج ٤ ص ٣٤

(٣) اعلام الموقعين ج ١ ، ص ٥٧

(٤) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ٤ ص ٤٣

(٥) اعلام الموقعين ج ١ ص ٧٤

وفى رواية أخرى له أيضا :

أنه كتب : لا رأى لأحد فى كتاب الله ، ولا فى سنة سنها رسول الله وانما رأى الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب الله ، ولم تمض به سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

وعن يحيى بن آدم قال :

لا يحتاج مع قول النبى صلى الله عليه وسلم الى قول أحد ، وانما كان يقال سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر ، وعمر ، ليعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم مات وهو عليها. (٢).

وعن ابن شهاب رحمه الله تعالى قال :-

دعوا السنة تمضى لا تعرضوا لها بالرأى. (٣).

وذكر ابن وهب عن ابن شهاب ، أنه قال : وهو يذكر ما وقع فيه الناس ، من هذا الرأى وتركهم السنن ، فقال : ان اليهود ، والنصارى انما انسلخوا من العلم الذى بأيديهم حين اتبعوا الرأى وأخذوا فيه. (٤)

وعن عروة بن الزبير قال :

ما زال أمر بنى اسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون ، أبناء سبايى الأمم ، فأخذوا فيهم بالرأى ، فأضلوهم. (٥).

---

(١) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ٤ ص ٤٣

(٢) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ص ٣١

(٣) اعلام الموقعين ج ١ ص ٧٤

(٤) اعلام الموقعين ج ١ ص ٧٤

(٥) نفس المصدر ونفس المكان

ثم انه اذا كانت دلالته الألفاظ ظنية لم يكن هناك معنى لوجوب الرد ، الى كتاب الله تعالى ، عند التنازع فى مسألة اعتقادية ، مع أن الله أمرنا بالرد الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند التنازع ، لم يفرق فيما تنوزع فيه ، بين أن يكون حكما عمليا أو حكما اعتقاديا قال تعالى : " فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول " " فشيء " نكرة وقعت فى سياق الشرط ، فهى تعم جميع الأشياء المتنازع فيها .

قال محى السنة المعروف بأبى شامة :

ولم يختلف المفسرون فيما وقفت عليه من كتبهم فى أن قوله تعالى : " فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول " تقديره ، الى قول الله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيجب رد جميع ما اختلف فيه الى ذلك . (١) . اهـ

وعجب أمر هؤلاء القائلين بأن دلالة الالفاظ ظنية فلا يعول عليها فى افادة اليقين . كيف يقولون هذا ولو صح قولهم هذا ما استطعنا أن نقيم حجة ضد خصم اذ تكون دلالة الألفاظ الواردة فى مقدمات الدليل ، ظنية ، فلا تفيد المقدمات اليقين ، فلا يكون هناك برهان يقينى أصلا ، وليس كل احتمال ينفى جزم العقل ان الاحتمال الذى يقوم الدليل على خلافه ، لاعبرة به ، والعبرة فى دلالة اللفظ هو المعنى المتبادر لمن ورد اللفظ خطابا لهم ، والذى يرشد اليه سياق الكلام .

---

(١) مختصر كتاب المؤمل ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ٣ ص ٢٧

واجمال القول أن نصوص الكتاب والسنة الواردة فى الصفات ليست ظنية كما يقال.

فاذا صح شيئ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرآنا أو حديثا كانت دلالته قطعية فالمتواتر ، ونقل الواحد بالشروط المعروفة عند علماء الحديث ، الذى تلقته الأمة بالقبول ، كلاهما يفيد العلم ، بورود المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبوت مدلوله بالقطع واليقين ، غير أن علماء الكلام ، لما كانت خبرتهم لصناعة الحديث قليلة ، ليس لديهم اطلاع واسع على جميع المرويات وطرق الاحاديث المتعددة التى يستفاد منها العلم واليقين - ظنوا أن نصوص الكتاب والسنة لاتفيد العلم ، واليقين.

فقولهم :

ان الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين ، انما هو أمر نسبى خاص بهم ، لا يعم جميع الناس (١) ، لأن المحدثين الحفاظ الذين لهم المعرفة الشاملة بجميع المرويات والا طلاع التام على جميع طرق الاحاديث وأسانيدها ، استفادوا منها العلم واليقين دون شك.

قال شارح الطحاوية :

" ومن له عقل ، ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم / من / العلم بأحوال نبيهم ، وسيرته وأخباره ، ما ليس لغيرهم به شعور ، فضلا أن يكون معلوما لهم او مظنونا ، كما أن النحاة عندهم من أخبار سيبويه ، والخليل وأقوالهما ماليس عند غيرهم ، وعند الاطباء من كلام "بقراط" و " جاليستوس" ماليس عند غيرهم ، وكل

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٤٧١ .

ذى صنعة هو أخير بها من غيرهم ٠(١)

وقال ابن قيم الجوزيـة :

ان كون الدليل من الأمور الظنيـة ،أو القطعيـة ، أمر نسبى يختلف باختلاف المدرك المستدل ، ليس هو صفة للدليل فى نفسه فهذا أمر لاينازعه فيه عاقل ، فقد يكون قطعيا عند زيد ما هو ظنى عند عمرو ، فقولهم :ـ

ان أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لاتفيد العلم ،بل هى ظنيـة هو اخبار عما عندهم ، اذ لم يحصل لهم من الطرق التى استفاد بها العلم ،أهل السنة ،ما حصل لهم ، فقولهم لم تستفد بها العلم لم يلزم منها لنفى العام على ذلك (٢) " فانكار هؤلاء لما علمه أهل الوراثة النبوية من كلام نبيهم أقبح من انكار ما هو مشهور من مذاهب الائمة عند أتباعهم ٠٠٠ فاذا اجتمع فى قلب المستمع لهذه الأخبار : العلم بطريقها ، ومعرفة حال رواتها وفهم معناه حصل له العلم الضرورى الذى لا يمكنه رفعه ولهذا كان جميع أئمة الحديث الذين لهم لسان صدق فى الأمة قاطعين بمضمون هذه الأحاديث شاهدين بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم جازمين بأن من كذب بها أو أنكر مضمونها فهو كافر مع علم من له اطلاع على سيرتهم واحوالهم بأنهم من أعظم الناس صدقا وأمانة وديانة وأوفرهم عقولا ،وأشدهم تحفظا وتحريا للصدق ، ومجانبة للكذب ٠٠٠ (٣)٠

---

(١) شارح الطحاوية ص ٣٣٩ ومختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ، ص ٤٧١

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٥٢٣ ، ٤٨٤

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ ٠

ثانى أسباب التأويل أو الشبهة الثانية

من أسباب التأويل ، الألفاظ العامة المشتركة ، والزعم بأن المعنى المشترك فيه ، أمر يوجب التشبيه ، فقد تنازع الناس ، واختلفت مذاهبهم ، فى الأسماء والصفات ، تبعا لاشتراك الخالق ، والمخلوق ، فى المعنى العام ،وبيان ذلك : أنه جاء فى القرآن الكريم ، ألفاظ أطلقت ، على الخالق كما تطلق على المخلوق ، كالموجود والحى ، والعليم ، والقدير وغير ذلك من الأسماء (١) قال تعالى :

(والله على كل شيء قدير) .

فقد أطلق على نفسه أنه قدير

وقال عن المخلوقين :

" الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم " (٢) فأثبت للعباد قدرة فيسمون باعتبارها قادرين ،

وقال فى وصف نفسه بالارادة :

" فعال لما يريد " وقال فى حق العباد :

" تريدون عرض الدنيا " وقال سبحانه : " ان يريدون الا فرارا فالله مريد ، ويطلق على العبد أيضا أنه مريد ".

---

(١) منهاج السنة النبوية ج١ ص ٣٣٦ - ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٢٠٢ و " التحفة المهدية " شرح الرسالة التدمرية ج ٢ ص ١٠ - ١ ٢ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ .

(٢) المائدة : ٣٤

ومن أسمائه العليم ، وأطلق العليم على المخلوق فقال :

" والله بكل شيئ عليم " : " قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم " (١)

وقد سمى صفاته بأسماء كالعلم ، والقدرة .

وقال في وصف نفسه بالعلم :

" ولا يحيطون بشيئ من علمه " (٢) وقال في حق المخلوقين " وانه لذو علم لما علمناه " (٣)

وقال في وصف نفسه عز وجل بصفة الرزق : ان الله هو الرزاق " (٤) " ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها . وقال في حق المخلوقين : واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه " (٥)

وقال عز من قائل :

" وعلى المولود له رزقهن " (٦)

ووصف نفسه بالاستواء ، كما وصف المخلوق عز وجل بذلك فقال في وصف سفينة نوح عليه السلام بالاستواء :

" واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين " (٧) كما وصف نفسه سبحانه بالاستواء في سبع مواضع من الذكر الحكيم من ذلك قوله عز وجل في سورة (طه) " تنزيلا ممن خلق الأرض ، والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى " (٨) الى غير ذلك من الصفات التي وصف بها الخالق ، والمخلوق كالرضى والغضب والحب (٩) .

---

(١) الذاريات : ٢٨
(٢) البقرة : ٢٥٥
(٣) يوسف : ٢٨
(٤) الذاريات : ٥٨
(٥) النساء : ٨
(٦) البقرة : ٢٣٣
(٧) هود : ٤٤ (٨) الايتان : ٤ ، ٥
(٩) تفسير أضواء البيان ج ٢ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٥ مطبعة المدني على صحيح المدني .

فان اسماء هذه الصفات عامة مشتركة ، فهل يلزم من الاشتراك فى المعنى العام ، التشبيه ، أولا يلزم ذلك ؟

واليك فيما يلى بيان مذاهب الناس فى هذه المسألة فذهب قوم الى القول :

بأن هذه الأسماء ، والصفات ، عامة مشتركة ، اشتراكا معنويا ، وليس الاشتراك فى مجرد اللفظ وهذا ما ذهب اليه جمهور الطوائف ، من الأولين والآخرين " وهو مذهب المعتزلة ، والشيعة ، والأشعرية ، والكرامية ، وهو مذهب سائر المسلمين ، اهل السنة والجماعة ، والحديث ، وغيرهم الا من شذ " (١)

وذهب ابن حزم الظاهرى الى القول :

بأن اسماء الله الحسنى أعلام محضة ، لاتدل على المعانى فلا يدل عليم على علم ، ولا قدير على قدرة ، وذهب غلاة الجهمية الى أن هذه الأسماء حقيقة فى العبد مجاز فى الرب ... وذهب أبو العباس الناشئ الى ضد ذلك فقال :

انها حقيقة للرب مجاز للعبد ، وذهب بعض المتأخرين من علماء الكلام كالشهرستانى والرازى فى احد قوليهما ، وكالآمدى مع توقفه الى أن هذه الاسماء مقولة بالاشتراك اللفظى بين الخالق والمخلوق حذرا من اثبات قدر مشترك بينهما ، لأنهما اذا اشتركا فى مسمى الوجود لزم ان يمتاز الواجب عن الممكن بشيئ فيكون مركبا وقد نسب الرازى والآمدى ومن تبعهما هذا القول الى ابى الحسن الاشعرى ، وأبى الحسين البصرى ، وهو غلط عليهما لأن هذا ليس مذهبا لهم فى المسألة ولكن مذهبهم هو نفس مذهب الجمهور القائل : ان هذه الأسماء المشتركة العامة ، من قبيل الاشتراك المعنوى ، ومن الأسماء المتواطئة ، (٢) والذين لم يقولوا بالاشتراك المعنوى أرادوا الفرار من الوقوع فى التشبيه ظنا منهم أن ذلك يؤدى الى التشبيه وذهبت

---

(١) منهاج السنة المحمدية ج ١ ص ٣٣٨ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض المملكة العربية السعودية .

(٢) أنظر منهاج السنة المحمدية ج ١ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٥ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

الفلاسفة ، ومن وافقهم من أهل الكلام (*) بأن هذه الكليات ، أو الماهيات المشتركة العامة ، موجودة في الخارج ، اما وجودا مستقلا منفصلا عن غيره في الوجود ، كما يقوله " أفلاطون " واما موجودة في ضمن أفرادها ، ليس لها وجود مستقل بنفسها كما يقوله البعض الآخر من الفلاسفة ، ومنهم " أرسطو " وابن سينا " فاذا سمى الخالق بهذه الأسماء ، التى تسمى بها المخلوق يلزم من هذه التسمية في نظر هؤلاء الفلاسفة المشابهة بين الخالق ، والمخلوق ، وبنوا عليه القول: بأن الله تعالى ، لا تقوم به معان وجودية ، فلا يقوم به علم ، ولا قدرة ، ونحوهما مما أثبته الله لنفسه ، في الكتاب ، وأثبته له رسوله في السنة ، قال شيخ الاسلام : في الرد على من توهم أن الاشتراك المعنوى يلزم منه التشبيه ٠

وقول الناس : ان بين المسميين قدرا مشتركا ، لا يريدون ، بأن يكون في الخارج عن الأذهان ، أمر مشترك بين الخالق ، والمخلوق ، فانه ليس بين مخلوق ، ومخلوق في الخارج شيء مشترك بينهما ، فكيف ؟ ! بين الخالق ، والمخلوق وانما توهم هذا من توهمه من أهل المنطق اليونان ، ومن تبعهم ، حتى ظنوا أن في الخارج ماهيات مطلقة مشتركة بين الأعيان المحسوسة ثم منهم من يجردها عن الأعيان ، " كأفلاطون " ومنهم من يقول لاتنفك عن الأعيان كأرسطو ، وابن سينا " وأشباههما ٠ " وهذا الموضع منشأ زلل كثير من المنطقيين ، في الكليات وكثير من المتكلمين (١)

(*) كالرازى في أحد قوليه

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٥ ص ٢٠٣ وتفسير سورة الاخلاص ص ٧٨ تصحيح طه يوسف شاهين ٠

في مسألة الحال ... فان المتكلمين رأوا أن الأشياء تتفق بصفات وتختلف بصفات ، والمشترك غير المميز ، فصاروا حزبين ، حزبا أثبت هذه الأمور ، في الخارج ، لكنه ، قال لا موجودة ولا معدومة ، لأنها لو كانت موجودة لكانت أعيانا موجودة ، أو صفات للاعيان ولو كانت كذلك ، لم يكن فيها اشتراك ، وعموم فان صفة الموصوف ، الموجودة ، لا يشتركه فيها غيره ، وآخرون علموا أن كل موجود مختص بصفة ، فقالوا لا عموم ولا اشتراك ، الا في الألفاظ دون المعاني " (١)

والحق أن المعنى الكلى العام ، لا يوجد في الخارج كليا ، وانما يوجد في الخارج معنى مختصا ، فحقيقة علمه تعالى غير حقيقة علم المخلوق ، وحقيقة وجهه عز وجل غير حقيقة وجه المخلوق .

وهكذا القول في سائر الصفات ، فلا يلزم القول بنفي الصفات ، ولا ادعاء المجاز فيها ، او القول بأن أسماء تعالى أعلام محضة ، لا تدل على المعاني ، كما لا يصح القول بالتشبيه أو الاشتراك اللفظي فقط ، لأن المعاني العامة التي وجد فيها الاشتراك لم يكن لها وجود ، الا في الذهن ، وما كان كذلك لا يؤدي الاشتراك فيه الى التشبيه أو التجسيم ، وما وجد في الخارج لم يحصل الاشتراك فيه ، اذ كان حقيقة ما ثبت للخالق ، غير حقيقه ما ثبت للمخلوق .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

فاذا قال : وجود الله ، وذات الله ، وعلم الله ، وقدرة الله ، وسمع الله ، وبصر الله ، وارادة الله ، وكلام الله ، ورحمة الله ، وغضب الله ، واستواء الله ، ونزول الله ،

---

(١) منهاج السنة المحمدية ج ١ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠

ومحبة الله ، وإرادة الله ونحو ذلك كانت هذه الأسماء كلها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات ، ومن غير أن يماثله فيها شيء من المخلوقات

واذا قال :

وجود العبد ، وذاته وما هيه ، وعلمه ، وقدرته ، وسمعه ، وبصره ، وكلامه ، واستواؤه ونزوله ، كان هذا حقيقة للعبد مختصة به من غير أن تماثل صفات الله تعالى ..

ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق ، فكيف يجوز أن يظن أن فيما اثبته الله تعالى من أسمائه وصفاته مماثلا لمخلوقاته ؟

وأن يقال : ليس ذلك بحقيقة ، وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض ؟ ؟ !! مع أن مباينته للمخلوقات أعظم من مباينة كل مخلوق (١)

قال شارح الطحاوية :

وأصل الخطأ والغلط ، توهم أن هذه الأسماء العامة الكلية ، يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ، ثابتا في هذا المعين ، وهذا المعين ، وليس كذلك فان ما يوجد في الخارج ، لا يوجد مطلقا كليا ، بل لا يوجد ، الا معينا مختصا ، وهذه الأسماء اذا سمى الله بها ، كان مسماها معينا مختصا به ، فاذا سمى بها العبد ، كان مسماها مختصا به ... الى أن قال : وبهذا ومثله يتبين لك ، أن المشبهة أخذوا هذا المعنى ، وزادوا عليه على الحق ، فضلوا وأن المعطلة اخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه ، وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا ، وأن كتاب الله دل على الحق المحض ، الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة وهو الحق

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٥ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

المعتدل الذى لا انحراف فيه ، فالنفاة أحسنوا فى تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيىء من خلقه ، ولكن أساؤوا فى نفى المعانى الثابتة لله تعالى ، فى نفس الأمر ، والمشبهة أحسنوا فى اثبات الصفات ، ولكن أساؤوا بزيادة التشبيه .(١)

" فليتدبر اللبيب هذا ، فانه يحل شبهات كثيرة ومن فهم هذا الموضع تبين له غلط من جعل هذه الأسماء فقولة بالاشتراك اللفظى ، لا المعنوى وغلط من جعل أسماء الله تعالى أعلاما محضة ، لا تدل على معان ، ومن زعم ، أن فى الخارج حقائق مطلقة يشترك فيها الأعيان .(٢) كما أننا اذا عرفنا هذا لموضوع عرفنا تبعا لذلك أنه لا حاجة لنا اطلاقا الى دعوى المجاز فى باب أسماء الله وصفاته عز وجل ، والقول بتأويلها ، خشية الوقوع فى التجسيم أو التشبيه كما يدعى كثير من المتكلمين فى هذا الباب.

قال شيخ الاسلام :

من ظن أن الحقيقة انما تتناول صفة العبد المخلوقة المحدثة ، دون صفة الخالق كان فى غاية الجهل ؟ فان صفة الله أكمل وأتم ، واحق بهذه الاسماء الحسنى .... فكيف يكون العبد مستحقا للاسماء الحسنى حقيقة فيستحق أن يقال له: عالم قادر سميع بصير ، والرب لا يستحق ذلك الا مجازا ؟! ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الرب سبحانه وتعالى ، وله المثل الأعلى ، فكل كمال حصل للمخلوق ، فالخالق أحق به ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق ، فالخالق أحق ان يتنزه عنه .(٣) .

" والجاهل يضل بقول المتكلمين ، ان العرب وضعوا لفظ الاستواء لاستواء الانسان

---

(١) شارح الطحاوية ص ٤٢
(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٢٠٦
(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٢٠١ .

على المنزل ، اوالفلك ، أو استواء السفينة على الجودى .

ونحو ذلك من استواء بعض المخلوقات ، فهذا كما يقول القائل :

انما وضعوا لفظ السمع والبصر ، والكلام لما يكون محلـه حدقة ، وأجفانا ، وأصمخة وأذنا ، وشفتين ، وهذا اضلال في الشرع ، وكذب ... فان العرب انما وضعت للانسان ما اضافته اليه " (١)

ومما تقدم يتبين أن المرء لا يسلم عن الوقوع فى الخطأ فى هذا الباب أعنى الاسماء العامة المشتركة ، حتى يعرف أن الذى يجب نفيه عن الرب تعالى ، اتصافه بشيء من خصائص المخلوقين فالتشبيه هو أن يثبت الانسان له تعالى شيئا من خصائص المخلوقات ، " وأما اذا قيل حى وحى ، وعالم ، وعالم ، وقادر ، وقادر ، وقيل لهذا قدره ولهذا قدره ، ولهذا علم ، ولهذا علم ، كان نفس علم الرب لايشركه فيه العبد ، ونفس علم العبد لا يتصف به الرب تعالى عن ذلك وكذلك سائر الصفات " وليس في اثبات هذا محذور " فان المحذور اثبات شيء من خصائص أحدهما للآخر " (٢) .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٥ ص ٢٠٨

(٢) منهاج السنة المحمدية جـ ١ ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

الباب الثانى

فى

معانى التأويل ، وبيان المراد بالمتشابه والمحكم والتأويل فى آية " آل عمران "

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول :

فى

معانى التأويل

ويحتوى على مايلى :

* ــ التأويل فى اللغة
* ــ التأويل فى الكتاب والسنة
* ــ التأويل عند السلف
* ــ التأويل عند المتأخرين وأثره فى العالم الاسلامى .

تمهيد :

الغرض من هذا البحث ، بيان معاني التأويل في اللغة ، وفي الكتاب والسنة ، وعند السلف ، والمتأخرين ، لنعرف في النهاية بعد مذهب الخلف عن معنى التأويل الذي جاء به الكتاب والسنة ، ومعناه عند السلف .

ولنبدأ ببيان معنى التأويل لغة .

١ـ التأويـــل فى اللغــــة

قال ابن جرير الطبرى :

" وأما معنى التأويل فى كلام العرب ، فانه التفسير ، والمرجع ، والمصير ٠٠٠٠٠

وأصله : من آل الشيء الى كذا اذا صار اليــه ، ورجع .يؤول أولا ، وأولته أنا صيرته

اليه ، وقد قيل : ان قوله :

" وأحسن تأويلا " أى جــزاء ، وذلك أن الجــزاء هو الذى آل اليه أمر القـــوم ،

وصار اليــه ٠ (١)

وقال الأزهرى ، نقلا عن ابن الاعرابى :

الأول : الرجوع ، وقد آل يؤول أولا ٠٠٠ قال الأصمعى :

آل القـطران يؤول أولا ، اذا خثر (٢)

وقال :

طبخت النبيذ حتى آل الى الثلث أو الربع ، أى رجــع

وقال الليث :

الأيل : الذكر من الأوعال ، والجمع : الأيايل ، قال : وانما سمى : أيلا (٣) لأنــه

يؤول الى الجبال يتحصن فيها (٤) ٠

---

(١) تفسير الطبرى ج٣ ص ١٨٤ الطبعة الثانيه سنة ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م مصطفى البابى الحلبى

(٢) قال فى المختار : الخثورة ضد الرقة ،وقد " خثر " اللبن بالفتح يخثر بالضـــم " خثورة " وقال الفراء : " خثر " بالضم لغة فيه قليلة قال : وسمع الكسائـــى " خـــثر " بالكسر ٠

(٣) قال فى مختار الصحاح : الايل بضم الهمزة وكسرها الذكر من الأوعال ١٠ هـ "وقيل فيه ثلاث لغات : ايل وأيل وأيل مثال فعل " قاله فى لسان العرب ج١١ ص٣٣ ط بيروت سنة ١٩٥٦م ــ ١٣٧٥هـ ٠

(٤) تهذيب اللغــة : ج ١٥ ص ٤٣٧ ــ ٤٤١ تحقيق الأستاذ ابراهيم الابيارى ــ الكاتب العربى سنة ١٩٦٧م ٠

وذكر صاحب مقاييس اللغة ما يؤيد كلام الليث ، كما ذكر أنه قيل خثر لأنه لا يخثر الا آخر أمره وذكر الخليل وغيره ما يوافق كلام المتقدم .

قال يعقوب :

" أول الحكم الى أهله أى أرجعه ، ورده اليهم " وذكر الأعشى وأبو حاتم مثل هذا الكلام ومن ذلك قول الأعشى :

أؤول الحكم على وجهه * ليس قضائى بالهوى الجائر

قال صاحب مقاييس اللغة :(١)

ومن هذا الباب ، تأويل الكلام ، وهو عاقبته ، وما يؤول اليه ، وذلك قوله تعالى : هل ينظرون الا تأويله ، يقول : ما يؤول اليه فى وقت بعثهم ونشورهم . وقال الأعشى :

(٢)
ألا أنها كانت تأول حبها * تأول ربعى السقاب فأصحبا

---

(١) وهو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا صاحب مقاييس اللغة .

(٢) قال أبو عبيدة : تأول حبها ، أى تفسيره ومرجعه أى أن حبها كان صغيرا فى قلبه فلم يزل يشب حتى أصحب ، فصار قديما كهذا السقب الصغير لم يزل يشب حتى صار كبيرا مثل أمه وصار له ابن يصحبه ، أفاده فى لسان العرب ج ١١ ص ٣٤ .

قال فى تفسير أضواء البيان : " الربعى " السقب الذى ولد فى أول النتاج ، ومعنى " أصحب " انقاد لكل من يقوده . ذكره فى أضواء البيان ج ١ ص ٢٣٣ ط المدنى . وفى التعليق على مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١١ مطبعة السلفية قال ما نصه : والسقب بفتح السين ولد الناقة أو ساعة يولد أو خاص بالذكر .

يريد ، مرجعه ، وعاقبته وذلك من آل يؤول . (١)

قال الأستاذ محمد السيد الجليند بعد ان ذكر كلام ابن فارس المتقدم :

واذا تأملنا كل ما سبق من استشهادات حول كلمة " التأويل " نجد أن مادة " أول) في كل استعمالاتها ، تفيد معنى الرجوع ، والعودة ، وهكذا في بقية الأمثلة التي ذكرها " الأزهري " نجد أن المادة في أصلها الاشتقاقي ، تدور حول معنى الرجوع ، ومما هو جدير بالاعتبار ، أن تهذيب اللغة من نتاج القرن الرابع الهجري ، ومعنى ذلك أن مادة " أول " حتى هذا القرن كانت تستعمل في هذه المعاني التي وضحها وشرحها .

وما يزيد الأمر وضوحا ، أن مقاييس اللغة لابن فارس المتوفى سنة ١٣٩٥هـ قد نقل الينا هذه المعاني ، التي استعملت فيها الكلمة ، والتي بينها الأزهري في تهذيبه ، ولم نجد عنده ما يخالف هذا المعنى وما نقله الينا زيادة عما في التهذيب أن قال :
قال يعقوب :

أول الحكم الى أهله أي أرجعه ، ورده اليهم الى أن قال :

ومن هذا الباب ، تأويل الكلام ، وهو عاقبته ، وما يؤول اليه وذلك قوله تعالى : " هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق " ...

---

(١) مقاييس اللغة ج ١ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون
الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٣٦٦هـ عيسى البابي الحلبي .

ويتضح لنا مما نقله ابن فارس ، أن كلمة " تأويل " استعملت عنده فى نفس المعنى ، والمفهوم الذى كانت تستعمل فيه مادة " أول " عند الأزهرى ، وذلك لان التأويل يرجع فى أصله الاشتقاقى الى الأول .

لهذا نجد أن ابن فارس يقول : ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته ومايؤول اليه ثم يستشهد بالآية الكريمة ، ويبين معنى التأويل فيها .. " اهـ

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى بيانه معنى " التأويل " لغة :

" التأويل مصدر أوله يؤوله ، تأويلا ، مثل حول تحويلا ، وعول تعويلا ، وأول يؤول تعدية آل يؤول أولا مثل :

حال يحول حولا ، وقولهم : آل يؤول أى عاد الى كذا ، ورجع اليه ومنه المآل وهو ما يؤول اليه الشيء (١) وقال بعد كلام طويل حول معنى التأويل : فتأويل الكلام ما أول اليه المتكلم أو ما يؤول اليه الكلام أو ما تأوله المتكلم فان التفعيل يجرى على غير فعل كقوله تعالى : " وتبتل اليه تبتيلا " فيجوز أن يقال : تأول الكلام الى هذا المعنى تأويلا ، والمصدر واقع موقع الصفة اذ قد يحصل المصدر صفة بمعنى الفاعل ، كعدل ، وصوم ، وفطر ، وبمعنى المفعول ، كدرهم ضرب الأمير ، وهذا خلق الله .

فالتأويل هو ما أول اليه الكلام أو يؤول اليه ، أو تأول اليه والكلام انما يرجع ويعود ، ويستقر ، ويؤول ويؤول الى حقيقته التى هى عين المقصود به ، كما قال بعض السلف فى قوله :

" لكل نبأ مستقر " قال : حقيقة فانه ان كان خبرا فالى الحقيقة المخبر بها

---

(١) الاكليل ضمن الرسائل الكبرى جـ ٢ ص ١٩

يؤول ويرجع ، والا لم تكن له حقيقه ، ولا مآل ولا مرجع ، بل كان كذبا ، وان كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع ، والا لم يكن مقصوده موجودا ، ولا حاصلا ومتى كان الخبر وعدا أو وعيدا ، فالى الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤول ٠ (١)

وذكر ابن قيم الجوزية ، أن تأول مطاع " أول " فيقال :
أولته فتأول ، " وقال الجوهرى : التأويل تفسير ما يؤول اليه الشيئ ، وقد أولته تأويلا وتأولته بمعنى " (٢) ٠

وحاصل ما توصلنا اليه حتى الآن من معنى التأويل ، أن التأويل لغة بمعنى المرجع ، والمصير والعاقبة ، وما يؤول اليه الشيئ ، وبمعنى التفسير ، والبيان ٠ قال الأستاذ " محمد الجليند " " ٠٠٠ ان كلمة التأويل كانت تستعمل على ألسنة اللغويين ، من رواة ، ومحدثين حتى بداية القرن الخامس الهجرى فى معنى المرجع ، والمصير والعود ، حيث لم يرد الينا فى المعاجم التى وضعت فى هذه الفترة - وهى المصدر الوحيد لكل المعاجم التى وضعت بعد ذلك - ما يخالف ذلك ٠ واذ انتقلنا الى لسان العرب وهو من نتاج القرن السابع الهجرى ، وقد جمع فيه ابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ كل ما يتصل بمادة " أول " ومشتاقاتها ، وما استعملت فيه من معان ، نجد ، أنه ينقل لنا أمثلة واستشهادات تؤكد لنا هذه المعنى ، وتوضحه ، فمن ذلك قوله :

---

(١) رسالة " الاكليل " ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢ ص ٢١ - مطبعة / محمد على صبيح وأولاده ٠

(٢) مختصر الصواعق المرسله ج ١ ص ٩ ط الامام تصحيح زكريا على يوسف ٠

" ألت عن الشيء ارتددت عنه ، وفى الحديث :

" من صام الدهر فلا صام ولا آل " أى لا رجع الى خير ، وأول الكلام وتأوله : دبره ، وقدره ، وأوله وتأوله : فسره وقوله عز وجل :

" ولما يأتهم تأويله " أى لم يكن معهم علم تأويله ، وقيل معناه :

لما يأتهم ما يؤول اليه أمرهم فى التكذيب به من العقوبة "

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنه

" اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " (١) وعن الليث قال :

" التأويل تفسير ما يؤول اليه الشيء "

وأبو عبيدة قال : " التأويل المرجع والمصير " . واذا أضفنا الى ما تقدم من معنى التأويل الذى بينته لنا معاجم القرن الرابع الهجرى هذا المعنى الذى نقله ابن منظور عن الليث والجوهرى والذى مضمونه أن من معانى التأويل : التفسير والتدبر وحسن تقدير الأمور (٢) ، يتضح لنا : أن التأويل كان يستعمل عند علماء اللغة من رواة ومحدثين فى هذين المعنيين .

الأول : المرجع ، والمصير والعاقبة كما بينت ذلك معاجم القرن الرابع الهجرى .

الثانى : التفسير والتدبير ، والبيان ، كما وضح ذلك ابن منظور ونقله عن الليث والجوهرى (٢) ، انتهى كلام " الجليند " (٣) .

---

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٣٢ — ٣٤ ، ط بيروت سنة ١٩٥٦ م — ١٣٧٥هـ .

(٢) أنظر لسان العرب ج ١١ ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ط بيروت سنة ١٩٥٦م — ١٣٧٥هـ

(٣) وذلك فى كتابه " الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل " ص ٣٠ — ٣١ .

التأويل فـي الكتـاب والسنـة

معنى التأويل فى الكتاب ، والسنة لا يختلف عن معنى التأويل فى اللغة الذى تقدم الحديث عنه .

غير أن ذلك لا يكون ظاهرا بشكل واضح الا بعد تتبع واستقراء لجميع الأيات التى ورد فيها لفظ " التأويل " للاطلاع على معنى التأويل على ما فسره به السلف .

لأن تتبع جميع الايات فى مواضعها ، وبيان المعانى المقصودة من اللفظ الوارد فيها هما خير طريق فى بيان اتحاد معنى " التأويل " فى اللغة وفى الكتاب والسنة .

وفيما يلى بيان هذا الغرض :

ورد ذكر " التأويل " فى سبع سور من القرآن الكريم (١) وتكرر ذكر كلمة " التأويل " فى بعض السور فى عدة مواضع كما فى سورتى " يوسف " و " الكهف " على ماسيأتى بيانه ، فأول سورة ذكر فيها لفظ " التأويل بعد سورة " آل عمران " ـ التى سوف نفردها بالذكر فيما بعد ان شاء الله تعالى ـ سورة " النساء " فى موضع واحد منها ، وذلك فى قوله تعالى :ـ

" يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ، و طيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شيئ ، فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله ، واليوم الآخر ذلك خير ، وأحسن تأويلا ".(٢) وقد تقدم أن نقلنا عن ابن جرير الطبرى قوله

(١) ذكر ذلك الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار ج ٣ ص ١٧٢ ، ١٧٣ وكذلك ابو زهرة فى كتابه " ابن تيمية حياته وعصره ..) ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) سورة النساء : آية ٥٩ .

فى بيان معنى التأويل ، فى هذه الآيـة بالذات :

" واحسن تأويلا " أى جزاء وذلك أن الجـزاء هو الذى آل اليـه أمر القـــوم وصار اليـه . (١)

وقال ابن كثـير :

" وقوله : " ذلك خير " أن التحاكم الى كتاب الله ، وسنة رسوله ، والرجوع اليهمـا فى فصل النزاع خـير .

" وأحسن تأويلا " أى وأحسن عاقبـة ، ومآلا كما قاله السدى ، وغير واحد ، وقـال مجاهـد : وأحسن جـزاء وهو قريب " (٢) .

قال الزمخشرى :

" ذلك ؛ اشارة الى الرد : أى الرد الى الكتاب والسنة " خير " لكم وأصلـح " وأحسن تأويلا " وأحسن عاقبـة ، وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم " (٣) .

وقال شيخ الاسلام :

" ذلك خير وأحسن تأويلا " قالوا أحسن عاقبـة ومصيرا فالتأويل هنا ، تأويل فعلهم الذى هو الرد الى الكتاب والسنة " (٤) .

" وقال مجاهد وقتادة جزاء وثوابا " وقال السدى وابن زيد وابن قتيبة ، والزجـاج : عاقبـة .

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ١٨٤ ط الثانية سنة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .

(٢) تفسير بن كثير جـ ١ ص ٥١٨ دار احياء الكتب العربية

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٥٣٦ ط مصطفى البابى الحلبى

(٤) رسالة الاكليل جـ ٢ ص ١٩ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيميـة ط محمد على صبيح بميدان الازهـر .

وعن ابن زيد أيضا تصديقا كقولـه : " هذا تأويل رؤياى من قبل " وكل هذه الأقوال صحيحـة وهذا تفسير السلف أجمعين (١) .

قال الشيخ " محمد رشيد رضا " : ولا يحتمل بحال أن يكون معنى التأويـل هنا ، التفسير ، أو صرف الكلام عن ظاهره الى غيره ، لأن الكلام فى التنـازع وحسـن عاقبـة رده الى الله ، ورسولـه . (٢)

وأما السورة الثانية التى ذكر فيها " التأويل " فهى سورة " الاعراف " وفيها قوله تعالى :-

" ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمـة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله؟ يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ، فهل لنا مـن شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهـم ماكانوا يفترون " (٣) .

يقول ابن جرير الطبرى فى معنى التأويل هنا : - " أى ما يؤول اليـه عاقبة أمرهـم من ورودهم على عذاب اللـه وصليهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله بـه ، وقال قتادة :

هل ينظرون الا تأويلـه أى عاقبته ، وفى رواية عنه :

ثوابـه .

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٣ بدون تاريخ تصحيح طه يوسف شاهين من علماء الأزهـر .
(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ١٧٣
(٣) الاعراف : آيـة ٥٢ - ٥٣ .

وعن ابن وهب فيما رواه عن ابن زيد :

" يوم يأتى تأويله " " قال : " يوم يأتى حقيقته " (١) .

قال ابن كثير :

" هل ينظرون الا تأويله "

أى ما وعدوا بـه من العذاب والنكال وللجنة والنار قاله مجاهد وغير واحد .

وقال مالك : " ثوابه وقال الربيع : لايزال يجيء من تأويلـه أمر حتى يتم يـوم الحساب حتى يدخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ (٢) .

قال الزمخشرى :

" الا تأويله " الا عاقبة أمره ، وما يؤول اليه من تبيين صدقه وظهور حجة مانطق به من الوعد والوعيد " (٣) .

وقال شيخ الاسلام بن تيميه :

" وعن ابن عباس فى قوله : " هل ينظرون الا تأويلـه " تصديق ما وعد فى القـرآن ، وعن قتادة تأويلـه ، ثوابه وعن مجاهـد جزاوه وعن السدى عاقبته ، وعن ابن زيـد حقيقته قال بعضهم : تأويله ، ما يؤول اليه أمرهم من العذاب وورود النار . (٤) .

السورة الثالثة هى سورة " يونس " وذلك فى قوله تعالى :

---

(١) الجليند : الامام ابن تيميه وموقفه من قضيه التأويل ص ٣٧ نقلا عن ابن جريـر فى تفسيره الطبرى ج ١٢ ص ٤٧٨ ط دار المعارف ١٩٥٨م .

(٢) تفسير بن كثير ج ٢ ص ٢٢٠ ط دار احياء الكتب العربيه .

(٣) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٨٢ ط مصطفى الهابى الحلبى

(٤) تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٢ تحقيق (طـه) يوسف شاهـين .

" بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين " (١)

قال ابن جرير الطبرى :

يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ، ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ، مما أنزل الله عليك فى هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم " ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد . الذى توعدهم الله به فى هذا القرآن " (٢) .

قال شيخ الاسلام : وقوله :

بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله " قال بعضهم : تصديق ما وعدوا به من الوعيد ، والتأويل ما يؤول اليه الأمر ..." (٣) .

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

فسر أهل الأثر تأويله هنا بنحو ما تقدم ، أى ما يؤول اليه الأمر من ظهور صدقه ، ووقوع ما أخبر به ، ولما كانت عاقبة المكذبين قبلهم الهلاك كان تأويله أن تكون عاقبتهم كعاقبة من قبلهم . (٤)

فالتأويل هنا المراد به : وقوع ما أخبر به القرآن ، وهو الأثر الخارجى ، والمدلول الواقعى بوعيد هؤلاء ، ولا يصح بحال أن يكون معنى التأويل هنا او فى الآية السابقة : التفسير ، والبيان ، أو ارادة غير الظاهر " (٥)

---

(١) يونس آية : ٣٩
(٢) تفسير الطبرى ج ١١ ص ١١٨ وأنظر أيضا تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٥
(٣) تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٢
(٤) تفسير المنار ج ٣ ص ١٧٣
(٥) الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٣٨

السورة الرابعة ، سورة يوسف جاء فيها ذكر كلمة " التأويل " فى ثمانية مواضع ،
الموضع الأول منها قوله تعالى :

" وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ... الآية (١)

قال ابن جرير الطبرى :

" ويعلمك من تأويل الأحاديث " .

يقول : ويعلمك ربك من علم ما يؤول اليه احاديث الناس ، عما يرونه فى منامهم .
وذلك تعبير الرؤية ، وعن مجاهد
ويعلمك من تأويل الأحاديث قال : عبارة الرويا " ... قال ابن زيد فى قوله :
" ويعلمك من تأويل الأحاديث " قال : " تأويل الكلام : العلم ، والحكم ،
وكان يوسف أعبر الناس وقرأ " ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما " (٢)

الموضع الثانى : قوله تعالى :

وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه
ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله
غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٣)

وعن مجاهد " من تأويل الاحاديث " قال : عبارة الرويا ... وعن السدى " ولنعلمه
من تأويل الأحاديث "

قال : تعبير الرويا ، ومثله عن أبى نجيح " (٤) .

---

(١) سورة يوسف آية : ٦

(٢) ابن جرير الطبرى ، التفسير ج ١٢ ص ١٥٣ ـ ١٥٤

(٣) آية : ٢١

(٤) تفسير ابن جرير ج ١٢ ص ١٧٦ .

الموضع الثالث قولـه تعالى :ـ

" نبئنا بتأويلـه انا نراك من المحسنين " (١)

قال ابن جرير : يقول : أخبرنا بما يؤول اليـه ما أخبرناك أنا رأيناه فى منامنا ، ٠٠٠٠٠

قال مجاهـد ٠٠٠ ان تأويل الشيء : هو الشيء قال : ومنه تأويل الرويـا ، انما هو الشيء الذى تؤول اليـه ٠(٢)

الموضع الرابع : قولـه تعالى :

قال لايأتيكما طعام ترزقانه ، الا نبأتكما بتأويلـه : قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى ، انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون " (٣)

عن السدى قال :

قال يوسف لهما : " لا يأتيكما طعام ترزقانه " فى النوم الا نبأتكما بتأويلـه " فى اليقظـة ٠٠٠ ويعني بقوله : بتأويله " ما يؤول اليـه ويصيـر ما رأيا فى منامهما من الطعام الذى رأيا أنه أتاهما فيـه " (٤)

الموضـع الخامس : قوله تعالى :

يا أيها الملأ أفتونى فى رأياى اذ كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام ،ومانحن بتأويل الأحـلام بعالمين " (٥)

---

(١) آيـة : ٣٦

(٢) تفسير ابن جرير ج ١٢ ص ٢١٥ ط الثانية (٣) آيـة : ٣٧

(٤) تفسير ابن جرير الطبرى ج ١٢ ص ٢١٧

(*) قوله : ان كنتم للرويا تعبرون ، أى تعلمون عبارة الرويا وهى الانتقال مـن الصورة الخياليـة الى المعانى النفسانيـة التى هى مثالها ، وأصل العبـارة مشتقـة من عبور النهر ، وهو المجاوزة ،فمعنى عبرت النهر بلغت شاطئه ، فعابـر الرويا يخبر بما يؤول اليه أمرها ٠ اهـ تفسير فتح البيان ج ٥ ص ٥

(٥) آيـة : ٤٣ ـ ٤٤ ٠

قال ابن جرير في تفسير قوله عز وجل : " أضغاث أحلام "(١) يعنون أنها أخلاط رؤيا كاذبة ، لاحقيقة لها ...

وما نحن بما تؤول اليه الأحلام ، الكاذبة بعالمين "(٢)

أما الموضع السادس ، فهو قوله تعالى :-

وقال الذى نجا منهما ، وادكر بعد أمة : أنبئكم بتأويله فأرسلون(٣) ، قال ابن كثير :

" أنا أنبئكم بتأويله أى بتأويل هذا المنام "(٤) ، يعنى ما يؤول اليه .

الموضع السابع قوله تعالى :

" ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجدا وقال ، يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل ، قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن .. الاية "(٥)

قال ابن جرير :

يقول جل ثناوه : " قال يوسف لأبيه يا أبت هذا السجود الذى سجدت أنت وأمى واخوتى " تأويل رؤياى من قبل " يقول مآلت اليه

---

(١) وأضغاث جمع ضغث ، والضغث أصله الحزمة من الحشيش ، يشبه بها الأحلام المختلطة التى لا تأويل لها ، والأحلام جمع حلم ، وهو مالم يصدق من الرؤيا ، أفاده ابن جرير فى تفسيره ج ١٢ ص ٢٢٦

(٢) نفس المرجع نفس الجزء ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

(٣) سورة يوسف : آية ٤٥

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٨٠ ط بدار احياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى .

(٥) سورة يوسف : آية (١٠٠)

رؤياى التى كنت رأيتها ، وهى رؤياه التى رآها قبل صنيع اخوته به ما صنعوا ، ان أحد عشر كوكبا ، والشمس ، والقمر له ساجدون " قد جعلها ربى حقا " يقول : قد حققها ربى لمجيء تأويلها على الصحة " (١)

الموضع الثامن ، قوله تعالى :

" رب قد آتيتنى من الملك ، وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض ، أنت وليى فى الدنيا ، والآخرة ، توفنى مسلما ، والحقنى بالصالحين " (٢)

عن مجاهد فى قوله تعالى : " وعلمتنى من تأويل الأحاديث " قال : العبارة (٣)

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، أن التأويل فى سورة " يوسف " فى جميع مواضعها الثمانية ، يلتقى فى معنى واحد ، وهو تعبير الرؤيا أى ما تؤول اليه ، لأن تأويل الأحاديث والرؤيا هو عين مدلولها الخارجى الذى هو مآل الرؤيا ومصيرها . (٤) فالتأويل فى سورة " يوسف " لا يختلف معناه عن معنى التأويل فى بقية السور فى القرآن على ما سيتضح .

قال ابن قيم الجوزية :

" ويسمى تعبير الرؤيا ، تأويلها باعتبارين ، فانه تفسير لها ، وهو عاقبتها وما تؤول اليه " (٥) .

السورة الخامسة ، سورة الاسراء ، جاء فيها قوله تعالى : " وأوفوا الكيل اذا كلتم ، وزنوا بالقسطاس* المستقيم ، ذلك خير ، وأحسن تأويلا " (٦)

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ١٢ ص ٦٩ (٢) سورة يوسف : آية ١٠١

(٣) تفسير ابن جرير ج ١٢ ص ٧٤

(٤) أنظر الاكليل ج ٢ ص ١٩ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى وتفسير المنار ج ٣ ص ١٧٣-١٧٤

(٥) مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٩ تصحيح زكريا على يوسف (٦) الاسراء : آية ٣٥

(*) قال ابن جرير الطبرى : وقد أختلف أهل التأويل فى معنى القسطاس " فقال بعضهم هو القبان ، وعن الحسن " وزنوا بالقسطاس المستقيم " قال : " القبان " وقال آخرون هو العدل بالرومية ... وقال آخرون : هو الميزان صغيرا أو كبيرا " - تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٨٥

قال ابن كثير : " وأوفوا الكيل اذا كلتم " أى من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم " وزنوا بالقسطاس " قرئ بضم القاف ، وكسرها ، كالقرطاس ، وهو الميزان .

قال مجاهد : هو العدل بالرومية ، وقوله " المستقيم " أى الذى لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف ، ولا اضطراب " ... " وأحسن تأويلا " أى مآلا ، ومنقلبا فى آخرتكم قال سعيد عن قتادة ذلك خير وأحسن تأويلا " أى خير ثوابا وأحسن عاقبة " (١)

قال فخر الدين الرازى : " وأحسن تأويلا " والتأويل ما يؤول اليه الأمر ، كما قال فى موضع آخر " خير مردا ، خير عقبى ، خير أملا " . (٢)

أما السورة السادسة ، فهى سورة " الكهف " جاء فيها ذكر كلمة التأويل فى موضعين :

١ ـ قوله تعالى : " قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا "(٣)

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : قال صاحب موسى لموسى : هذا الذى قلته وهو قوله : " لو شئت لاتخذت عليه أجرا " فراق بينى وبينك ، يقول فرقة ما بينى وبينك أى مفرق بينى وبينك ، " سأنبئك " يقول سأخبرك " بتأويل مالم تستطع عليه صبرا " يقول بما يؤول اليه عاقبة افعالى التى فعلتها ، فلم تستطع علىّ ترك المسئلة عنها . (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٩

(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢٠ ص ٢٠٦ الطبعة الأولى مطبعة البهية المصرية سنة ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨م .

(٣) الكهف : ٧٨

(٤) تفسير ابن جرير الطبرى ج ١٥ ص ٢٩١ .

قال ابن كثير : " بتأويل " أى بتفسير ، مالم تستطع عليه صبرا (١) قال فى تفسير " روح المعانى " :

" سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا " والتأويل رد الشيئ الى مآله ، والمراد به هنا ، المآل والعاقبة ، اذ هو المتنبأ به ... و " ما " عبارة عن الأفعال الصادرة من الخضر عليه السلام ، وهى خرق السفينة ، وقتل الغلام ، واقامة الجدار ، ومآلها ، خلاص السفينة من اليد الغاصبة ، وخلاص أبوى الغلام من شره ، مع الفوز بالبدل الأحسن (٢) واستخراج اليتيمين للكنز (٣)

٢ـ قوله تعالى : وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا (٤) معنى التأويل فى هذه الآية هو نفس معنى " التأويل " فى الآية الأولى .

قال شيخ الاسلام بن تيمية : فلما ذكر له ما ذكر قال : " ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا " وهذا تأويل فعله ليس هو تأويل قوله ، والمراد به عاقبة هذه الافعال بما يؤول اليه مافعلته من مصلحة أهل السفينة ، ومصلحة أبوى الغلام ، ومصلحة أهل الجدار . (٥)

" فلما أخبره بالعلة الغائية التى انتهى اليها فعله قال : " ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا " (٦)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٩٨ ط دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى

(٢) وذلك لقوله تعالى : " فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما " .

(٣) تفسير روح المعانى جـ ١٦ ص ٨ ـ ٩ ادارة الطباعة المنيرية

(٤) الكهف : آية ٨٢

(٥) تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٣

(٦) مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١٠ مطبعة الامام .

قال شيخ الاسلام فى بيان حاصل معنى التأويل فى جملة القرآن :

فهذا لفظ التأويل فى مواضع متعددة كلها بمعنى واحد "١" وقد عرف أن التأويل فى القرآن هو الموجود الذى يؤول اليه الكلام ، وان كان ذلك موافقا للمعنى الذى يظهر من اللفظ ، لا يعرف فى القرآن لفظ التأويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ ، خلاف اصطلاح المتأخرين " (٢)

قال ابن قيم الجوزية مؤيدا لما ذكره شيخ الاسلام من معنى التأويل فى القرآن :

" فالتأويل فى كتاب الله تعالى المراد منه حقيقة المعنى الذى يؤول اللفظ اليه ، وهى الحقيقة الموجودة فى الخارج . فان الكلام نوعان :

خبر ، وطلب ، فتأويل الخبر هو الحقيقة ، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود ، والمتوعد به ، وتأويل ما أخبر الله به من صفاته العلى ، وأفعاله نفس ما هو عليه سبحانه ، وما هو موصوف به من الصفات العلى ، وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها قالت عائشة رضى الله عنها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، يتأول القرآن فهذا التأويل هو نفس المأمور به فهذا هو التأويل فى كلام الله ورسوله . (٣) ولو رجعنا الى المصدر الثانى الذى هو السنة المطهرة ، وجدنا معنى التأويل فيها لايتصدى هذين المعنيين ، الذين نقدم بيانهما فى اللغة ، وفى القرآن الكريم واليك توضيح ذلك فيما يلى :ـ

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٣ تحقيق طه يوسف شاهين .
(٢) نفس المصدر ص ١٠٤
(٣) مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١٠ وأنظر الاكليل أيضا جـ ٢ ص ١٠ ، ١٨ ، والطحاوية ص ١٧٠ ـ ١٧١ وتفسير سورة الاخلا ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥

التأويل فى السنة وعند السلف

وبعد أن عرفنا أن معنى " التأويل " فى القرآن الكريم هو نفس معنى التأويل فى اللغة نبين هنا ، أن معنى التأويل فى السنة وعند السلف يوافق معنى التأويل فى اللغة وفى القرآن الكريم ، ذلك أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد استعمل كلمة " التأويل فى كلا المعنيين " :

معنى التفسير والبيان ومعنى المآل والعاقبة ، والمصير ، " فمن استعمالها على لسانه صلى الله عليه وسلم – بمعنى العاقبة ، والمصير ، ما روى عنه صلى الله عليه وسلم – أنه لما نزلت الآية الكريمة : " قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ... الآية " (١) قال عليه الصلاة والسلام : وانها كائنة ولم يأت تأويلها بعد " (٢) أى لم يحصل ، ولم يحدث مدلولها العملى ، والواقعى ، الذى هو عين تأويلها ، والذى هو مصير المخاطبين ، وعاقبة أمرهم (٣) وفى مسند الامام أحمد رحمه الله ، عن سعد بن أبى وقاص قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية . قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم : فقال : " انها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد " (٤)

---

(١) الانعام : ٦٥

(٢) قال ابن كثير : أخرجه الترمذى عن الحسن بن عرفة عن اسماعيل ابن عياش عن أبى بكر بن أبى مريم ثم قال : " هذا حديث غريب " . تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ١٤٠ ط دار احياء الكتب العربيه

(٣) الامام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل ص ٣١ وتفسير سورة الاخلاص ص ١٤٤

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ١٤٠ .

" ومن استعمالها فى معنى التفسير ، والبيان ، ما دعا بـه الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس : " اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " (١) فالمراد بالتأويل الذى دعا بـه الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس فى هذا الحديث هو معرفة معانى الآيات القرآنية ، وبيان مقاصد الشريعة منها . " وهذان المعنيان ، هما اللذان استعملا أيضا فى عصر الصحابة ، وعليهما درج السلف من بعدهم (٢) فالسلف لم يحدثوا معنى جديدا للتأويل غير ما جاء فى اللغة ، وفى الكتاب والسنة .

وتأييدا لما قلنا نأتى بشواهد وأمثلة من كلام السلف ، تدل على أنهم استعملوا التأويل فى المعنيين المذكورين ، معنى التفسير ، والبيان ، ومعنى المآل والعاقبة ولا نجد فى كلامهم ما يدل على أنهم كانوا يريدون بالتأويل ، المعنى الذى عرف عند المتأخرين ، والذى سيأتى بيانه قريبا ان شاء الله تعالى ، فالتأويل عند السلف يطلق على معنيين :-

الاطلاق الأول : التأويل بمعنى التفسير والبيان وايضاح المعانى المقصودة من الكلام فاذا قال قائل من السلف مثلا : تأويل هذه الآية كذا وكذا ، فالمقصود عندهم تفسيرها وتوضيح معانيها التى يراد منها ، كما يدل لذلك قول بعض السلف من المفسرين ، كابن جرير الطبرى فى تفسيره المعروف ، وكذلك الامام أحمد فى كتابه

---

(١) قال الشيخ ناصر الدين الألبانى / صحيح رواه أحمد ١/٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ والطبرانى فى " المعجم الكبير " والبيهقى فى دلائل النبوة والضياء المقدسى فى " المختار بسند صحيح عن ابن عباس . أ هـ تعليق الالبانى على شرح " الطحاوية " ص ١٧٢ .

(٢) أنظر موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ٦ — ٧ .

" الرد على الجهمية " ـ : القول فى تأويل هذه الآية أى فى تفسيرها كذا وكذا .
ولما كان هذا معنى التأويل عند السلف كابن عباس ، ومحمد ابن جعفر بن الزبير ،
ومحمد بن اسحاق ، وابن قتيبة ، ومجاهد وهو امام المفسرين ، وغيرهم من السلف
جعلوا الوقف عند قوله تعالى : " والراسخون فى العلم " ، لأن الراسخين يعلمون
تفسير المتشابه (على أرجح القولين فى المسألة على ما سيأتى ايضاحه ان شاء الله
تعالى) .

فلذا قال ابن عباس حين نزلت الآية الكريمة " وما يعلم تأويله الا الله" : " أنا
ممن يعلم تأويله " فالتأويل الذى استعمله ابن عباس ، ونسب الى نفسه العلم به ،
والذى دعا به الرسول له صلى الله عليه وسلم هو معرفة معانى الآيات التى
نقلت عنه " (١)

وكل ما ورد عن ابن عباس ، وغيره من أنهم يعلمون تأويل القرآن ، يجب حمله على معنى
التفسير ، والبيان ولا يجوز القول : انهم يعلمون حقائق تأويل القرآن الخارجية ،
" لأن ذلك من الغيوب التى استأثر الله بعلمها " (٢) .

أما الاطلاق الثانى عندهم ، فهو التأويل بمعنى المآل والمرجع ، والعاقبة ، ومن
الأمثلة على هذا النوع قول كثير من السلف فى الايات القرآنية :

---

(١) الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٣١ ، ٣٢

(٢) أنظر تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ورسالة " الاكليل " ج ٢ ص ١٨ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، وفتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٣٥ ـ ٣٧ وشارح الطحاوية ص ١٧١ ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٠ والامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٣١ ـ ٣٢ ، ٤١ .

هذه مضى تأويلها ، وهذه لم يأت تأويلها ، كما ثبت عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ان القرآن نزل حيث نزل ، فمنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آى وقع تأويلهن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنه آى وقع تأويلهن بعد النبى صلى الله عليه وسلم بيسير ، ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ، ومنه آى يقع تأويلهن يوم القيامة (١) " فتأويل ما أخبر الله به فى الجنة ـ من الأكل والشرب ، واللباس ، والنكاح ، وقيام الساعة وغير ذلك ـ هو الحقائق الموجودة أنفسها ، لا ما يتصور من معانيها فى الأذهان ، ويعبر عنه باللسان ، وهذا هو " التأويل " فى لغة القرآن وهذا التأويل هو الذى لا يعلمه الا الله ، وتأويل الصفات هو الحقيقة التى انفرد الله تعالى بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذى قال فيه السلف ـ كمالك وغيره :ـ الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ... يعلم معناه ويفسر ، ويترجم بلغة أخرى ـ وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون فى العلم ، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لا يعلمه الا الله تعالى .(٢) وبهذا نعرف الفرق بين التأويل بمعنى " التفسير والتأويل بمعنى المرجع ،والعاقبة ، فلا يلزم من معرفة " التأويل ، بمعنى " التفسير " معرفة " التأويل " الذى هو بمعنى المصير والعاقبة ، اذ قد يعلم الانسان معنى الالفاظ ويعرف تفسيرها اللغوى فى حين لا يمكن له معرفة تأويلها الذى هو بمعنى المصير والحقيقة ومن هذا النوع باب اسماء الله وصفاته عز وجل ، وسوف نوضح خطأ القائلين بأن آيات الصفات الخبرية من قبيل المتشابه الذى استأثر الله بعلم معناه ، وقالوا

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٦

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

وقالوا ان ذلك عقيدة السلف في الصفات وسموها " تفويضا " وهم يستدلون علـــى ذلك بالآيـة الكريمـة : " وما يعلم تأويلـه الا اللـه " فى حالـة الوقف علـــى لفظ الجلا لـة ، على ما سيأتى تفصيلـه قريبا ان شاء اللـه تعالى ، وبعد أن عرفنـــا مما تقدم أن " التأويل " فى اللغـة ، وفى الكتاب والسنة وعند السلف لا يختلـــف معناه ، فاليك فيما يلى بيان معنى " التأويل " عند المتأخرين .

التأويل عند المتأخرين

ونريد أن نبين فى هذا الباب ، أن هناك معنى ثالثا للتأويل ، وهو المعنى الذى اصطلح عليه المتأخرون ، من علماء الكلام والأصول والفقه .

وقد عرف " السبكى " التأويل عند المتأخرين فى كتابه " جمع الجوامع " فقال : التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، فان حمل لدليل فصحيح ، أو لما يظن دليلا ففاسد ، أولا شيئ فلعب لا تأويل " (١)

كما عرفه ابن الجوزى قائلا : " والتأويل نقل الكلام عن موضعه الى ما يحتاج فى اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ . (٢)

وقال شيخ الاسلام : التأويل فى عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة ، والمحدثه والمتصوفة ، ونحوهم ، هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به " (٣) . وقد نقل ابن منظور فى لسان العرب وهو من علماء القرن السابع الهجرى عن ابن الأثير (٤) ما يوافق معنى التأويل فى اصطلاح المتأخرين فقال : والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى الى

---

(١) جمع الجوامع بهامش " حاشية البنانى على شرح الجلال المحلى على " جمع الجوامع " للسبكى ج ٢ ص ٤٦ بدون تاريخ .

(٢) ذكره الزبيدى فى تاج العروس ج ٧ ص ٢١٥

(٣) رسالة : الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢ ص ١٧

(٤) ذكر ذلك ابن الأثير فى كتابه " النهاية فى غريب الحديث " ج ١ ص ٨٠ دار الكتب العربية تحقيق طاهر أحمد الرازى ، ومحمود محمد الطناحى .

ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر للفظ (١).

وهذا المعنى يذكره " الزبيدى " أيضا فى " تاج العروس " نقلا عن ابن " الكمال " حيث يقول : قال ابن الكمال : " التأويل صرف الآية عن معناها الظاهر الى معنى تحتمله ، اذا كان المعنى المحتمل الذى تصرف اليه الآية موافقا للكتاب والسنة " (٢) .

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٣٣ دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٥٦ م ـ ١٣٧٥هـ .

(٢) الزبيدى : تاج العروس ج ٧ ، ص ٢١٥ .

موقف السلف من تأويل الخلف

وقد قوبل " التأويل " بالمعنى المعروف عند المتأخرين ، بالرفض من قبل السلف ، وجمهور المحدثين الذين أدركوا نشأة التأويل بهذا المعنى الاصطلاحى فى باب الصفات الالهيـة ،قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الائمة تحريف باطل .. (و) أن أهل السنة متفقون على ابطال تأويلات الجهمية ، ونحوهم من المنحرفين الملحدين .

فالتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره الى ما يخالف ظاهره (١) قال ابن قيم الجوزيه فى بيان بطلان التأويل بهذا المعنى فى الصفات : لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم ، وكان مراده لا يعلم الا بكلامه ، انقسم كلامه ثلاثة أقسام :ـ

أحدها ما هو نص فى مراده لا يقبل محتملا غيره.

الثانى : ما هو ظاهر فى مراده ، وان احتمل أن يريد غيره .

الثالث : ما ليس بنص ، ولا ظاهر فى المراد ، بل هو محتمل محتاج الى البيان ، فالأول يستحيل دخول التأويل فيه ، اذ تأويله كذب ظاهر على المتكلم ، وهذا شأن عامة نصوص القرآن ، الصريحة فى معناها ، خصوصا آيات الصفات، والتوحيد ... فهذا القسم ان سلط التأويل عليه عاد الشرع كله مؤولا ، لأنه أظهر أقسام القرآن ثبوتا ، وأكثرها ورودا ، ودلالة القرآن عليه متنوعة غاية التنوع ، فقبول ما سواه للتأويل أقرب من قبوله بكثير . (٢) .

---

(١) رسالة " الاكليل " ج ٢ ص ٢٢ ـ ٢٣ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥ .

فالحاصل أن كل تأويل دل عليه اللفظ بوضعه ، أو دل عليه السياق ، أو دليل آخر من الكتاب والسنة فهو تأويل صحيح عند الأئمة ، بخلاف التأويل الذى لا يدل عليه اللفظ بوضعه الأصلى اولا يدل عليه السياق أو دليل آخر من الكتاب والسنة فانه تأويل فاسد عند السلف خلافا للمتأخرين من علماء الكلام ، الذين يرون صرف نصوص الصفات ، وغيرها من المتشابهات عن ظاهرها ، اعتمادا على الأدلة العقلية التى توجب ذلك ، على حد زعمهم ظنا منهم أن ما ظنوه ، دليلا عقليا كاف فى صرف الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية عن ظاهرها مهما بلغت من الصحة ، والقوة لأن الأدلة العقلية أقوى عندهم من الأدلة النقلية ، على ما تقدم بيانه .

" والتأويل الباطل أنواع :

أحدهما مالم يحتمله اللفظ بوضعه الأول مثل : تأويل قوله صلى الله عليه وسلم : " حتى يضع رب العزة فيها رجله ـ بأن " الرجل " جماعة من الناس ، فان هذا شيئ لا يعرف فى شيئ من لغة العرب ، البتة .

الثانى : مالم يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع ، وان احتمله مفردا كتأويل قوله : " لما خلقت بيدى " بالقدرة .

الثالث : مالم يحتمله سياقه وتركيبه ، وان احتمله فى غير ذلك السياق ، كتأويل قوله : " هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة ، أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك " بأن اتيان الرب اتيان بعض آياته التى هى أمره ، وهذا يأباه السباق

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥ .

كل الاباء ٠٠ (١)

فان " كثيرا من ألفاظ العربيـة قد تحتمل معنى فى سياق ، قد لاتحتمله فى سيــاق آخـر ، كلفظ اليد مثلا ، فانها عند الاطلاق تحتمل معان كثيرة كالنعمة والقدرة والحاجة، وانما يتضح معناها بحسب السياق ،والموقف الذى وردت فيـه الكلمة ، ومن لم يفـرق بين ما يقتضيـه السياق من المعنى المراد ، وقع فى الخطأ " (٢) ٠

ومن التأويلات الفاسدة ، عامة تأويل الجهميـة للصفات كتأويل أدلـة الرويـا ، وأدلـة العلو ، وتأويل تكليم الله لموسى ، واتخاذ الله ابراهيم خليلا ، وغيرهـا من نصوص الصفات الالهيـة (٣) ٠

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وأما التأويلات المحرفة مثل : استولى ، وغير ذلـك فهى من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية " (٤) وبالجمله فكل تأويل يرجـع الى نصوص الكتاب ، والسنة بالابطال ،فهو تأويل باطل (٥) وقد مثل الشافعيـة، والمالكية والحنابلة للتأويل الفاسد ،بحمل الامام أبى حنيفـة عموم حـديث ، أيما امرأة نكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل ، باطل " على خصوص المرأة المكاتبه ، والصغيرة وحمله أيضا رحمـه الله ـ المسكين فى قوله تعالى :

---

(١) مختصر الصواعق المرسلـة ج ١ ص ١١ ، ١٢

(٢) الامام ابن تيمية وموقفـه من قضيـة التأويل ص ١٧٦

(٣) انظر شرح عقيدة الطحاويـة ص ١٧٠

(٤) رسالة " الاكليل " ج ٢ ص ٣٤ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى٠

(٥) مختصر الصواعق المرسلـة ج ١ ص ١٤

" ستين مسكينا " على المد ، فأجاز اعطاء ستين مدا لمسكين واحد " (١) " وأنت اذا تأملت عامة تأويلات الجهمية رأيتها من هذا الجنس ، بل أشنع " (٢) وأما التأويل الصحيح فهو كل تأويل له أصل من الأدلة الشرعية فترك شيء من ظواهر النصوص لأجل دليل آخر من الكتاب والسنة يوضح المراد فهو تأويل صحيح مقبول لدى الأئمة ، وقد يدل سياق الكلام ويوضح المراد من النصوص وذلك لأن السباق والقرائن المحتفة بالألفاظ كما قلنا قد تبين المراد من بعض الكلمات المجملة التي تحمل لعدة معان ، لأن كثيرا من الألفاظ العربية قد تحتمل معنى في سياق ، بينما لاتحمله في سياق آخر فالسياق والقرائن والعبارات الخاصة لها أهمية كبرى في بيان المقصود بالالفاظ (٣)

فلذا يقول شارح الطحاوية : فالتأويل الصحيح منه : الذى يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد ... " (٤)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

والتأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم والتأويلات التى يذكرونها ، لايعلم أن الرسول أرادها ، بل يعلم بالاضطرار فى عامة النصوص أن المراد منها نقيض ماقالوه . (٥) .

(١) تفسير أضواء البيان جـ ٥ ص ٣٩٠ (٢) مختصر الصواعق المرسلة ص ١٤

(٣) أنظر الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ومقدمة أصول التفسير لشيخ الاسلام ص ٤٣ — ٥٠ ط السلفية ١٣٨٥ هـ ومختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١١ ، ١٢

(٤) شرح العقيدة الطحاويه ص ١٧٣

(٥) موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ١ ص ١٥٤ .

ومن الامثلة على التأويل الصحيح لأجل دليل شرعى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث " الجار أحق بصقبه " فانه ظاهر في ثبوت الشفعة للجار مطلقا ، ويحتمل احتمالا مرجوحا ، أن يكون المراد به خصوص الشريك المقاسم ، غير أن هذا الاحتمال المرجوح أيده حديث آخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام :

" فاذا وقعت الحدود ، وصرفت الطرق ، فلا شفعة " (١) فصرف الحديث الأول عن ظاهره الى المعنى المحتمل المرجوح بدليل هذا الحديث الثاني الذى أيد هذا الاحتمال المرجوح ووضح أنه المراد دون المعنى المتبادر من الحديث الأول (٢)

ولا أعلم خلافا بين العلماء في جواز مثل هذا التأويل عند جميع الأئمة .

ولكن الذى ينبغى أن يعلم أن السلف لا يسمون ترك ظاهر النصوص لأجل دليل آخر كتقييد المطلق وتخصيص العام وترجيح أحد المعانى المحتمله على البعض الاخر بدليل آخر من الكتاب والسنة كل هذا لا يسمونه باسم التأويل* بل يسمونه " نسخا " لأن السلف كانوا " يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم ، او رفع دلالة ظاهرة " (٣)

---

(١) الحديث متفق عليه ، قاله ابن حجر في بلوغ المرام في باب (الشفعة)

(٢) تفسير أضواء البيان ج ١ ص ٢٣٤ ط المدنى .

(*) خلافا للمتأخرين الذين يسمون " ترك ظاهر النصوص لدليل " تأويلا " .

(٣) رسالة الاكليل ج ٢ ص ٦ ، ٨ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى .

وبعد نشأة التأويل بالمعنى الاصطلاحى ، انقسمت الأمة الاسلامية الى طائفتين : السلف ، والخلف ، (١)

ونشط القول بالتأويل فى زمان المتأخرين حتى شمل معظم العالم الاسلامى ، كعقيدة متبعة عكس ما كان عليه الوضع فى صدر الاسلام ، وقد عرفنا مما تقدم أن التأويل بهذا المعنى لم يكن معروفا عند السلف ، ولم يرد فى الكتاب والسنة ، ولا فى مراجع اللغة المتقدمة السالفة الذكر ، مثل كتاب " تهذيب اللغة " للأزهرى و " مقاييس اللغة " لابن فارس ، من المراجع المؤلفة فى حدود قرنى الرابع والخامس الهجرى وانما اشتهر التأويل بهذا المعنى على ألسنة المتأخرين ، وفى مراجع اللغة المتأخرة ، لاننا اذا تعدينا عصر النبوة ، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وعصر التابعين من السلف ، الى عصر المتأخرين ، وكذلك اذا انتقلنا من مراجع اللغة المتقدمة الى مراجع اللغة المتأخرة ، المؤلفة فى حدود القرن السابع الهجرى ، وما بعدها وجدنا معنى جديدا ، يضاف الى معنى كلمة " التأويل " فى اللغة وفى الكتاب والسنة ، ولم يكن معروفا لدى السلف اذا كان الأمر كذلك ، فللسائل أن يسأل قائلا :
اذا ثبت أن التأويل بالمعنى الاصطلاحى للمتأخرين لم يرد فى الكتاب والسنة ، ولا كان معروفا فى مراجع اللغة المتقدمة ، كما أنه لم يكن معروفا على ألسنة المتقدمين فكيف " أصبح شائعا ومتعارفا عليه بين المتأخرين ، بحيث تنوسى بجانبه المعنى اللغوى ، للكلمة ، هل يعتبر ذلك من قبيل التطور الدلالى للألفاظ فيكون اللفظ مستعملا بمعنى فى العصور المتقدمة ، ثم يستعمل فى معنى آخر فى عصر متأخر

---

(١) وسيأتى بيان ، من هم السلف والخلف ؟

حسب اصطلاح المتخاطبين بهذا اللفظ ؟؟ ولكن اذا كان هذا الافتراض صحيحا فهل يجوز أن يعتسف القول ، ويجعل هذا المعنى المتأخر هو عينه المعنى المستعمل فى القرآن ؟ ؟ " (١)

وقد أجاب الاستاذ " الجليند " عن هذه الأسئلة فقال : ان استعمال التأويل بهذا المعنى كما يبدو لى نشأ تحت ظروف عقدية خاصة ، وأخذ ينمو هذا الاستعمال تحت أعين حارسة عليه تحوطه وترعاه بعنايتها حتى كتب له الذيوع ، والانتشار .

ولو ألقينا نظرة فاحصة فى تاريخ الفرق السياسية والكلامية ، وخاصة فى ظروف نشأة الشيعة ، والباطنيه أقول لو تأملنا ظروف نشأة هذه الفرق ، فربما وجدنا بداية الطريق ، واذا ألقينا نظرة على معتقدات هذه الفرق ، وخاصة على ما أسموه بعلم الظاهر ، والباطن وما وضعوه من مصنفات حول هذا العلم ، فقد نجد ما يقوى هذا الافتراض . ولاسيما بعد أن علمنا أثرا تردد كثيرا فى كتب الشيعة وفى كثير من المصنفات " الاسماعيلية " و " المتصوفة " وذلك الأثر هو قولهم :

" ان لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا ، وكثيرا ما يسوغون لأنفسهم التأويل حسب آرائهم بهذا الأثر المزعوم الذى ينسبونه الى على بن ابى طالب عند البعض (٢) والى الامام جعفر الصادق عند البعض الآخرين منهم (٣) فهذا الأثر الذى اعتقدوا صحته فتح باب التأويل أمام هذه الفرق الضالة ، فصارت تأخذ به ليمكن لهم الوصول الى هدفهم ، من نشر عقائدهم التى هى خلاف ظاهر النصوص ، اذ لا يمكن لهم ذلك

---

(١) الامام ابن تيمية وموقفه التأويل ص ٤٧

(٢) وهم الصوفية

(٣) وهم الشيعة

الا بعد ابعاد ظواهر النصوص عن المعنى الظاهر عن تلك النصوص واذا وضعنا " الأثر أمام أعيننا ووضعنا بجانبه التعريف الاصطلاحي للتأويل لوجدنا الشبه واضحا ، والعلاقة قوية بين التأويل بمعناه الاصطلاحي ، وبين الأثر المتردد على السنة الشيعة ، والصوفية السابق ذكره ، فهناك ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل ، وفى التأويل الاصطلاحي ظاهر غير مراد ، وباطن مراد يجب البحث عنه فالقول بالباطن هو الأساس الذى وضع لأجله تعريف التأويل بهذا المعنى ••• واذا كنت لا أملك الآن أدلة حاسمة تؤكد لى هذا الافتراض ، وتحدد الفترة التاريخية التى بدأ استعمال التأويل فيها بهذا المعنى ، الا أنه لا ريب فى أن النصيب الأكبر فى ذلك يرجع الى الدور الذى قام به أصحاب الاتجاه الباطن من الصوفيه والشيعة ، يشاركهم فى هذا كثير من الفرق الذين نادوا بفكرة الامام المعصوم الذى يأتى من لدنه تأويل التنزيل فلقد ساهم هؤلاء جميعا فى شيوع استعمال التأويل بهذا المعنى واختاروا لشيوع آرائهم وذيوعها الشخصيات التى يحسن المسلمون الظن بهم ، مصوبين بذلك سهامهم الى ظواهر الشرع ، فأبطلوها ، والى كتاب الله فحرفوه " (١)

فان قيل : بقى سؤال آخر وهو ، هل مجرد وجود التأويل بهذا المعنى فى مراجع اللغة المتأخرة كاف فى ثبوت التأويل بهذا المعنى لغة ؟

أجاب الاستاذ " الجليند " عن هذا السؤال أيضا بما حاصله :

١ ـ أن التأويل بالمعنى الثالث ، لم يرد " فى المعاجم المتقدمة وانما ورد فى لسان العرب ، نقلا عن ابن الأثير ، وتاج العروس ، نقلا عن ابن الكمال ، وكلاهما من

---

(١) الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٤٨ ، ٤٩ •

من نتاج العصور المتأخرة عن عصر الرواية ، والاستشهاد ، " والاحتجاج " وعدم ورود هذا المعنى فى معاجم القرن الرابع الهجرى ، يعنى أن هذا المعنى لم يكن معروفا بين رجال اللغة ، والمعنيين بها ، ولم يكن مشتهرا بينهم .

٢ ـ أن رواية ابن منظور عن ابن الأثير والزبيدى عن ابن الكمال بالاضافة الى ماذكره " السبكى " وابن الجوزى لم يكن ذلك كافيا فى الدلالة على أن التأويل بهذا المعنى له أصل فى لغة العرب ، لأن هؤلاء " ليسوا رواة لغة ، ولا محدثين بها ، ولم يعرف عن أحد منهم أنه اشتغل بذلك ، وانما بين فقيه ، أو متكلم أو أصولى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أن رواية هذا المعنى جاءت عند كل منهما ـ يعنى عند " الزبيدى " فى " تاج العروس " وابن منظور فى " لسان العرب " ـ مجردة " عن الأمثلة ، والشواهد التى تبين استعمال التأويل فى هذا المعنى ، الذى أرادوه وتوضحه ، وهذا عكس ما عهدناه منهما ازاء الاستعمالين الآخرين للفظ التأويل ، حيث أورد كل منهما من الأمثلة والشواهد ما وضح به المعنى المراد من الكلمة ويترتب على هذا نتيجة مهمة وهى " أن الكلمة لم تستعمل فى هذا المعنى مطلقا بين رجال اللغة فى العصور المتقدمة ، اذ لو استعملت عندهم فى ذلك لأوردوا لها أمثلة ، وشواهد توضيحية ، كما فعلوا ازاء الاستعماليين الآخرين " واذا لم تكن الكلمة قد عرفت بينهم ، ولم تستعمل فى هذا المعنى ثم وجدناها بعد ذلك فى المعاجم المتأخرة فلابد من أنها قد شاعت واشتهرت بهذا المعنى فى مجال آخر غير مجال الدراسة اللغوية ، وصارت من الشهرة بحيث أصبح متعارفا عليها ، وتمكنت بذلك أن تجد لها مكانا فى المعاجم اللغوية المتأخرة " (١)

---

(١) ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٣٣ ، ٣٤ .

هذا ، وليس ذم السلف وردهم لتأويل الخلف لكونه اصطلاحا جديدا فحسب بل هناك سبب آخر هو أهم الأسباب ، التى لأجلها ردوا التأويل بهذا المعنى ذلك أن هذا التأويل كان سببا لرد كثير من ظواهر النصوص فى باب العقائد ، ولاسيما فى الصفات الالهية .

ولأنه يمهد الطريق لكل ملحد يريد هدم الاسلام ، وتمزيق العقيدة المأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تمكنت الباطنية الاسماعيلية والقرامطة سابقا واهل وحدة الوجود ، وغيرهم من الملاحدة من انشاء عقيدة جديدة فى الدين الاسلامى عن طريق التأويل للنصوص ، وصرفها عن ظواهرها ، كل طائفة فسرت الكتاب ، والسنة على هواها ، كيف شاءت ، وعلى أى وجه تريد ، اعتمادا على هذا التأويل المستحدث الذى مهد لهم الطريق .

ويرى بعض علماء الاسلام ، أن كل ما حدث فى الاسلام من البدع ، والفتن ، والخلاف ، والتفرق الذى نشأ فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، كان سببه ، التأويل ، الباطل الذى أحدثوه ، وفى ذلك يقول ابن قيم الجوزية فى قصيدته النونية تحت عنوان " جناية التأويل " .

وجميع مافى الكون من بدع واحـ * ـداث تخالف موجب القرآن

فأساسها التأويل ذو البطلان لا * تأويل اهل العلم والايمان

يعنى أن جميع ما أحدث فى الدين من بدع مخالفة لمقتضى الكتاب ، والسنة الصحيحة ، فلا سبب له الا التأويل الباطل الذى هو فى الحقيقة تحريف للكلم عن مواضعه ، وعدول بالألفاظ عن معانيها المتبادرة منها بغير موجب لذلك الصرف " الا محاولة تصحيح ما جنح اليه القوم من الاهواء الضالة التى أخذوها مما عند اليهود ، والنصارى ، وفلاسفة اليونان والصابئة وغيرهم " (١)

---

(١) قصيدة النونيه مع شرح الدكتور / محمد خليل هراس على " النونية " ج ١ ص ٢٦٦ مطبعة الامام .

فالواجب على الأمة الاسلامية اجتناب مثل هذه التأويلات المبتدعة ، والرجوع الى الكتاب والسنة فى كل ما تنازعوا عليه ، حسبنا كتاب الله ، والسنة المطهرة فى مجال العقائد والفروع على حد سواء ، دون حاجة الى ما أسموه بالأدلة العقلية ، وهى تخالف موجب الكتاب ، والسنة ، وقد أمرنا بالرجوع اليهما عند التنازع وبالتمسك بهما أوصى صلى الله عليه وسلم أمته ، لاغير .

٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥

(الفصـــــل الثانى)

=======

فـى

" بيــان المراد بالمتشابــه والمحكم ، والتأويل فى آيــة " آل عمران "

ويشمل على المواضيــع التاليــة :

أ ـ بيان معنى كل من المحكم ، والمتشابــه لغــة وفي القرآن الكريم بصفة عامة.

ب ـ بيان المراد بالمتشابــه والتأويل فى خصوص آيــة " آل عمران " .

ويشمل على ما يلى من المواضيــع :

أ ـ بيان موضع الوقف في الآيــة المذكورة مع بيان المراد بالمتشابـــه والتأويل عند السلف فى حالــة الوقف على لفظ الجلالــة " الا اللــه " أو على " والراسخون فى العلـم "

ب ـ بيان المراد بالمتشابــه والتأويل عند المتأخرين ، فى حالة الوقف فـــى الموضعين من الآيــة الكريمــة

المحكم والمتشابه لغـــة

الكلام على المتشابه والتأويل فى آيـة " آل عمران " يدعونا الى الكـلام على المحكم ، والمتشابه لغة ، وفى القرآن الكريم بصفة عامة ، لأن ذلـك مما يعيننا على فهم المراد بالمتشابه والتأويل فى الآيـة الكريمة ، لذا رأينـا أن نبين هنا بالايجاز معنى كل من المحكم ، والمتشابه قبل الكلام على المتشابه والتأويل فى خصوص آيـة " آل عمران " فاليك بيان معنى المحكم والمتشابه فـى اللغـة .

قال فى القاموس : والحكمة بالكسر ، العدل ، والعلم ، والحلم ، والنبـوة والقرآن ، والانجيل ، وأحكمه ، أتقنه فاستحكم ، ومنعه من الفساد ... وسـورة محكمة غير منسوخة ، والآيات المحكمات : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم الـى آخر السورة (١) ، أو التى أحكمت ، فلا يحتاج سامعها الى تأويلها لبيانها كأقاصيص الأنبياء . (٢) وفى معجم متن اللغـة : المحكم ، الذى لايعرض فيه شبهـة من حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى .

وهو خلاف المتشابه ، وسورة محكمة : غير منسوخة . (٣) ويقال : " أحكم الشيء احكاما ، أتقنه فالشيء محكم ، وهى محكمة ، والسورة المحكمة ، والآيـة المحكمة هى المتقنة الواضحة " (٤)

---

(١) الآيـة من سورة الانعام : ١٥١

(٢) القاموس جـ١ ، ص ٥٩٥ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م مطبعة الاستقامة بالقاهرة

(٣) معجم متن اللغـة ، موسوعة لغوية حديثة ، للشيخ أحمد رضا ، عضو المجمع العلمى العربى بدمشق جـ ٢ ص ١٤٠ دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م .

(٤) معجم ألفاظ القرآن جـ ١ ص ٢ ـ ٣ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

قال محمد مرتضى الزبيدى :

" والمتشابه مالم يتلق معناه من لفظه ، وهو على ضربين أحدهما اذا رد الى المحكم عرف معناه ، والآخر مالا سبيل الى معرفة حقيقته فالمتبع له مبتدع ، ومتبع للفتنه ... وروى عن الضحاك أن المحكمات مالم تنسخ ، والمتشابهات ماقد نسخ " (١)

قال الشيخ : محمد رشيد رضا فى أصل معنى " المحكم" لغة : المحكمات من أحكم الشيئ بمعنى وثقه ، وأتقنه ، والمعنى العام لهذه المادة المنع فان كل محكم يمنع باحكامه تطرق الخلل الى نفسه أو غيره ، ومنه الحكم ، والحكمة ، وحكمة الفرس ، قيل وهى أصل المادة والمتشابه يطلق فى اللغة على ماله أفراد ، أو أجزاء يشبه بعضها بعضا ، وعلى ما يشتبه من الأمر أى يلتبس" (٢)

قال الاستاذ عبدالعظيم الزرقانى :ـ

فاللغويون يستعملون مادة الاحكام " بكسر الهمزة " فى معان متعددة ، لكنها مع تعددها ترجع الى شيئ واحد هو المنع . فيقولون :

أحكم الأمر أى أتقنه ،ومنعه عن الفساد ... ويقولون : حكم لنفسه وحكم الناس أى منع نفسه ومنع الناس عما لا ينبغى ، ويقولون أحكم الفرس أى جعل له حكمة " بفتحات ثلاث" والحكمة ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه تمنعه من الاضطراب .

---

(١) تاج العروس ج ٩ ص ٣٩٣ بدون تاريخ
(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ١٦٣ الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٩ هـ الموافق سنة ١٩٦٠م.

وقيل : آتاه الله الحكمة أى العدل أو العلم أو الحلم ، او النبوة أو القرآن لما فى هذه المذكورات من الحوافظ الأدبية الرادعة عما لا يليق . (١)

---

(١) مناهل العرفان جـ ٢ ص ١٦٦ دار احياء التراث العربى بيروت لبنان عيسى البابى الحلبى .

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم :

أما المحكم في القرآن الكريم فله ثلاث اطلاقات :

١ـ يطلق المحكم ويراد به الناسخ ، من ذلك قول بعض المفسرين القدامى : المحكم هو الناسخ ، والمتشابه المنسوخ ويقول البعض الآخرين منهم : هل عرفت الناسخ من المنسوخ ، فاذا عرفت الناسخ عرفت المحكم فعلى هذا يصح ان يقال :ـ

" المحكم والمنسوخ كما يقال : المحكم ، والمتشابه " فعلى هذا الاطلاق يكون كل من المحكم ، والمتشابه منزلا من عند الله (١)

غير أن المنسوخ مرفوع حكمه (٢) أو تلاوته (٣) أو كلاهما معا (٤) فعلى هذا القرآن كله محكم ما عدا المنسوخ منه .

٢ـ أما الاطلاق الثاني ، فهو اطلاق المحكم على ما يقابل المتشابه ، ويراد بالمحكم على هذا الاطلاق معنيان :

---

(١) الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢ ص ٦ ـ ٨ والموافقات للشاطبي ج ٣ ص ٨٥ ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، وتفسير سورة الاخلاص ص ١١٧

(٢) أي مرفوع حكمه دون تلاوته ، كما في قوله تعالى : " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " منسوخ بقوله تعالى : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " مناهل العرفان ج ٢ ص ١١١

(٣) أي منسوخ التلاوة دون الحكم ، كقول عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضى الله عنهما : " كان فيما أنزل من القرآن " الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة " وأنت تعلم أن هذه الآية لم يعد لها وجود بين دفتي المصحف ولا على ألسنة القراء ، مع أن حكمها باق على احكامه فلم ينسخ ." مناهل العرفان ج٢ ، ص ١١١ .

(٤) أي منسوخ التلاوة والحكم معا ، كما قالت عائشة رضى الله عنها : " كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات معلومات ، يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن وهو حديث صحيح " مناهل العرفان ج ٢ ص ١١٠

المعنى الأول :

ما كان واضح الدلالة على المعنى المراد منه والمتشابه على العكس من ذلك وهو ما كان خفى الدلالة على المراد او ما كان محتملا لأكثر من معنى واحد ، ويسمى " المتشابه النسبى " .

والمعنى الثاني :

ما كانت حقيقته المقصودة ، معلومة للناس غير مجهوله ، والمتشابه على خلاف ذلك وهو ما لا يعلم حقيقته ومآله ، أو كيفيته ، الا الله تعالى كذات الرب ، وصفاته سبحانه ، وحقيقة نعيم الجنه ، والنار ، وما الى ذلك من الأمور الغيبية التى استأثر الله بعلم حقيقتها وكيفيتها ، ويسمى " المتشابه الحقيقى " .

والمحكم والمتشابه بالاطلاق الثانى هما المعنيان فى آية " آل عمران " على ما سيأتى تفصيله قريبا ان شاء الله تعالى . (١)

ومما يوضح هذين الاطلاقين ، الأول ، والثانى ما ذكره الأستاذ : محمد عبد العظيم الزرقانى " قائلا : يطلق المحكم فى لسان الشرعيين على ما يقابل المنسوخ تارة ، وعلى ما يقابل المتشابه تارة أخرى ، فيراد به على الاصطلاح الأول ، الحكم الشرعى الذى لم يتطرق اليه نسخ . ويراد به على الثانى ما ورد من نصوص الكتاب والسنة دالا على معناه بوضوح لا خفاء ، فيه " (٢)

والمعنى الثالث :

يطلق المحكم ويراد به المتقن الذى لا يتطرق اليه خلل بوجه من الوجوه ،

---

(١) انظر رسالة : الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢ ص ٧ ـ ٨ والموافقات ج٣ ص ٨٥ ـ ٨٦

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٦٨ دار الاحياء العربية .

ويطلق مقابلا لما يلقيه الشيطان ، وعلى هذين المعنيين ، فجملة كتاب الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم - محكم أحكمت ألفاظه ومعانيه ، فلا يشتبه بغيره ، ولا يشتبه به غيره ، وليس فيه شيئ من كلام غيره تعالى وماعداه هو المتشابه الذى يجوز عليه النقص ، ويتطرق اليه الخلل ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية مشيرا الى المحكم والمتشابه بهذا المعنى : ان الاحكام تارة يكون فى التنزيل فيكون فى مقابله ، ما يلقيه الشيطان ، فالمحكم المنزل من عند الله ، أحكمه الله ، أى فصله من الاشتباه بغيره وفصل منه ماليس منه ، فان الاحكام هو الفصل والتمييز ، والفرق ، والتحديد الذى به يتحقق الشيئ ويحصل اتقانه" (١) قال تعالى : " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " (٢) فالمراد بالمحكم فى الآية جميع القرآن وقال تعالى فى آية أخرى :

وما أرسلنا من قبلك من رسول ، ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم آياته " (٣) فالمحكم هنا ، المنزل من عند الله ، والمتشابه الباطل الذى يلقيه الشيطان فى أمنية الرسول أو النبى ليظن من فى قلبه مرض أن ذلك من جملة القرآن فيكون سببا لضلاله عن الهدى ، ولكن الله ينسخ مايلقيه الشيطان ثم يحكم آياته .

قال تقى الدين ابن تيمية :

والقاء الشيطان فى امنيته ، قد يكون فى نفس لفظ المبلغ وقد يكون فى مسمع المبلغ

---

(١) الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ٥ ، ص ٧

(٢) سورة هود آية : ٢

(٣) " الحج " : ٥٢

وقد يكون فى فهمه ٠ (١) *

(١) الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢ ص ٨

(*) ويذكر كثير من المفسرين فى سبب نزول هذه الآية الأخيرة :

أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمنى هداية قومه ويتمنى أن لاينزل عليه ما ينفرهم عنه وذلك حرصا على هدايتهم ، وفى ذات يوم كان النبى صلى الله عليه وسلم " جالسا فى ناد من أندية قريش ، وقد نزلت سورة " والنجم " فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتهى عند قوله تعالى : " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " فالقى الشيطان على لسانه هذه الكلمات : " تلك الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهن لترتجى ، ولما وصل النبى صلى الله عليه وسلم فى تلاوته عند آية " السجدة " فى آخر السورة سجد صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ، وسجد معهم المشركون جميعا ظنا منهم أن النبى صلى الله عليه وسلم رجع الى دينهم حيث ذكر آلهتهم بخير لأول مرة (٢) ولا شك أن هذه الرواية باطلة غير صحيحة كما صرح بذلك غير واحد من أهل العلم ، لأن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام معصوم فى أداء الرسالة ، وتبليغ الأمانة الى الأمة فلا ينطق بلسانه الا ما كان وحيا من عند الله ، كما وصفه ربه بذلك فى محكم تنزيله ، " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى " فلا يمكن أن يجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم ما يلقيه الشيطان لأن العصمة من الله ٠ تمنعه من ذلك هذا ، انظر أقوال أهل العلم فى الرد على هذه القصه ، فى تفسير " فتح البيان ج ٦ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ وتفسير " اضواء البيان ج ٥ ص ٧٣٠ ـ ٧٣٢ ٠

(٢) تفسير فتح البيان ج ٦ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ والكشاف ج ٣ ص ١٩ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ٠

وهناك رواية أخرى حكاها ابن كثير قال فيها : فلما أنزل الله سورة " النجم " قال : " أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى " ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال وانهن لهن الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لهى التى ترتجى وكان ذلك سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا ان محمدا رجع الى دينه الأول ودين قومه ... " (١)

ويرجح كثير من المفسرين أن القاء الشيطان لم يكن على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ، بل كان فى مسامع المشركين ، أى " أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فى نفس الأمر ، بل انما كان من صنع الشيطان لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢) .

ويؤيد هذا المعنى ما قاله شيخ الاسلام سابقا " والقاء الشيطان فى امنيته قد يكون فى نفس لفظ المبلغ وقد يكون فى سمع المبلغ ، وقد يكون فى فهمه .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٩
(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٠ وتفسير فتح البيان ج ٦ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

وعلى ضوء ما تقدم بيانه من وصف القرآن الكريم كله بالأحكام (١) يعترضنا سؤال يقول : هناك آية أخرى جاء فيها وصف القرآن كله بالمتشابه وذلك فى قوله تعالى :

"الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى (٢) تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ." (٣) الاية وفى آية آل عمران ، جاء وصف القرآن بأن بعضه محكم ، والبعض الآخر متشابه ، فالآيات الثلاثة ظاهرها التعارض ، كما لا يخفى ، غير أن أهل العلم أجابوا عن هذا الاشكال ، وبينوا وجه الجمع بين الآيات الثلاثة بما حاصله : أن الاحكام فى الآية الأولى - وهى قوله تعالى : "كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ... الآية أريد به الاتقان المانع من تطرق الخلل اليه ، وليس من شك أن القرآن بهذا المعنى كله محكم ، والتشابه فى الآية الثانية أريد به المماثلة فى الصدق ، والحسن ، والبيان ، والبلاغة ولاشك أن القرآن كله متشابه من هذه الحيثية . أى : "يشبه بعضه بعضا فى هدايته وبلاغته وسلامته من التناقض والتفاوت ، والاختلاف ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . (٤)

---

(١) وذلك فى قوله تعالى : (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) .

(٢) والمتشابه هنا هو الكلام الذى يكون فى سياق واحد " والمثانى " هو الكلام فى شيئين متقابلين ، كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك أفاده ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ٣٤٥

(٣) الزمر آية : ٢٢

(٤) تفسير المنار ج ٣ ص ١٦٣ وانظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ١

أما كون بعض القرآن محكما ، وبعضه متشابها فقد تقدم أن قلنا ان القرآن منه ما هو خفى الدلالة على المعنى المراد وهو المتشابه ، ومنه ما هو واضح الدلالة على المراد ،وهو المحكم . قال الأستاذ / محمد عبدالعظيم / فى ايضاح وجه الجمع بين الآيات الثلاثة : ولا تعارض بين هذه الاطلاقات الثلاثة لأن معنى احكامه كله ، أنه منظم رصين ، متقن متين لايتطرق اليه خلل لفظى ،ولا معنوى كأنه بناء مشيد محكم يتحدى الزمن ، ولا ينتابه تصدع ،ولا وهن ، و معنى كونه كله متشابها أنه يشبه بعضه بعضا فى أحكامه ، وحسنه وبلوغه حد الاعجاز ، فى ألفاظه ومعانيه ، حتى انك لاتستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته فى هذا الحسن والاحكام والاعجاز ،كأنه حلقة مفرغة ، لايدرى أين طرفاها وأما أن بعضه محكم ، وبعضه متشابه ،فمعناه أن من القرآن ما اتضحت دلالته على مراد الله تعالى منه ، ومنه ما خفيت دلالته على هذا المراد الكريم ، فالأول هو المحكم ، والثانى هو المتشابه ، على خلاف يأتى بين العلماء فى ذلك ، بيد أن الذى اتفقوا عليه ، ولا يمكن أن يختلفوا فيه ، هو أنه لا تنافى بين كون القرآن كله محكما أى متقنا ، وبين كونه كله متشابها أى يشبه بعضه بعضا فى هذا الاتفاق ، والاحكام ، وبين كونه منقسما الى ما اتضحت دلالته على مراد الله ، وما خفيت دلالته ، بل ان انقسامه هذا الانقسام محقق لما فيه كله من أحكام ، وتشابه بالمعنى السابق (١)

---

(١) مناهل العرفان جـ ٢ ص ١٦٧ .

(بيان موضع الوقف في آية " آل عمران")

وهي قوله تعالى : هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب (١) وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة (٢) ، وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله.

والراسخون (٣) فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب " (٤) .

يختلف معنى التأويل ، والمتشابه حسب اختلاف موضع الوقف فى الآية ، فنبين أولا مذهب العلماء فى موضع الوقف ثم نبين معنى كل من المتشابه والتأويل فى الآية الكريمة . ومن المعروف أن للعلماء فى موضع الوقف فى الآية مذهبين :

المذهب الأول :

الوقف على لفظ الجلالة " الا الله " وهذا هو مذهب جمهور السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة .

---

(١) " أى أصله الذى يعول عليه فى الاحكام ، ويعمل به فى الحلال والحرام ، ويرد ما خالفه اليه " تفسير فتح البيان ج ٢ ص ٦ مطبعة العاصمة - القاهرة.

(٢) أى طلبا منهم لفتنة الناس فى دينهم ، والتلبيس عليهم وافساد ذوات بينهم ، لاتحريا للحق . تفسير فتح البيان فى ج ٢ ص ١٠

(٣) وفى المختار ، ورسخ الشيء ثبت وبابه خضع ، وكل ثابت راسخ ومنه " الراسخون فى العلم " أ هـ
وجاء فى الحديث عن أبى أمامة وأبى الدرداء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين فى العلم فقال : " من برت يمينه وصدق لسانه ، واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين فى العلم " . ذكره ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ٣٤٧ .

(٤) آل عمران : ٧

والمذهب الثاني : الوقف على كلمة " والراسخون في العلم " ، وهذا أيضا مذهب بعض السلف وأما الخلف ، فانهم لم يختلفوا عن السلف في موضع الوقف ، فمنهم من يرى الوقف على لفظ الجلالة ، مثل جمهور السلف ، ومنهم من يرى الوقف على " والراسخون في العلم " كما هو الحال عند بعض السلف ، وانما خالفوا السلف في المراد بالمتشابه ، والتأويل في الآية حيث قصدوا من المتشابه والتأويل معنى لم يقصده السلف منهما على ما سيأتي توضيح ذلك ان شاء الله تعالى ومن ذهب من الصحابة الى الوقف على لفظ الجلالة عمر بن الخطاب ، وابن عباس وعائشة وابن مسعود وأبى بن كعب ومن التابعين ، ومن بعدهم ، عمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء ، وابو نهيك الأسدى ، والكسائي والأخفش ، والفراء ، وأبو عبيدة وثعلب وابن الانبارى (١).

واختار هذا المذهب من المفسرين ابن جرير الطبرى (٢) والامام الشوكانى (٣) ومن الفقهاء ابن قدامة الذى دافع عن هذا المذهب بشدة ، وقرر أن الوقف التام عند لفظ الجلالة (الا الله) وأن الواو في الآية استئنافية لا عاطفة واستدل على ذلك

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٣ ص ١٨٢ـ١٨٣ ، وابن كثير ج ١ ص ٣٤٦ـ٣٤٧ ، وتفسير أضواء البيان ج ١ ص ٢٣٦ـ٢٣٧ وتفسير سورة الاخلاص ص ١٢٩ . وتفسير الشوكاني " فتح القدير " ج ١ ص ٢٨٥ والاتقان للسيوطي ج٢ ص ٢ وتفسير " فتح البيان ج ٢ ص ٥ ١ ط العاصمة ـ القاهرة ومختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(٢) وذلك في تفسيره ج ٣ ص ٣٨٤

(٣) قرر ذلك في تفسير " فتح القدير ج ١ ص ٢٨٦ـ٢٨٧ وارشاد الفحول ص ٣٢

بعدة أدلة ساقها فى كتابه " روضة الناظر " ومما استدل به هو ، وغيره من الذين رجحوا هذا المذهب.

أ ـ قالوا ان الله تعالى ذم مبتغى التأويل ، ولو كان ذلك معلوما للراسخين لكان مبتغيه ممدوحا لا مذموما .

ب ـ أن قولهم : آمنا به ، يدل على نوع تفويض وتسليم لشيئ لم يقفوا على معناه سيما (وقد) اتبعوه بقولهم : " كل من عند ربنا ".

ج ـ وكذلك استدلوا بحذف الواو من جملة " يقولون " من قوله تعالى : " يقولون آمنا به ... " الآية وقالوا ان حذف الواو من هذه الجملة دليل على أن الواو فى قوله تعالى : " والراسخون فى العلم " ليست عاطفة بل هى استئنافية اذ لو كانت عاطفة لوجب أن يقال فى الآية : " ويقولون آمنا به " بالواو ، وذلك لئلا يلزم مجيئ الحال من المعطوف دون المعطوف عليه .

فحذف الواو من جملة " يقولون آمنا به " ... " الاية قرينة دالة على أن الواو فى " والراسخون فى العلم " استئنافية لا عاطفة :

ومن أدلتهم أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم ذم مبتغى المتشابه فقال : " اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فاحذروهم " (١) ولهذا ضرب عمر بن الخطاب رضى الله عنه " صبيغ بن عسل (٢) لما سأله عن المتشابه (٣) .

---

(١) أخرجه الشيخان ، أنظر صحيح البخارى كتاب التفسير فى تفسير سورة آل عمران وكذلك تفسير ابن كثير . ج ١ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٢) هكذا جاء اسم " صبيغ " فى كتاب " تفسير سورة الاخلاص " لابن تيمية فى ص ١٢٠ وجاء فى الاتقان للسيوطى ما نصه : أن رجلا يقال له : " صبيغ " قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال : أنا عبدالله ابن صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمى رأسه..." أفاده السيوطى فى الاتقان ج ٢ ص ٤ .

(٣) تفسير سورة الاخلاص ص ١٢٠ (وروضة الناظرين ص ٣٦ والاتقان للسيوطى ج٢ ص٣ .

ومن أدلتهم القراءات التاليــة :ــ

١ــ قراءة ابن عباس ، وأبى بن كعب فى الآيــة :

وما يعلم تأويلــه الا اللــه ، ويقول الراسخون آمنا بــه "

وقال السيوطى : " فهذا يدل على أن الواو للاستئناف ، لأن هذه الرواية ان لـم تثبت بها القراءة فأقل درجتها أن تكون خبرا باسناد صحيح الى ترجمان القرآن (١) ، فيقدم كلامــه فى ذلك على من دونه .

٢ــ قراءة ابن مسعود ، وأبى ابن كعب أيضا فى الآيــة :

ان تأويلــه الا عند الله ، فالراسخون فى العلم يقولون آمنا به . (٢) ولابن مسعـــود قراءة أخرى فى الآيــة :

" ان حقيقة تأويلــه الا عند الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا بــه " (٣)

وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، وابن أبى حاتم عن ابى مليكة قال : قرأت على عائشــة هؤلاء الآيات فقالت : كان رسوخهم فى العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه وما يعلـــم تأويلــه الا اللــه . ولم يعلموا تأولــه ، وأخرج ابن جـــرير ، وابن أبـــى حاتم عن أبى الشعثاء وأبى نهيك قالا : انكم تصلون هذه الآية ، وهى مقطوعـــة : وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به . كل من عند ربنا ، فانتهـى علمهم الى قولهم الذى قالوا " (٤)

---

(١) يعنى عبد الله بن عباس .
(٢) ابن كثير : تفسير ، ج ١ ص ٣٤٧ ، والاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ٣
ابن جرير الطبرى : التفسير ج ٣ ص ١٨٤ الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م
(٣) السيوطى ، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٦ بدون تاريخ .
(٤) السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٦

وقد أجاب المخالفون عن هذه الأدلـة فقالوا :

ا ـ أما قولكم :

أن الله ذم مبتغى التأويل ولو كان ذلك معلوما للراسخين لكان مبتغيه ممدوحـا لا مذمومـا .

فالجواب :

ان المقصود بالذم فى الآيـة ، هم مبتغوا المتشابه ، لابتغاء الفتنة " وهـو حال أهل القصد الفاسد ، الذين يريدون القدح فى القرآن ، فلا يطلبـون الا المتشابـه لافساد القلوب " وفتنتها بـه ، وليس طلبهم لتأويله لأجل العلـم ، والاهتداء ، بل لأجـل الفتنـة فلهذا ضرب عمر بن الخطاب " صبيغ بن عسـل " لأن قصده كان ابتغاء الفتنـة ، والتشكيك ، فهؤلاء هم الذين عناهم النبى صلـى الله عليـه وسلم بقوله :

اذا رأيتم الذين يبتغون ما تشابه منه فاحذروهم " (ولهذا يبتغون أى يطلبـون المتشابـه ، ويقصدونه دون المحكم " أما السؤال عن المتشابـه لقصد المعرفـة وازالـة ما عرض له من الشبهـة ، وهو عالـم بالمحكم متبع له مؤمن بالمتشابـه ، لايقصد فتنة فهذا ليس مذموما ، ولا مقصودا بالذم فى الآيـة الكريمة (١)

ب ـ وأما قولكم :

ان قولهم " آمنا بـه ،٠٠٠ " يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفـوا على معناه ٠٠٠ " فالجواب عنه :ـ

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٢١ وكتاب " متشابه القرآن " للقاضـى عبدالجبـار ٠ ص ١٦٠

ان الايمان بالمتشابه لا يتنافى مع معرفة تأويل المتشابه وفهم معناه ، وتفسيره ، ولو كان المراد (مجرد الوصف بالايمان لم يخص الراسخين بل قال : والمؤمنون يقولون آمنا فان كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به ، فلما خص الراسخين فى العلم بالذكر علم أنهم امتازوا بعلم تأويله فعلموه لأنهم عالمون ، وآمنوا به لأنهم يؤمنون وكان ايمانهم به مع العلم أكمل فى الوصف وقد قال عقب ذلك : " وما يذكر الا أولوا الألباب " .

وهذا يدل على أن هناك تذكرا يختص به أولوا الالباب ... " (١) .

ج ـ والاستدلال بحذف الواو من جملة (يقولون) على كون الواو فى "والراسخون" مستأنفة فرارا من مجيء الحال من المعطوف دون المعطوف عليه أجابوا عنه بقولهم : ان مجيء الحال من المعطوف وحده دون المعطوف عليه جائز ليس محذورا بل له شواهد من القرآن الكريم

من ذلك قوله تعالى :ـ

(وجاء ربك والملك صفا صفا) فقوله سبحانه : صفا صفا ، جاء حالا من المعطوف وهو لفظه (والملك) دون المعطوف عليه وهو كلمة (ربك)

ومثله قوله تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا .. الآية (٢) فجملة يقولون حال من الفاعل فى قوله : " والذين جاءوا ، وهو معطوف على قوله : " للفقراء المهاجرين .. " * وقوله : " والذين تبوءوا الدار والايمان " فهو

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٢٠ ـ ١٢١ .
(٢) سورة الحشر : ٨
(*) قوله : (للفقراء المهاجرين) بدل من قوله : (ولذى القربى والمعطوف عليه) ذكره فى الكشاف ج ٤ ص ٨٤

حال من المعطوف دون المعطوف عليه " (١)

وأما القراءة المروية عن ابن عباس ، وأبى بن كعب ، فقد ثبت عنهما برواية صحيحة ما يخالف قراءتهما حيث نقل عن ابن ابى نجيح (٢) عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله (٣) وكذلك " أبى بن كعب ، رضى الله عنه " قد عرف أنه كان يفسر ما تشابه من القرآن ... "

(ونقل ذلك عنه أثبت) من نقل هذه القراءة التى لا يعرف لها اسناد " (٤)

وأما قراءة ابن مسعود وأبى بن كعب الثانية ، فقد ذكر شيخ الاسلام ، أن هذه القراءة منهما ليس لها اسناد معروف حتى يحتج بها ، وانما المعروف عن ابن مسعود أنه كان يقول : ما فى كتاب الله آية الا وأنا أعلم فيما أنزلت ...) مع أن قراءة " عبد الله " المتقدمة لا تتعارض مع قوله هذا ، " فان نفس التأويل لا يأتى به الا الله كما قال تعالى : " هل ينظرون الا تأويله ... " (٥)

(١) تفسير أضواء البيان ج ١ ص ٣٨٢ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٤٧ وتفسير سورة الاخلاص ص ١٢١

(٢) قال شيخ الاسلام : وقول القائل : لا تصح رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد ، جوابه ، أن تفسير ابن ابى نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير ، بل ليس بأيدى أهل التفسير كتاب فى التفسير أصح من تفسير ابن ابى نجيح عن مجاهد الا أن يكون نظيره فى الصحة ثم معه ما يصدقه وهو قوله عرضت المصحف على ابن عباس أقفه عند كل آية وأسأله عنها . تفسير سورة الاخلاص ص ١٣١ .

(٣) أنظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٤٧

(٤) تفسير سورة الاخلاص ص ١٣١

(٥) نفس المرجع ص ١٣٠ .

الوقف على " والراسخون في العلم وأدلة ذلك "

ظهر أنه على مذهب الجمهور المتقدم الذي هو الوقف على لفظ الجلالة تكون الواو في قوله تعالى : " والراسخون في العلم " مستأنفة غير عاطفة وأن الكلام يتم عند لفظ الجلالة " الا الله " ويكون " والراسخون في العلم " مبتدأ خبره جملة " يقولون آمنا به ".

وتأويل المتشابه على هذا المذهب ، لايعلمه أحد الا الله ، وسيأتي ايضاح المراد بالمتشابه والتأويل عند أصحاب هذا المذهب ، ونريد هنا بيان مذهب الآخرين ، الذين يرون الوقف على لفظة " والراسخون في العلم " والواو عاطفة على هذا المذهب والراسخون في العلم معطوف على لفظ الجلالة ، فيكون المعنى ، لايعلم تأويل المتشابه الا الله ، والا الراسخون في العلم ، وجملة " يقولون آمنا به " محلها النصب على الحالية ، أو معطوف بعاطف محذوف على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى.

وممن ذهب الى هذا الرأي ، ابن عباس ، حبر الأمة في أحد قوليه وتلميذه مجاهد ، امام المفسرين ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، والقاسم ابن محمد ، وتبعهم في ذلك كثير من المفسرين وأكثر المتكلمين وعلماء الاصول. (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٤٧ ، وتفسير " أضواء البيان " ج ١ ص٢٣٧ ، وتفسير سورة الاخلاص ص ١١٩ وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ١٥٨ - ١٥٩ وفتاوى شيخ الاسلام ج٥ ص ٣٥ - ٣٦.

وممن أيد هذا المذهب ، الامام النووى وابن حاجب وابن فورك ويحتج أصحاب هذا المذهب بالحجج التالية :

١ـ أن الله تعالى " مدحهم بالرسوخ فى العلم فكيف يمدحهم بذلك وهم جهال ، وقد ذكر القرطبى نقلا عن شيخه أحمد بن عمرو قوله :(هذا القول هو الصحيح فان تسميتهم راسخين يقتضى أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذى يستوى فى علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفى أى شيء رسوخهم اذا لم يعلموا الا ما يعلم الجميع" (١)

٢ـ ماروراه ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : " انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله" وروى أيضا عن مجاهد قوله :ـ والراسخون فى العلم يعلمون تأويله ، ويقولون آمنا به وكذا قال الربيع ابن أنس :ـ

٣ـ ما ذكره محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير من أن تأويل المتشابه لا يعلمه الا الله " والرسخون فى العلم يقولون آمنا به، ثم ردوا تأويل المتشابهات " على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضا فنفذت الحجة ،وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ودفع به الكفر "

---

(١) تفسير أضواء البيان ج ١ ص ٢٣٧ وتفسير فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

٤ـ ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" (١)

٥ـ ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك قال :ـ

الراسخون في العلم يعلمون تأويله لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ، ولا حلا له من حرامه ولا محكمه من متشابهه.

٦ـ قول الامام النووي في شرح مسلم وغيره من أهل العلم : انه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق الى معرفته قال ابن الحاجب انه الظاهر (٢) .

شبهات وردود :

اعترض على أصحاب هذا المذهب الثاني ، القائلين بأن الواو عاطفة بثلاثة اعتراضات ، كلها حول اعراب جملة " يقولون آمنا به " الاعتراض الأول قالوا فيه : يلزمنا على العطف ، مجيء الحال : من المعطوف الذي هو كلمة " الراسخون في العلم " دون المعطوف عليه وهو لفظ " الجلالة " وهذا خلاف المعروف اذ المعروف اتيان الحال من المعطوف والمعطوف عليه معا كما في قولك مثلا : جاء زيد ، وعمر راكبين ، وقوله تعالى : "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين" (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٤٧ وتفسير ابن جرير ج ٣ ص ١٨٣ الطبعة الثانية

(٢) تفسير بن كثير ج ١ ص ٣٤٧ والاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣

(٣) تفسير أضواء البيان ج ١ ص ٢٣٨ .

وقد تقدم الجواب عن هذا الاعتراض وبينا هناك جواز مجيء الحال من المعطوف دون المعطوف عليه ومثلنا لذلك بقوله تعالى : وجاء ربك والملك صفا صفا .. " والاعتراض الثاني : أن موضع " يقولون آمنا به " نصب على الحال والعامل فيه فعل مضمر مع مفعوله ، اذ التقدير في حالة الوصل يكون : والراسخون في العلم يعلمون تأويله قائلين .. وهذا ممنوع ، ينكره عامة اهل اللغة ، " لأن العرب لا تضمر الفعل والمفعول معا ، ولا تذكر حالا الا مع ظهور الفعل ، فاذا لم يظهر فعل فلا يكون حالا ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : " عبدالله راكبا " يعني : أقبل عبدالله راكبا " . فأجيب عن هذا الاعتراض بما حاصله :

ان العامل في الحال هنا ليس محذوفا ، بل مذكور ، لأن العامل في صاحب الحال هو نفسه ، العامل في الحال وهو " يعلم " من قوله تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " غير أن الحال جاء هنا من المعطوف دون المعطوف عليه وهذا لا يضر ، فلا حاجة الى تقدير فعل آخر خلافا لما ذكره الخطابي من اضمار فعل آخر هنا (١)

الثالث : " أن المعروف في اللغة العربية أن الحال قيد لعاملها ووصف لصاحبها ، فيشكل تقييد هذا العامل الذي هو " يعلم " بهذه الحال التي هي " يقولون آمنا " ، اذ لا وجه لتقييد علم الراسخين بتأويله بقولهم آمنا به ، لأن مفهومه ، أنهم في حال عدم قولهم آمنا به لا يعلمون تأويله بقولهم آمنا به ، لأن مفهومه أنهم في حال عدم قولهم

---

(١) تفسير اضواء البيان جـ ١ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ وتفسير فتح القدير جـ ١ ص ٢٨٦ .

آمنا به لا يعلمون تأويله وهو باطل ، وهذا الاشكال قوى ، وفيه الدلالة على منع الحالية فى جملة يقولون على القول بالعطف " .

فاذا ثبت عدم صحة أن تكون جملة " يقولون " حالا " لما ذكرنا فما وجه اعرابها على القول بأن الواو عاطفة ؟ (١) هذا الاعتراض كما ترى أقوى دليل للذين يمنعون أن تكون الواو فى الآية عاطفة وهو أحد الاسباب التى لأجلها رجح الامام الشوكانى أن تكون الواو مستأنفة ، غير عاطفة الا أن الشيخ " محمد الأمين الشنقيطى " رحمه الله أجاب عن هذا الاشكال فى تفسيره أضواء البيان بجواز أن تكون جملة " يقولون آمنا به " معطوفة بحرف عطف محذوف ، وليس فى ذلك أى محذور ، وقد أجاز ذلك جماعة من علماء العربية من بينهم ابن مالك ، وليس ذلك خاصا بضرورة الشعر ، خلافا لما يزعمه بعض علماء العربية ، وله شواهد فى الكتاب والسنة ، ومن كلام العرب ومن الأمثلة على ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناعمة " (٢) فانه معطوف بعاطف محذوف على قوله تعالى : " وجوه يومئذ خاشعة " (٣) ومن الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : " تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره ، من صاع تمره .. " (٤) .

---

(١) أضواء البيان ج ١ ص ٢٣٩

(٢) سورة الغاشية : آيه ٨

(٣) نفس السوره : آيه ٢

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة وكلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار ، فى حديث طويل عن المنذر بن جرير عن أبيه .

يعنى ومن درهمه ، ومن صاع البُر حكاه الأشمونى وغيره ومن اللغة العربية قول الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمسيت ممـــــا * يغرس الود فى فؤاد الكريـــــم

وبهذا يتضح لنا جواز أن تكون الواو فى والراسخون فى العلم " عاطفـــة وجملـة يقولون معطوفـة بحرف عطف محذوف تقديره " وما يعلم تأويلـــه الا اللـه والراسخون فى العلم ، ويقولون آمنـا ......) .

===

التوفيق بين المذهبين (١)
وبيان المراد بالمتشابه والتأويل

وقد جمع المحققون بين المذهبين بجواز الوقف فى الموضعين لثبوت القراءة بالوقف فيهما ، مع صحة المعنى على الوجهين اذ المراد بالتأويل المنفى عن الراسخين ، عند من يقول بالوقف على لفظ الجلالة غير التأويل المثبت لهم عند من يقول بالوقف على " والراسخون فى العلم " لأن الذين قالوا بالوقف على لفظ الجلالة ، من السلف كان قصدهم بالمتشابه ، المتشابه الحقيقى الذى استأثر الله بعلمه ، والذى يستوى فيه الراسخون وغير الراسخين فى عدم معرفته فيكون " التأويل " فى هذه الحالة بمعنى : " المآل والحقيقه " لا بمعنى التفسير والبيان ، ولا بمعنى التأويل الاصطلاحى (٢) وذلك كحقيقة ، نعيم الجنة التى تخالف حقيقة نعيم الدنيا ، فلا نعلمها نحن فى الدنيا ، كما لا نعلم وقت الساعة ، وحقيقة ما سيقع فيها من الحساب والصراط ، والميزان ، والحوض ، والثواب ، والعقاب ، وحقيقة ذات الرب ، وصفاته سبحانه ، كاستوائه على عرشه ، وسمعه وبصره ، وكلامه وغير ذلك من الحقائق الغيبية ، التى اثبتناها له تعالى حقيقة وآمنا بها دون معرفة حقائقها ، وكيفياتها ، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك شرعا و هذه المعانى هى المقصودة لجمهور السلف ومن تبعهم عندما وقفوا على لفظ الجلالة

---

(١) أعنى مذهب الوقف على لفظ الجلالة " الا الله " وعلى " والراسخون فى العلم " مع بيان المراد بالمتشابه والتأويل عند الوقف فى الموضعين

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٤٧ وتفسير سورة الاخلاص ص ١١٣ـ١١٤ـ١١٥ ، ١٢٥ وتفسير فتح القدير جـ ١ ص ٢٨٦ وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٢ ، وكتاب " متشابه القرآن " للقاضى عبد الجبار ص ١٥

الا اللــــه" (١)

وعلى هذا يحمل قول من قال من السلف : ان الراسخين لايعلمون تأويــــل المتشابهات ،كما رأينا ذلك فى القراءات المتقدمة عن ابن عباس وأبى بن كعب وابن مسعود (٢) .

وغير ذلك من الأدلــة المتقدمة للجمهور ،ولكن لايعنى عدم معرفتهم التأويل بهذا المعنى أنهم لايفهمون معانى المتشابهات ، ولايفسرونها فلا يلزم من عدم معرفتهم حقائق المتشابهات جهلــهم بتفسير المتشابهات فالجهــة منفكة كمــا لايخفى (٣) .

أما عند القائلين بالوقف على والراسخون فى العلم ، فيكون معنى المتشابــه ماكان خفى الدلالــة على المراد عند غير الراسخين فى العلم ، فيكـــون " التأويل " على هذا بمعنى التفسير والبيان ويراد بالمتشابــه المتشابه الاضافــى وهو الذى يشتبــه على البعض دون البعض الآخرين لأن التشابــه قد يكــــون أمرا نسبيـــــيا يختلف باختلاف الأشخاص والمذاهب ، فما يعد متشابها عنـــد قوم يمكن الآخرين أن يعرفوا فيــه وجــه الحق بوضوح لاخفاء فيــه فيكون محكمـــا فى حقهم ، ومتشابها عند غيرهم ، فآيات الصفات من جملــة المتشابه الـــذى لايعلم معناه عند المفوضين وبالنسبــة لغيرهم من السلف وأئمة الحديـــث المثبتين للصفات الذين تبين لهم وجــه الحق وعرفوا المقصود منها بوضوح تكـــون

---

(١) أنظر تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٧ ــ ١٠٨ ، ١١٢ وتفسير المنار ج ٣ ص ١٧٢ وموافقــه صريح المعقول لصحيح المنقول ج١ ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٢) على فرض صحتها والا فقد تقدم أن قلنا : ليس لها اسناد معـــروف علــى ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيميــة

(٣) أنظر موافقــة صريح المعقول ج ١ ص ١٦٠ ــ ١٦١ وتفسير ســــورة الاخلاص ص ١٠٨ ــ ١١٦ .

من جملة المحكمات التي لا اشكال في معناها ، وان كانوا لا يعرفون حقيقة صفات الرب وكيفيتها وعلى أن المراد بالمتشابه المتشابه الاضافي أو النسبي يحمل ما تقدم عن السلف كابن عباس ومجاهد وغيرهما من الأدلة الدالة على أن الراسخين كانوا يعلمون تأويل المتشابه الذي خفي على غيرهم (١)

ويستفاد مما تقدم أن معنى " التأويل " عند الوقف على لفظ الجلالة يكون بمعنى الحقيقة ، والمآل ، والمتشابه ، ما لا يعلم كنهه وحقيقته الا الله تعالى ، وعند الوقف على جملة " والراسخون " في العلم ، يكون التأويل بمعنى التفسير والبيان ، والمتشابه ما كان خفي الدلالة على المراد بالنسبه لغير الراسخين في العلم وهذان المعنيان للتأويل هما عين ما فسرت به كلمة " التأويل " في جميع الآيات القرآنية ، ولم يعرف للتأويل معنى غير هذا في القرآن وعند السلف وبهذا يظهر واضحا أن معنى " التأويل " في آية " آل عمران " لا يختلف عن معنى " التأويل " في سائر الآيات القرآنية ، التي تقدم الحديث عنها تفصيلا ، خلافا للمتأخرين الذين فسروا " التأويل " في آية " آل عمران " بالمعنى الاصطلاحي عندهم ، وهو غير صحيح فاليك توضيح ذلك فيما يلي : ـ

---

(١) تفسير سورة الاخلاص جـ ص ١١٢ ـ ١١٣ ، ١٢٣ ، ١١٥ ، ١١٦ وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٤٧ وشرح الطحاوية ص ١٧١ ـ ١٧٢ .
" ومتشابه القرآن " للقاضي عبد الجبار ص ١٥ ـ ١٦ .
ورسالة الأكليل جـ ٢ ص ١٤ ـ ١٥ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى
و " مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٥ ص ٣٥ ـ ٣٦ " .

رأى المتأخرين فى المتشابـــــه
والتأويل فى آيــة آل عمــــران

يختلف رأى المتأخرين فى المراد بالمتشابه ، والتأويل فى الآيــة الكريمـــة

عما تقدم بيانه من مذهب السلف ، ومن وافقهم على ذلك ، والمتأخرون ينقسمون فى ذلك

الى طائفتين :

فالطائفــة الأولى ترى الوقف على لفظ الجلالـــة مثل : جمهور السلف ، ولكنهـــم

يخالفونهم فى المراد بالمتشابــه والتأويل ، لأن هؤلاء يعتقدون أن المتشابـــه ،

هو مالا يمكن لأحـــد من الخلق معرفــة معناه ، وبيان المراد منه ، فهو ما استأثـــر

الله بعلم معناه (١)

فوافقوا السلف فى الوقف على لفظ الجلالـــة وخالفوهم حيث اعتقدوا ،

١ ـ أن للمتشابــه معنى هو خلاف المدلول الظاهرى لا يعلمه غير الله تعالـــــى

ونسبوا هذا المذهب للسلف ، بدعوى أن السلف كانوا يقصدون هذا المعنـــى

عندما وقفوا على لفظ الجلالـــة " ويقولون : هذا هو الوقف التام عند جمهـــور

السلف (٢) *

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ١ ص ٧ ـ ٨ ومختصر الصواعق المرسلــة جـ ١ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلـه ص ١٠٤

(*) قال ابن قيم الجوزيه : ثم هم متناقضون أفحش تناقض فانهم يقولون : تجـرى على ظاهرها وتأويلها باطل ثم يقولون : لها تأويل لا يعلمه الا الله ، مختصر الصواعق المرسلـه جـ ١ ص ١٠٥ .
وقال شيخ الاسلام أيضا : ثم هؤلاء منهم من يقول المراد بها خلاف مدلولها الظاهر ، والمفهوم ... ومنهم يقول بل تجرى على ظاهرها وتحمل على ظاهرهـــا ومع هذا فلا يعلم تاويلها الا الله فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلا يخالـــف ظاهرها وقالوا مع هذا انها تحمل على ظاهرها ، موافقــة صريح المعقول جـ١ ص ٧ ـ ٨ .

٢ ـ أن التأويل المذكور فى الآية الكريمة ، فى حالة الوقف على لفظ الجلالة هو بمعنى التفسير ، فعلى رأيهم يكون السلف جميعا ومن بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام لا يعرفون معانى المتشابهات ،وذهب الى هذا الرأى كثير من المتأخرين المنتسبين الى السنه من أتباع الائمة الأربعة وغيرهم (١) ويشاركهم فى هذا الرأى بعض المتأخرين من علماء الكلام (٢) فالغاية المقصودة من المتشابه فى رأيهم ، الايمان به مع احالة علم معناه الى الله تعالى ، بل ان الذى يحاول فهم معانى المتشابهات يكون من الزائغين الذين يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله لأن هذا شيئ استأثر الله بعلمه دون عباده ،وأصل الشبهة فى المسألة أن المتأخرين لما رأوا جمهور السلف يقفون على لفظ الجلالة " الا الله " مع انكارهم تأويلات الجهمية ـ ظنوا من ذلك أن السلف مفوضون فى معانى المتشابهات ولا يعلم ذلك أحد الا الله ومن هنا اشتهر القول بين المتأخرين أن مذهب السلف التفويض فذهب كثير منهم الى هذا الرأى اتباعا للسلف وتأييدا لمذهبهم ودفعا لتأويل المتأخرين من علماء الكلام الذين توغلوا فى التأويل بدعوى أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله ويريدون بالتأويل التأويل المصطلح عليه عندهم (٣) على ما سيأتى توضيح ذلك .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٣٤ ـ ٣٥ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٣ .

(٢) مثل ابى المعالى الجوينى والشهرستانى والرازى فى آخر عمرهم لأنهم ذكروا فى النهاية بعد أن توغلوا فى نفى الصفات وتأويل النصوص أن الواجب الرجوع الى مذهب السلف الذى هو التفويض فى نظرهم .

(٣) أنظر تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ، ٩٨ .

والقول بالتفويض بالمعنى المتقدم ، ونسبة ذلك للسلف استدلالا بالآية الكريمة فى حالة الوقف على لفظ الجلالة " الا الله " هذا الرأى وان ذهب اليه كثير من المتأخرين ، قوبل بالرد والمعارضة الشديدة من قبل كثير من السلفيين وبعض علماء الكلام من بينهم أبو العباس بن تيمية • وابن قيم الجوزية وشارح الطحاويه ومن علماء الكلام القاضى عبد الجبار المعتزلى وخلاصة الرد من هؤلاء : قالوا : ان قول المتأخرين ، ان مذهب السلف التفويض ليس واقع مذهب السلف لأن مذهب السلف فى الحقيقة هو اثبات ما اثبته الرب لنفسه من غير تشبيه ، ودون توقف فى تفسير ما عده المتأخرون متشابها من آيات الصفات وغيرها وقد تقدم بيان أن السلف عندما وقفوا على لفظ الجلالة لم يقصدوا أن التأويل يكون بمعنى التفسير حتى يستدل بذلك على أن السلف مفوضون بمعنى أنهم لايفسرون المتشابهات ، ولايعرفون معانيها ، بل السلف عندما وقفوا على لفظ الجلالة أرادوا " التأويل " بالمعنى اللغوى المعروف لدى السلف الثابت فى الكتاب والسنة ، وهو التأويل بمعنى الحقيقة والعاقبة على ما تقدم بيانه •

فقول القائلين : ان معنى " التأويل " فى حالة الوقف على لفظ الجلالة يكون بمعنى التفسير الذى هو خلاف المدلول الظاهرى الذى لايعلمه الا الله والزعم بأن السلف قصدوا هذا المعنى عندما وقفوا على لفظ الجلاله كلام غير صحيح فاليك ما ذكره شيخ الاسلام وغيره من أهل العلم فى هذا الصدد توضيحا لهذا المعنى ، وردا على أصحاب هذا الرأى •

قال شيخ الاسلام :

" وهؤلاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين أن الوقف التام عند قوله :

وما يعلم تأويله الا الله وافقوا السلف وأحسنوا فى هذه الموافقة ولكن ظنوا أن المراد بالتأويل هو تأويل معنى اللفظ وتفسيره أو هو التأويل الاصطلاحى الذى

يجري في كلام كثير من متأخري أهل الفقه والأصول ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، فهم قد سمعوا كلام هؤلاء ، وهؤلاء فصار لفظ التأويل عندهم هذا معناه ، ولما سمعوا قول الله تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " ظنوا أن لفظ التأويل في القرآن معناه هو لفظ التأويل في كلام هؤلاء ، فلزم من ذلك أنه لا يعلم أحد معنى هذه النصوص الا الله لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما بل كل من الرسولين على قولهم يتلو أشرف ما في القرآن من الأخبار عن الله باسمائه وصفاته ، وهو لا يعرف معنى ذلك أصلا ثم كثير منهم يذمون ويبطلون تأويلات أهل البدع من الجهميه والمعتزلة وغيرهما وهذا جيد ، لكن قد يقول تجرى على ظاهرها وما يعلم تأويلها الا الله . فان عنوا بظواهرها ما يظهر فيها من المعاني كان هذا مناقضا لقولهم ان لها تأويلا يخالف ظاهرها لا يعلمه الا الله وان عنوا بظواهرها مجرد الألفاظ كان معنى كلامهم أنه يتكلم بهذه الألفاظ ولها باطن يخالف ما ظهر منها وهو التأويل وذلك لا يعلمه الا الله (١)

" وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: " وما يعلم تأويله الا الله" فانه وقف اكثر السلف على قوله : " وما يعلم تأويله الا الله ، وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره : وبين " التأويل " الذى انفرد الله تعالى بعلمه : وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو " التأويل " المذكور في كلام المتأخرين وغلطوا في ذلك هـ (٢)

" ولا ريب أن الذى قالوه لم يتدبروا لوازمه وحقيقة ما أطلقوه وكان أكبر قصدهم دفع تأويلات أهل البدع ، المتشابه ، وهذا الذى قصدوه حق وكل مسلم يوافقهم عليه

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ٩٨

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٥ ص ٣٥ .

لكن لا تدفع باطلا بباطل آخر ولا نرد بدعة ببدعة ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بأن يقال للرسول والصحابة كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ففي هذا من الظن في الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة في تفسير بعض الآيات ، والعاقل لايبني قصرا ويهدم مصرا " (١)

فان قيل : ان أكثر السلف على الوقف عند قوله تعالى " الا الله " وكثير من الناس يقول هذا مذهب السلف ونقلوا هذا القول عن أبي ابن كعب وابن مسعود ، وعائشة وعبد الله بن عباس وعروة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف ٠٠٠ وما ذكرتموه قدح في أولئك السلف ، وأتباعهم ،قيل ليس الأمر كذلك فان أولئك السلف الذين قالوا لا يعلم تأويله الا الله كانوا يتكلمون بلغتهم المعروفة بينهم ، ولم يكن لفظ التأويل عندهم يراد به معنى التأويل الاصطلاحي الخاص وهو صرف اللفظ عن المعنى المدلول عليه المفهوم منه الى معنى يخالف ذلك فان تسمية هذا المعنى وحده " تأويلا " انما هو اصطلاح طائفة من المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ليس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين ، والأئمة الأربعة ، وغيرهم... وانما كان لفظ التأويل في عرف السلف يراد به ما أراده الله بلفظ التأويل في مثل قوله تعالى : " هل ينظرون الا تأويله ٠٠٠ " وقوله تعالى : " ذلك خير وأحسن تأويلا " وقال يوسف : " يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل وقال يعقوب له : " ويعلمك من تأويل الأحاديث ٠٠" (٢)

وقد بين غير واحد من أهل العلم ، أن جميع القرآن ومن بينه المتشابهات قد فسره السلف من الصحابة ، والتابعين ومن بعدهم ،فلم يتوقفوا في شيء من معناه،

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٨
(٢) موافقة صريح المعقول جـ ١ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ومختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ٠

وان خفى على البعض لا يخفى على الجميع اذ يبعد أن ينزل الله على نبيه شيئا لايمكن فهم معناه واليك نبذة من اقوال اهل العلم فى ذلك .

قال شيخ الاسلام : لا يجوز أن يكون تعالى أنزل كلاما لا معنى له ، ولا يجوز أن الرسول وجميع الأمة لا يعلمون معناه ، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ ... ، فان معنا الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة ، وأقوال السلف ، على أن جميع القرآن مما يمكن علمه ، وفهمه ، وتدبره ، وهذا مما يجب القطع به ، ... فان السلف قد قال كثير منهم أنهم يعلمون تأويله ، منهم مجاهد مع جلالة قدره ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، ونقلوا ذلك عن ابن عباس وأنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، (ويقول أحمد فى الرد على الزنادقة والجهمية) : أنها تأولت ثلاث آيات من المتشابه ثم تكلم على معناها ، (وهذا) دليل على ان المتشابه عنده تعرف العلماء معناه ، وأن المذموم تأويله على غير تأويله . فأما تفسيره المطابق لمعناه فهو محمود ليس بمذموم ، وهذا يقتضى أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده وهو التفسير فى لغة السلف ، ولهذا لم يقل أحمد ، ولا غيره من السلف أن فى القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها " (١)

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١١٩ وانظر أيضا كتاب " متشابه القرآن " للقاضى عبدالجبار ص ١٥ ـ ١٧ .

((وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عندها وتلقوا ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، كما قال ابو عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يقرؤو ننا القرآن عن عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا ، من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلمو ما فيها من العلم ، والعمل فتعلمنا القرآن والعلم ، والعمل جميعا)) .

وكلام أهل التفسير من الصحابه والتابعين شامل لجميع القرآن الا ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه ، لا لأن أحدا من الناس لا يعلمه ، لكن لأنه هو لم يعلمه ، وأيضا فان الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقا ، ولم يستثنى منه شيئا لا يتدبر ... وأيضا فما فى القرآن آية الا وقد تكلم الصحابة ، والتابعون لهم فى معناها ، وبينوا ذلك واذا قيل قد يختلفون فى بعض ذلك ، قيل كما قد يختلفون فى آيات الأمر ، والنهى ، مما اتفق المسلمون على أن الراسخين فى العلم يعلمون معناها (١)

" ثم سبب نزول الآية قصة اهل نجران ، وقد احتجوا بقوله : انا ، ونحن (٢) وبقوله : كلمة منه ، وروح منه .

---

(١) تفسير سورة الأخلاص ص ١٢٢ ــ ١٢٣

(٢) لأنهم يحتجون " فى قولهم : انه تعالى ثالث ثلاثة بقوله الله (فى القرآن الكريم) : وفعلنا وأمرنا ، وخلقنا وقضينا فيقولون : لو كان واحدا ما قال الا قلت وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو ، وعيسى ومريم ففى ذلك من قولهم نزل القرآن " مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٦٩ دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .
بيروت لبنان .

وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناها فكيف يقال ان المتشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الانبياء ، ولا أحد من السلف .... وقد قال الحسن ، ما أنزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيماذا أنزلت ، وماذا عنى بها ، (١) *

" والذى اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بأن المتشابه لا يعلم تأويله الا الله ، ظهور التأويلات الباطلة من أهل البدع ، والجهمية والقدرية من المعتزلة ، وغيرهم فصار أولئك يتكلمون فى تأويل القرآن برأيهم الفاسد وهذا أصل معروف لأهل البدع انهم يفسرون القرآن برأيهم العقلى وتأويلهم اللغوى فتفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص المثبته للصفات والقدر على غير ما أراد الله ورسوله .

فانكار السلف والأئمة لهذه التأويلات الفاسدة .... فهذا الذى أنكره السلف ، والأئمة من التأويل فجاء بعدهم قوم انتسبوا الى السنه ، بغير خبرة تامة بها ، وبما يخالفها ، وظنوا أن المتشابه لا يعلم معناه الا الله ، فظنوا أن معنى التأويل هو معناه فى اصطلاح المتأخرين (٢)

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٢٤ .

(*) قال ابو العباس ابن تيميه : ومن قال ان سبب نزول الآية سؤال اليهود عن حروف المعجم فى " الم " بحساب الجمل فهذا نقل باطل أما أولا فلأنه من رواية الكلبى ، وأما ثانيا فهذا قد قيل أنهم قالوه فى أول مقدم النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وسورة " آل عمران " انما نزل صدرها متأخرا لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر وفيها فرض الحج وانما فرض سنة تسع أو عشر لم يفرض فى أول الهجرة باتفاق المسلمين ... " .

تفسير سورة الأخلاص ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٢) تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

ونقل عن الامام أحمد أنه قال :ـ

" المحكم ما استقل بنفسه ، ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان ..

وقال الشافعى : المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا ، والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوها ، ونقل عن ابن الأنبارى أنه قال بمثل قول الشافعى فى المحكم والمتشابه " .

قال شيخ الاسلام :

" فيقال حينئذ فجميع الأمة سلفها وخلفها يتكلمون فى معانى القرآن التى تحتمل التأويلات وهؤلاء الذين ينصرون أن الراسخين فى العلم لا يعلمون معنى المتشابه هم أكثر الناس كلاما فيه ، والأئمة كالشافعى وأحمد ومن قبلهم يتكلمون في ما يحتمل معانى ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة ...

(وبالجملة أن) ما ذكره السلف والخلف فى المتشابه يدل على أنه كله يعرف معناه فمن قال :ـ

ان المتشابه هو المنسوخ فمعنى المنسوخ معروف وهذا القول مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والربيع والضحاك . (١)

وقيل المحكمات ناسخه ، وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ، وما يؤمن به ، ويعمل به والمتشابهات منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ، ولا يعمل به ، روى هذا عن ابن عباس (٢) (وقيل المحكم الفرائض ، والوعد والوعيد والمتشابه القصص

---

(١) تفسير صورة الأخلاص ص ١٣٧ وتفسير فتح البيان جـ ٢ ص ٧

(٢) الاتقان للسيوطى جـ ٢ ص ٢ وتفسير فتح البيان جـ ٢ ص ٧

والأمثال) (١) ومما لا يخفى أن هذا كلـه مما يمكن فهم معناه •

وأما بالنسبـة للحروف المقطعـة فى أوائل السور ، فقد أجاب عنها شيخ الاسلام بمايلى :ـ

أولا : " أن هذه الحروف قد تكلم فى معناها أكثر الناس فان كان معناها معروفا فقد عـرف عرف معنى المتشابـه ، وان لم يكن معروفا وهو المتشابـه ، كان ما سواها معلوم المعنـى وهذا هو المطلوب•

ثانيا : ان اللـه تعالي قال : " منه آيات محكمـات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء وانما يعدها آيات الكوفيون ،(٢) فالدلائل الكثيرة " توجب القطع ببطلان قول من يقول ان فى القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيـره نعم قد يكون فى القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك فـى آيـة معينة بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا ••• " (٣)

قال ابن قيم الجوزيـة :

وأما من قال : ان التأويل الذى هو تفسيره وبيان المراد منه لا يعلمه الا الله فهو غلـط ، والصحابـه والتابعون وجمهور الامة على خلافـه " (٤)•

---

(١) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٣٢ الطبعة الأولى مطبعة مصطفى البابى الحلبى •

(٢) تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٩ وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٣•

(٣) تفسير سورة الاخلاص ص ١٢٥

(٤) مختصر الصواعق المرسلـة جـ ١ ص ١٠٦

الطائفة الثانية

أما الطائفة الثانية من المتأخرين ، فهي ترى الوقف عند قوله تعالى : " والراسخون في العلم " وترى أن الواو عاطفة ، وجملة " يقولون آمنا " حالية أو معطوفة بعاطف محذوف ، كما هو الحال في المذهب الثاني للسلف ، الذى تقدم بيانه ، وهى تعتقد أن الراسخين في العلم يعلمون معانى المتشابهات ، وليس ذلك مستحيلا وهذا رأى صحيح اذ يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل الى فهمه غير أن هذه الطائفة تخالف السلف في معنى " التأويل " وفى المراد بالمتشابه في الآية الكريمة ، حيث أنهم فسروا " التأويل " في الآية بالمعنى المعروف عندهم الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يقترن به ، وهذا ما ذهب اليه أكثر المتكلمين والمتشابه عندهم ، يختلف حسب اختلاف عقائدهم ، وتختلف عقائدهم حسب اختلافهم في الأدلة العقلية التي يعتمدون عليها في مجال العقائد ، اذ كل طائفة منهم تدعى أن الدليل العقلى يؤيد ما ذهبت اليه ، دون غيرها فلذا يعتقد كل فريق من هؤلاء أن ما يراه متشابها هو المتشابه حقيقة ، دون رأى الآخرين في المتشابه فالمتشابه عند الجهمية غير المتشابه عند المعتزلة ، والمتشابه عند جمهور الأشاعرة غير المتشابه عند الطائفتين ، في الصفات وهكذا كل طائفة من القدرية والجبرية ، والمرجئة تخالف الأخرى في المتشابه ، كل في حدود معتقداتها ، وقد يتفقون في بعض ما يعتقدونه متشابها . فالجهمية تعتبر جميع ما ورد من الأسماء ، والصفات من المتشابهات ، وكثير من الأشاعرة يعتبرون ما عدا الصفات السبعة ، التى يسمونها ،صفات عقلية ، من المتشابهات غير أنهم اتفقوا على اعتبار جميع الصفات الخبرية من جملة المتشابهات فأوجبوا تأويلها ، أو تفويضها مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، كالوجه ، واليدين والعين والاستواء ، والنزول ، بناء منهم أن الدليل العقلى قضى باستحالتها ، على الله تعالى ،في حين أن علماء السنة وحملة الحديث سلفا وخلفا لا يوافقونهم فيما يزعمون أنه من المتشابه في العقائد ، فلا تأويل ولا تفويض بالمعنى الذى ذكروه .

فالحاصل أن كل نص لا يؤيده الدليل العقلى فهو المتشابه عند المتأخرين من علماء الكلام وما وافق الدليل العقلى فهو المحكم ، وفى بيان ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ـ

(ثم هم فى هذه النصوص يحسب عقائدهم فان كانوا من القدرية قالوا : النصوص المثبتة لكون العبد فاعلا ، محكمة ، والنصوص المثبتة لكون الله تعالى خالق أفعال العباد أو مريدا لكل ما وقع ، نصوص متشابهة ، لا يعلم تأويلها الا الله، اذا كانوا ممن لا يتأولها ، فان عامة الطوائف ، منهم من يتأول ما يخالف قوله، ومنهم لا يتأوله ، وان كانوا من الصفاتية المثبتين من الصفات التى زعموا أنهم يعلمونها بالعقل ، دون الصفات الخبرية ، مثل كثير من متأخرى الكلابية كابى المعالى ، فى آخر عمره ، وابن عقيل فى كثير من كلامه ، قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التى لا تعلم عندهم بالعقل هذه نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله ، وكثير منهم يكون له قولان وحالان ، تارة يتأول ، ويوجب التأويل ، أو يجوزه وتارة يحرمه ، كما يوجد لأبى المعالى ، ولابن عقيل ولأمثالهما من اختلاف الأقوال...

والمقصود هنا أن كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن يجعلون تلك النصوص (المناقضة لآرائهم " متشابهة " ثم ان كانوا ممن يرى الوقف عند قوله " الا الله " قالوا لا يعلم معناها الا الله ... وان رأوا الوقف على قوله : " والراسخون فى العلم " جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا ، ويقولون ان الرسول انما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس فى معرفة الحق من غير جهته بعقولهم ، وأذهانهم ، ويجتهدون فى تخريج ألفاظه على اللغات العربية ، فيجتهدون فى معرفة غرائب اللغات التى يتمكنون بها من التأويل . (١)

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ٩٩ ـ ١٠٠ وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ١ ص ٨ بهامش منهاج السنه المحمدية ، نشر مكتبه الرياض الحديثه بالرياض المملكة العربية السعودية وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤ " ومتشابه القرآن " للقاضى عبد الجبار ص ٧ ـ ٨ تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور بجامعة دمشق دار التراث.

وقال فخر الدين الرازى :

واعلم أنك لا ترى طائفة فى الدنيا الا وتسمى الآيات المطابقة لمذهبهم محكمة والآيات المطابقة لمذهب خصمهم متشابهة ... وأما المحق المنصف فانه يحمل الأمر فى الآيات على أقسام ثلاثة : أحدها : ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقليه فذاك هو المحكم حقا ، وثانيها : الذى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها ، فذاك هو الذى يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهره ، وثالثها : مالم يرد الدليل العقلى لا بتأييده ، ولا بامتناعه ويكون ذلك متشابها بمعنى أن الأمر اشتبه فيه ، ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر والحق فى هذا التوقف ، الا أن الظن الراجح حاصل فى اجرائها على ظاهرها) (١)

وقال القاضى عبد الجبار المعتزلى : فأقوى ما يعلم به الفرق بين المحكم والمتشابه أدلة العقول ... ومما يبين ذلك أن موضوع اللغة يقتضى أنه لا كلمة فى مواضعها الا وهى تحتمل غير ما وضعت له ، فلو لم يرجع الى أمر لا يحتمل ، لم يصح التفرقة بين المحكم والمتشابه . (٢)

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ ٧ ص ١٨٧ ـ ١٨٨

(٢) " متشابه القرآن " ص ٨

الرد على من يزعم " أن التأويل " فى آية " آل عمران "

هو بمعنى التأويل الاصطلاحى :

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه فى بيان خطأ المتأخرين فيما ذهبوا اليه من معنى التأويل فى الآية فى حالة الوقف على " والراسخون فى العلم "

" ان مدعى التأويل اخطأوا فى زعمهم أن العلماء يعلمون التأويل ، وفى دعواهم أن التأويل هو تأويلهم الذى هو تحريف الكلم عن مواضعه فان الأولين لعلمهم بالقرآن ، والسنن وصحة عقولهم ، وعلمهم بكلام السلف ، وكلام العرب ، علموا يقينا أن التأويل الذى يدعيه هؤلاء ، ليس هو معنى القرآن فانهم حرفوا الكلام عن مواضعه وصاروا مراتب ما بين قرامطة ، وباطنية ، يتأولون للأخبار والأوامر ، وما بين صابئة فلاسفة يتأولون عامة الأخبار عن الله ، وعن اليوم الآخر ، حتى عن أكثر أحوال الأنبياء ، وما بين جهمية ومعتزلة ، يتأولون بعض ما جاء فى اليوم الآخر وفى آيات القدر ، ويتأولون فى آيات الصفات ، وقد وافقهم بعض متأخرى الأشعرية على ما جاء فى بعض الصفات ... والذين ادعوا العلم بالتأويل (استبعدوا ان يخاطب الله عباده بكلام لا يفهمون معانيه وهم مصيبون فى ذلك) وفيما استدلوا به من سمع وعقل لكن اخطأوا فى معنى التأويل الذى نفاه الله وفى التأويل الذى أثبتوه . هـ (١)

ذلك أن التأويل الاصطلاحى " لم يكن بعد عرف فى عهد الصحابه بل ولا التابعين بل ولا الأئمة الأربعة ، ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفا فى القرون الثلاثة بل ولا علمت أحدا منهم خص لفظ التأويل بهذا ، ولكن لما صار تخصيص لفظ

---

(١) رسالة الاكليل ص ١٦ ــ ١٧ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢

التأويل بهذا شائعا فى عرف كثير من المتأخرين فظنوا أن التأويل فى الآية هذا معناه ، صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معانى تخالف ما يفهم منه وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعا ، والمتشابه المذكور الذى كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد وانما الخطأ فى فهم السامع ٠ (١)

وقال الشيخ محمد رشيد رضا مؤيدا ما ذكره شيخ الاسلام :

" انما غلط المفسرون فى الآية ، لأنهم جعلوه بالمعنى الاصطلاحى وان تفسير كلمات القرآن ، بالمواضعات الاصطلاحية ، قد كان منشأ غلط يصعب حصره وذكر التأويل فى سبع سور من القرآن " وآية " آل عمران " واحدة من تلك السور ، ولا يجوز أن يفسر التأويل فى جميع هذه المواضع السبعة بالمعنى الاصطلاحى (٢) هذا قلت : وقد مر بنا ما يحقق أن التأويل الاصطلاحى لم يرد القرآن بمعناه ،حيث تتبعنا فيما سبق جميع الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر كلمة " التأويل " بما فى ذلك آية " آل عمران" فلم نجد آية واحدة تشير الى معنى " التأويل " المعروف عند المتأخرين ، ومع ذلك يظن كثير من المتكلمين أن التأويل بهذا المعنى هو نفس التأويل الذى ورد ذكره فى آية آل عمران ولقد رأينا كثيرا ممن يؤول ، أو يفوض ، يستدلون بهذه الآية قديما وحديثا على جواز التأويل الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره تارة ، وعلى التفويض الذى هو أخو التأويل تارة أخرى ، وعلى ضوء ما تقدم بيانه من معنى التأويل فى القرآن الكريم عرفنا أن آية (آل عمران) لا تكون دليلا للمؤولين على تأويلهم ولا للمفوضين على تفويضهم والاستدلال بها ،لاجل هذا الغرض خطأ نشأ من عدم فهمهم المراد بالتأويل المذكور فى آية (آل عمران) ٠

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ١٢٦ موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ٦ ـ ٧ والمجموعة الكبرى ٢٨

(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ١٧٢ ـ ١٧٥ ملخصا ٠

الباب الثالث

المثبتون للصفات الخبرية

ويشتمل على فصلين :

الفصل الاول :

(وفيه مبحثان)

* بيان مذهب المشبهة والمجسمة

* شبهات المشبهة والمجسمة والرد عليها

تمهيد :

المثبتون للصفات الخبرية فريقان :

فريق منهم يثبتون لله الصفات ، ولكن دون تمييز بين ماكان للخالق والمخلوق منها ، وهؤلاء هم المشبهة أو المجسمة . وفريق آخر يثبتون لله الصفات الخبرية كما يثبتون غيرها ، اثباتا بلاتشبيه ، فهم لايشبهون صفات الخالق عز وجل ، بصفات المخلوقين ، وينزهون الله عما لا يليق به تنزيها بلا تعطيل ، فهؤلاء اتخذوا طريقا وسطا بين المؤولة المعطلة ، وبين المشبهة المجسمة ، وهم السلف والسلفيون من علماء الحديث ، والفقه ، والتفسير الذين اتبعوا طريقه القرآن والسنة ، اثباتا ونفيا ، فهم يثبتون لله جميع ما أثبته لنفسه من الصفات مع التنزيه عن المشابهة ، والمماثلة ، عملا بآيات التنزيه ، مثل قوله تعالى :
" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقوله سبحانه : " هل تعلم له سميا " وقوله عز وجل : ولم يكن له كفوا أحد " وأثبتوا ما أثبتوا من الصفات ، عملا بالنصوص الواردة في اثبات الصفات له تعالى من الكتاب والسنة ، فبذلك وفق أهل السنة للعمل بجميع النصوص الواردة في الصفات نفيا واثباتا دون اخلال بواحد منهما ، فأصابوا الحق ، والسداد ، خلافا للطائفتين ـ المشبهة والمؤولة ، حيث ان كل واحد من الطائفتين ، أخذ جانبا من النصوص دون جانب آخر ، فالمشبهة أهملوا آيات التنزيه ، ووجهوا همتهم الى آيات الاثبات فقط ، فأوقعهم ذلك في التشبيه والتجسيم وبالعكس المؤولة المعطلة اتجهوا الى التمسك بآيات التنزيه ، ولم يعطوا لآيات الاثبات حقها من الاثبات وعدم صرفها عن ظاهرها فأوقعهم ذلك في التعطيل . (١)

(١) وهذا معنى قول الامام " أبي اسحاق الشاطبي " : " ان الفرق الخارجة عن السنة حين لم تجمع بين أطراف الأدلة تشابهت عليها المآخذ ، فضلت وما ضلت الا وهي غير معتبرة القول فيما ضلت فيه " الموافقات في أصول الشريعة جـ٣ ص٥

وهاتان الطائفتان أعني طائفة السلف ، والمشبهة وان كان يطلق على كل منهما اسم " المثبتين للصفات " الا أن مذهبهما يختلف اختلافا بينا فى كيفية الاثبات ".

ولمزيد من الايضاح سنخص كل طائفة ببحث مستقل

((المشبهة والمجسمة))

المشبهة ينقسمون الى أصناف شتى . ذكرهم أهل العلم تفصيلا مثل الشيخ عبدالقادر البغدادى والامام ابى الحسن الاشعرى والشيخ على مصطفى الغرابى وغيرهم.

والجدير بالذكر أن أول من أظهر التشبيه فى الاسلام طائفة من الرافضه " فمنهم السبائية (١) الذين سموا عليا الها ، وشبهوه بذات الاله ، ولما أحرق قوما منهم قالوا له الآن علمنا أنك اله لأنّ النار لايعذب بها الا الله" (٢)

ويقول شيخ الاسلام :

وأول ما ظهر اطلاق لفظ الجسم من متكلمة الشيعة كهشام بن الحكم كذا نقل ابن حزم ، وغيره ، قال أبو الحسن الأشعرى فى كتاب " مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين" (٣) اختلف الروافض أصحاب الامامة فى التجسيم ، وهم ست فرق.

فالفرقة الأولى :

الهشامية : أصحاب هشام بن الحكم الرافضى يزعمون أن معبودهم جسم ، وله نهاية ، وحد ، وطول عريض عميق ، طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، لايوفى بعضه عن بعض وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار فى مكان دون مكان كالسبيكة الصافيه تتلألأ كاللؤلؤة المستديرة ، من جميع جوانبها ، ذو لون

---

(١) نسبة الى عبدالله بن سبأ اليهودى

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢١٤

(٣) وذلك فى ج١ ص ١٠٦ ـ ١٠٩ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد.

وطعم ورائحة ، ومجسة وذكر كلا ما طويلا ٠

والفرقة الثانية من الرافضة ، يزعمون أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام ، وانما يذهبون فى قولهم انه جسم الى أنه موجود ٠٠٠

والفرقة الثالثة من الروافض يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ويمنعون أن يكون جسما ٠

والفرقة الرابعة من الرافضة ، الهشامية أصحاب هشام ابن سالم الجواليقى ، يزعمون أن ربهم على صورة الانسان وينكرون أن يكون لحما ، ودما ، ويقولون أنه نورساطع يتلألأ بياضا ، وأنه ذو حواس خمس ، كحواس الانسان له يد ، ورجل ، وأنف ، وأذن ، وفم ، وعين ، وأنه يسمع بغير مابه يبصر ، وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم قال وحكى أبو عيسى الوراق ، أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة سوداء (١) ، وأن ذلك نور أسود ٠

والفرقة الخامسة :

يزعمون أن لرب العالمين ضياء خالصا ، ونورا بحتا ، وهو كالمصباح الذى من حيث ماجئته يلقاك بنور (٢) وليس بذى صورة ، ولا أعضاء ، ولا اختلاف الأجزاء وأنكروا أن يكون على صورة الانسان ، أو على صورة شيء من الحيوان ٠

الفرقة السادسة من الرافضة : يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ، ولا يشبه

---

(١) والوفرة بفتح الواو وسكون الفاء ـ الشعر الذى يجتمع على رأس الانسان أو ماسال على الاذنين منه ، أو ما جاوز شحمة الأذن " مقالات الاسلاميين ج١ ص١٠٩ التقرير ٠

(٢) وفى مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى : " كالمصباح الذى من حيث ماجئته يلقاك بأمر واحد " : وليس بواضح ولعل الصواب ما نقله شيخ الاسلام ٠

الأشياء ، ولايتحرك ، ولا يسكن ولا يماس " (١) *

وذكر الشيخ / عبدالقادر البغدادى عددا من فرق المشبهة منهم :

١ـ البيانيـة ، اتباع بيان بن سمعان الذى زعم أن معبوده انسان من نور علـى صورة الانسان ، فى أعضائـه ، وانه يفنى كلـه الا وجهـه.

٢ـ المغيريـة اتباع المغيرة بن سعيد العجلى الذى زعم أن معبوده ذو : أعضاء ، وأن اعضاءه على صورة حروف الهجاء ،

٣ـ المنصوريـة : أتباع ابى منصور العجلى الذى شبه نفسه بربه وزعم أنـه صعد الى السماء ، وزعم أيضا أن اللـه مسح بيديه على رأسه ، وقال لـه يابنى ، بلغ عنى.

٤ـ الخطابيـة ، الذين قالوا بالهيـة الائمة وبالهيـة أبى الخطاب الأسـدى

٥ـ الحلوليـة الذين قالوا بحلول الله فى أشخاص الأئمة وعبدوا الائمة لأجـل ذلك.

٦ـ المقنعيـة وهؤلاء يدعون " ان المقنع كان الها ، وانه مصور فى كل زمان ، بصورة مخصوصة " (٢)

قال أبو الحسن الأشعرى : قال (داوود الجواربـى " و" مقاتل بن سليمان " (٣)

---

(١) منهاج السنه النبويـه جا ص ٢٧١

(*) وهؤلاء قوم من متأخريهم ، فأما أوائلهم فانهم كانوا يقولون ماحكيناعنهـم من التشبيه " مقالات الاسلاميين جا ص ١٠٩

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) قال ابو العباس بن تيمية : أما داوود الجواربى فقد عرف عنه القول المنكـر الذى أنكره عليه أهل السنة ، وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حالـه ، والأشعرى ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة ، وفيهم انحراف عن مقاتـل ابن سليمان فلعلهم زادوا فى النقل عنه او نقلوا عن غير ثقة ، والا فما أظنه يصل الى هذا الحد ، وقد قال الشافعى من أراد التفسير فهـو عيال على مقاتل ، ومن أراد الفقه فهو عيال على ابى حنيفة ومقاتل بـن سليمان ، وان لم يكن ممن يحتج به فى الحديث .. لكن لاريب فى علمـه بالتفسير وغيره واطلاعه ، كما أن أبا حنيفة وان كان الناس خالفوه فى أشيـاء وأنكروها عليه ، فلا يستريب أحد فى فقهه وفهمه وعلمه وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه وهى كذب عليه قطعا .. وما أبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب. (*) منهاج السنة النبوية جا ص ٣٤٨

ان الله جسم ، وأنه جثة على صورة الانسان لحم ودم ، وشعر ، وعظم ، ولـه جوارح ، واعضاء من يد ورجل ولسان ، ورأس ، وعينين ، وهو مع هذالايشبـه غيره ، ولايشبهـه وحكى عن الجواربى ، أنه كان يقول : أجوف من فيـه الى صدره ومصمت ماسوى ذلك " (١)

وقال أبو المعالى الجوينى :

" وذهب بعض المجسمة الى وصف الرب تعالى بحقيقة أحكام الأجسام ، وصـار الى أنه متركب متألف من جوارح وابعاض تعالى الله عن قولهم ، ثم غـلا الجهلـة ، من المجسمة فمن غلاتهم مقاتل بن سليمان ، وداوود الخوارزمـى (٢) وهشام بن الحكم ، فيؤثر عن مقاتل ، وداوود ، أنهما قالا أنه لحـم ، ودم وقال هشام ، هو نور يتلألأ كالسبيكـة البيضاء ، وقال هو سبعة أشبار ، يشـير نفسه - وأشار الى أبى قبيس وقال :-

ما أظن الا أنه أكبر منه بقليل ، وصرح بما يناقض ذلك فى بعض مقالاته فقـال : هو أكبر من العرش ، والعرش يقله ، ويحمله مثقلا به ، وهو مع العرش كالكرسـى تحملـه ساقاه ، وصرح كثير من أتباع المجسمـة بأنه على صورة الانسـان وهيئته (٣)

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٨٣

(٢) والأصح أنه " داوود " الجواربى صاحب الفرقة الجواربيـة " من المجسمة ولكن من المحتمل أنه أيضا داوود الجواربى " الخوارزمى ، الشامـل : التقرير ص ٢٨٨

(٣) الشامل للجوينى ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

و من المجسمة الكرامية :

والكرامية أتباع محمد بن كرام (١) ، كان بعد ابن كلاب فى عصر مسلم بن الحجاج ، ويقول البغدادى فى بيان مذهبه : " وزعم أنه تعالى جسم له حد ، ونهاية من تحته ، والجهة التى منها يلاقى عرشه ... وقد وصف ابن كرام معبوده فى بعض كتبه بأنه جوهر ، كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر " (٢) .

ويحكى عن " محمد بن كرام " أنه كان يثبت الصفات لله ويطلق على الله أنه جسم لا كالأجسام (٣) .

والكرامية يطلقون على الله لفظ الجسم الا أنهم يختلفون فى المراد بالجسم ، فمنهم من يطلق على الله لفظ الجسم ويريد بذلك معنى " الموجود " ومنهم من يطلق ذلك على الله ويريد بالجسمية " القيام بالنفس " والذين ذهبوا منهم الى هذا المعنى قليلون (٤) والاكثر منهم ذهبوا الى أن معنى الجسم " هو الذى يماس غيره من احدى جهاته " (٥) .

---

(١) " وفى القاموس : " محمد بن كرام " كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش ، وأنه جوهر تعالى الله عن ذلك ، انتهى فسماه محمدا والمعروف " أنه عبدالله بن كرام " شرح العقيدة السفارينى جا ص ٨٠ الطبعة الأولى مطبعة مجلة المنار الاسلامية بمصر سنة ١٣٢٤هـ .
تأليف الشيخ محمد السفارينى الحنبلى .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص٢٠٣ والبدء والتاريخ للمقدسى جـ٢ ص ١٤١

(٣) أنظر مقدمة كتاب بيان تلبيس الجهميه ص ١٥

(٤) وممن قال ذلك (ابن الهيصم) وغيره من نظار الكرامية ، افاده فى مقدمة كتاب " بيان تلبيس الجهمية "لشيخ الاسلام بن تيميه ص ١٥

(٥) الشامل للجوينى ص ٢٨٨ ـ ٤٠١ .

واختلف أصحابه (١) في معنى الاستواء المذكور في قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى " (٢) فمنهم من زعم أن كل العرش مكانه له ، ومنهم من قال: " انه لايزيد على عرشه في جهة المماسة ، ولا يفضل منه شيء على العرش، وهذا يقتضي أن يكون عرضه كعرض العرش " (٣) وقد تقدم ، أن الكرامية يجوزون قيام الصفات الاختيارية به تعالى كما هو مذهب أهل السنة (٤) الا أن الفرق بينهما أن أهل السنة يرون أن الله تعالى مازال فاعلا ، وموصوفا بالصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئته ، خلافا للكرامية ، المانعين ، من كونه تعالى لايزال فاعلا ، فهم يدعون أنه تعالى ، اتصف بالصفات الفعلية الاختيارية بعد أن كان غير فاعل وغير موصوف بها أزلا ، كما أنهم يرون " أن الحوادث التي تقوم به تعالى ، لايخلو منها ، ولا يزال عنها ، بعد أن كان متصفا بها ، اذ " لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها ، وزوالها فاذا كان قابلا كذلك ، لم يخل منها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث" (٥) وقد رأينا أنهم يثبتون له تعالى " الاستواء على عرشه سبحانه " ولكن كان اثباتهم على غير وجه شرعي ، وأهل السنة لايجوزون اطلاق لفظ الجسم على الله تعالى حتى ولو أريد منه المعنى الصحيح شرعا ، كأن يقال : انه تعالى جسم ، وأريد بذلك انه موجود وقائم بنفسه خلافا للكرامية الذين يرون جواز ذلك

---

(١) يعني أصحاب محمد ابن كرام

(٢) طه : ٥

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٤

(٤) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ١٣

(٥) أنظر رسالة الفرقان ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج١ ص ١١٥-١١٦

وبهذا يتضح عدم موافقة الكرامية لأهل السنة فى مسألة الصفات " الخبرية"

وانما حصل الاتفاق بين الفريقين فى مطلق اثبات الصفات وقيام الافعال الاختيارية

به تعالى ، ويختلفون فى كيفية الاثبات .

شبهات المشبهة والمجسمة والرد عليها

وللمشبهة شبهتان :

احداهما عقلية ، والثانية نقلية أما الأولى فانهم قالو فى بيانها :

ليس هناك شيء معقول فى الموجودات سوى الجسم والعرض " والقديم تعالى

يستحيل أن يكون عرضا فيجب أن يكون جسما " (١)

ومنهم من يعلل التجسيم فيقول :

قد ثبت أن القديم تعالى مخترع على الحقيقة ثم تدبرنا أحوال الفاعلين شاهدا ،

فلم نجد فاعلا ليس بجسم ، بل استحال ذلك فى الشاهد فيجب القضاء بذلك

على كل فاعل" (٢) واذا كان جسما كان مشبها فى صفاته بصفات خلقه أما الشبهة

النقلية فهى آيات كثيرة على حد زعمهم منها قوله تعالى :

" الرحمن على العرش استوى " قالوا الاستواء انما هو القيام والانتصاب ،والانتصاب

والقيام من صفات الأجسام فيجب أن يكون جسما .

ومنها قوله تعالى : " ولتصنع على عينى " قالوا فأثبت لنفسه العين ، وذو العين

لايكون الا جسما .

ومن ذلك قوله تعالى أيضا :

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٥ تحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان ، ومختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ٥٥ والفصل فى الملل جـ٢ ص ١١٧ تأليف ابن حزم الظاهرى .

(٢) الشامل للجوينى ص ٤١٩ حاشية ابراهيم الدسوقى ص ٨٣

" كل شيء هالك الا وجهه " قالوا فأثبت لنفسه الوجه وذو الوجه لايكون الاجسما .

ومنها قوله تعالى :

" بل يداه مبسوطتان " قالوا فاثبت لنفسه اليد وذو اليد لا يكون الا جسما

" والسماوات مطويات بيمينه " قالوا وذو اليمين لا يكون الا جسما

ومن ذلك قوله :

وجاء ربك والملك صفا صفا " قالوا فان الله تعالى وصف نفسه بالمجيء والمجيء لايتصور الا من الاجسام " (١)

ويلاحظ مما تقدم أن المشبهة يثبتون لله ما ورد فى الكتاب والسنة ولكن على أساس كونه تعالى جسما ، مشابها للمخلوقين ، فيما أثبته لنفسه ، فيقولون : بصر كبصرى ويد كيدى وقدم كقدمى على ما حكاه الامام أحمد ، واسحاق ابن راهويه وغيرهما من السلف (٢) وهناك أشياء أخرى زادوها من تلقاء أنفسهم ليس لها ذكر أصلا لا فى الكتاب ولا فى السنة من الأوصاف التى تقدم ذكرها وصفوا بها الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكل هذا جاء نتيجة لاتباعهم شبهات واهية ، دون اتباع لمقتضى الكتاب والسنة ، الدالة على اثبات الصفات على أساس تنزيهه الرب عن مشابهة الحوادث ، ومن هنا عرفنا أن قياس الغائب على الشاهد ، أوقع المشبهة فى التشبيه كما أوقع المؤولة فى نفى الصفات ، وتأويل النصوص بدعوى التنزيه ، والكل يجرى مع ما يحكم به عقله وان كان الحكم مختلفا نفيا ، واثباتا .

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٦ ـ ٢٢٩ وأنظر الفصل فى الملل لابن حزم المجلد الاول جـ٢ ص ١١٧ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى جـ ١ ص ١١٥ رسالة الفرقان بين الحق والباطل .

فاصل غلط الفريقين أنهم قاسوا الغائب على الشاهد فأول من أول ، وشبه من شبه ، ويتضح ذلك في جمل المشبهة ، القسمة العقلية للموجودات ثنائية اما عرض ، واما جسم ، فاذا ثبت عقلا استحالة كونه تعالى عرضا ، ثبت أن يكون تعالى جسما لاغير ، أو اذا ثبت كونه تعالى فاعلا مخترعا ، والفاعل لايكون الا جسما في الشاهد ثبت أن يكون تعالى جسما .

اذ لا يمكن مخالفة الغائب للشاهد في نظرهم ، وأما المؤولة فقد شبهوا أولا ثم عطلوا ثانيا ، وهذا الأصل وهو قياس الغائب على الشاهد أصل فاسد فحقيقة ما ثبت للخالق غير حقيقة ما ثبت للمخلوق .

وزيادة في الرد نقول : الموجود ينقسم ابتداء الى قسمين فقط .

واجب الوجود ، وهو الله ، وجائز الوجود ، وهو العالم بأسره ، وأما جائز الوجود فهو ينقسم الى قسمين اما جسم أو عرض لاغير ، وواجب الوجود لايمكن أن يكون جسما ، لأن واجب الوجود يجب أن يكون مخالفا لجائز الوجود ، فبهذا يظهر وجود قسم ثالث لا يكون جسما ولاعرضا ، خلافا لما تزعمه المشبهة المجسمة

ومما يؤيد هذا الكلام ما ذكره ابن حزم مشيرا الى هذه الأقسام الثلاثه للموجودات ردا على المشبهة فقال : " أما قولهم أنه لايقوم في المعقول الا جسم ، أو عرض فانها قسمة ناقصة ، وانما لصواب ، أنه لا يوجد في العالم الا جسم أو عرض وكلاهما يقتضي بطبيعته ، وجود محدث له ، فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثهما جسما او عرضا لكان يقتضي فاعلا فعله ولابد ، فوجب بالضرورة أن فاعل الجسم والعرض ليس جسما ولا عرضا ، وهذا برهان يضطر اليه كل ذي حس بضرورة العقل ولابد " (١)

---

(١) الفصل في الملل المجلد الأول ج ٢ ص ١١٧

والجدير بالتنبيه أن كثيرا من علماء الكلام ومن على رأيهم يعتبرون اثبات الصفات لله تعالى على مقتضى ظواهر النصوص ـ تشبيها ، وتجسيما ، ويسمون أئمة الحديث الذين يثبتون الصفات لله تعالى حسب مقتضى نصوص الكتاب والسنة ـ مشبهة ومجسمة ، وممن يصرح ذلك " الشهرستاني " وكثير غيره من علماء الكلام فانه أى الشهرستاني يقول : مانصه : ثم ان جماعة من المتاخرين زادوا على ماقاله السلف ، فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها ، فوقعوا فى التشبيه الصرف ، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف" (١)

ويقول ابن خلدون :

ان جماعة من أتباع السلف ، وهم المحدثون ، والمتأخرون من الحنابلة ارتكبوا فى محمل هذه الصفات (٢) فحملوها على صفات ثابتة لله تعالى مجهولة الكيفيه ، فيقولون فى " استوى على العرش " نثبت له استواء بحسب مدلول اللفظ ، فرارا من تعطيله ، ولانقول بكيفيته فرارا من القول بالتشبيه الذى تنفيه آيات السلوب من قوله : " ليس كمثله شيئ " "سبحان الله عما يصفون " " تعالى الله عما يقول الظالمون " (٣) " لم يلد ، ولم يولد " ولا يعلمون مع ذلك انهم ولجوا من باب التشبيه فى قولهم باثبات الاستواء ، والاستواء عند أهل اللغة ، انما موضوعة الاستقرار ، والتمكن ، وهو جسمانى واما التعطيل الذى يشنعون بالزامه وهو تعطيل اللفظ فلا محظور فيه ، وانما المحظور تعطيل الاله " (٤)

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ٩٣

(٢) هكذا فى النسخة الموجودة عندى ولكن يبدو أن الكلام ناقص سقط منه شيئ . ولعل الصواب والله أعلم : والمتأخرون من الحنابلة ارتكبوا (الخطأ) فى محمل هذه الصفات.

(٣) ليس هذا نصا قرآنيا ، والذى فى القرآن هو قوله تعالى : " سبحانه وتعالى عما يقولون علو كبيرا " الاية ٣٤ من سورة الاسراء افادة فى التقرير على مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٥ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

يقول الاستاذ " على مصطفى الغرابى " :
يرجع أصل المشبهة الى طائفتين :
طائفة الروافض من الشيعة ، وطائفة الحشوية (+) من أهل الحديث الذين
تمسكوا بظواهر الاحاديث التى تشعر بالتشبيه ...) (٢)

قلت : ان ما حكاه الشهرستانى وابن خلدون ومن على رأيهما عن جماعة من المحدثين وسموا ذلك تشبيها وتجسيما ، هو ما ذهب اليه السلف وجمهور المحدثين خلفا عن سلف ، وعليه كبار أئمة الكلام مثل بن كلاب ، والامام ابى الحسن الاشعرى وقدماء أصحابه كالباقلانى على ما سيأتى بيان مذهبهم ، وليس ذلك مذهب بعض المحدثين والحنابلة وحدهم فالمحدثون الذين حكى عنهم ابن خلدون والشهرستانى مازادوا شيئا على ما قاله السلف ، فانهم أثبتوا الصفات كما أثبت السلف ، دون تشبيه مع نفى علم الحقيقة والكيفية ، كما نفى السلف ، وهل اثبات الصفات له تعالى على ما يليق بجلال الله وعظمته يعتبر تشبيها أو تجسيما؟ والصحيح أن ذلك لايعتبر تشبيها ، بل هو نفس مذهب السلف غير أن كثيرا من المتأخرين من علماء الكلام كالشهرستانى وغيره ظنوا ذلك تشبيها لأمرين :

الأمر الأول : أنهم كانوا يعتقدون أن مذهب السلف ليس اثباتا ، بل هو مجرد تفويض دون اثبات للصفات الواردة فى الكتاب والسنه له تعالى فلذلك ظنوا أن : المحدثين الذين أثبتوا الصفات خالفوا مذهب السلف ، ووقعوا فى التشبيه الصرف وقد تقدم ان بينا ، وسنبين أيضا ، أن مذهب السلف ليس تفويضا فى المعنى بل هو اثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات ، ونفى ما نفاه عن نفسه سبحانه.

والأمر الثانى : ذهابهم الى القول : ان ظواهر نصوص الكتاب والسنة فى باب الصفات الخبرية ، تدل على التشبيه والتجسيم ، وهذا الاعتقاد ، لاشك أنه خطأ صريح ، وسيأتى ايضاح ذلك قريبا ان شاء الله تعالى.

---

(١)

(٢) تاريخ الفرق الاسلامية للاستاذ على مصطفى الغرابى مطبعة محمد صبيح .

الفصل الثاني

(السلف في الصفات الخبرية)

ويتضمن مايلي :ـ

* مذهب السلف كما يراه الخلف
* مذهب السلف كما هو عند السلفيين

وفيه الرد على القائلين :

ان ظواهر النصوص غير مرادة للسلف

* أدلة المثبتين للصفات الخبرية

تمهيد :

قبل الشروع في بيان مذهب السلف ينبغي أن نعلم من هم السلف ؟ وما المراد بمذهبهم ؟

" فالمراد بمذهب السلف ماكان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأعيان التابعين لهم باحسان وأتباعهم ، وأئمة الدين ، ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم ، خلف عن سلف ، دون من رمى ببدعة أو شهر بقلب غير مرضى ، مثل الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة والجبرية ، والمعتزلة ، والكرامية ، ونحو هؤلاء " (١)

وأما السلف فهم الصحابة ، والتابعون ، وكل من سلك طريقتهم فهو سلفي نسبة اليهم ، ومعنى السلف المتقدمون بعكس الخلف ، فانهم المتأخرون ، فمن جاء بعد القرون المفضلة ، وسلك طريقة المبتدعين فهو الخلف ومن هؤلاء السلف ، الامام أحمد ، ونعيم بن حماد ، ومحمد ابن ادريس الشافعي ، والامام مالك بن أنس " (٢)

ويقول بعض أهل العلم : المراد بالسلف ماقبل الخمسمائة ومنهم الأئمة الأربعة " (٣) والخلف " من كانوا بعد الخمسمائه ، وقيل بعد القرون الثلاثة " (٤)

=======================

(١) شرح العقيدة السفاريني ج ١ ص ١٨ الطبعة الأولى مطبعة مجلة المنار الاسلامية بمصر سنة ١٣٢٤٠

(٢) شرح التدمرية ج ١ ص ١٣

(٣) حاشية الصاوي ٧٤

(٤) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٦

ولكن تحديد المراد بالسلف بهذا المعنى غير مانع من دخول من ليسوا من السلف الواجب اتباعهم ، لأن مفهوم هذا الكلام أن من عاش قبل خمسمائة سنة أو قبل ثلاثمائة سنة يعتبر من السلف ، ولو كان على غير منهج السلف كالجهمية والخوارج والروافض والمعتزلة لأن كل هذه الطوائف نشأت في الاسلام في القرن الأول والثاني الهجري فلذا نرى أن الواجب في تحديد معنى السلف أن يقال : السلف من كان قبل خمسمائة سنة ، أو ثلاثمائة ، وكان معتقدهم موافقا لما جاء في الكتاب والسنة ، أو هم خير القرون الثلاثة الذين لم يرموا ببدعة ، لأن التحديد بمدة معينة غير كاف في تحديد معنى السلف.

وأما السلفيون فهم من كانوا على طريقة السلف الى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

مذهب السلف كما يراه الخلف

اختلف أهل العلم في حقيقة مذهب السلف ، في الصفات الخبرية هل هو تفويض ، أو اثبات بدون تفويض ؟ اذ كانت معلومة المعنى . من غير أن يكون في هذا الاثبات تشبيه.

ذهب كثير من المتكلمين الى القول ، بأن مذهب السلف التفويض ، ويعنون بالتفويض كما تقدم ، أنه لا سبيل الى معرفة معاني آيات الصفات لأحد من الخلق، لأن علم ذلك الى الله وحده ، دون غيره مع القطع أن ظواهر النصوص غير مراده للشارع وقد ذكر ابو المعالي في كتابه : " العقيدة النظامية " أن السلف مفوضون وأنه رجع الى مذهبهم وكثير غيره من المتكلمين كالشهرستاني حيث يقول :

ومن السلف من توقف في التأويل وقال : عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء ، فلا يشبهه شيئا ، من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء منها ، فقطعنا بذلك ، الا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى :

" الرحمن على العرش استوى " ومثل قوله تعالى : " خلقت بيدى" ومثل قوله تعالى : " وجاء ربك " الى غير ذلك ، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الايات ... ثم ان جماعة من المتأخرين ، زادوا على ماقاله السلف فقالوا : لابد من اجرائها على ظاهرها ، فوقعوا في التشبيه الصرف ، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف " (١)

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٩٢ -٩٣ تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل نشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع.

ومن الذين حكوا أن مذهب السلف التفويض في الصفات الامام السيوطى فقال :

وجمهور أهل السنة ، منهم السلف ، وأهل الحديث على الايمان بها ،وتفويض معناها المراد منها الى الله تعالى ، ولانفسرها ، مع تنزيهنا له عن حقيقتها " (١)

وقال فخر الدين " الرازى " :

" وأما العقل فانما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالا ،وأما اثبات المعنى المراد ، فلا يمكن بالعقل ، لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز ، وتأويل على تأويل ، وذلك الترجيح لايمكن الا بالدليل اللفظى ، والدليل اللفظى فى الترجيح ضعيف ، لايفيد الا لظن ، والظن لايعول عليه ، فى المسائل الأصولية ، القطعية، فلهذا اختار الأئمة المحققون ،من السلف ، والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ــ ترك الخوض فى تعيين التأويل (٢)

فالرازى كغيره من المتكلمين يرى أن السلف يرون ، استحالة حمل اللفظ على ظاهره ، بناء على ما اقتضاه الدليل العقلى ، الا انهم تركوا الخوض فى تعيين المعنى المراد ، تفويضا للمعنى الى الله ، لأن علم ذلك الى الله وحده ويصرح بعض المتأخرين ، أن السلف ، والخلف متفقون على صرف نصوص الصفات عن ظواهرها ، فبذلك يصح الجمع فى

---

(١) السيوطى : الاتقان جـ٢ ص ٦ مطبعة حجازى بالقاهرة
(٢) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ٦

نظرهم من المؤولين ، غير أن السلف كان تأويلهم اجماليا ، بمعنى أنهم لايعينون المراد من النصوص ، مع القطع أن ظاهر النصوص غير مراد ، والخلف عينوا المعنى المراد ، (١)

ومن يؤيد هذا الرأى ، الشيخ عبدالعظيم الزرقانى ، حيث يقول : فى بيان مذهب السلف :

" علماؤنا أجزل الله مثوبتهم ، قد اتفقوا على ثلاثة أمور تتعلق بهذه المتشابهات ، ثم اختلفوا فيما وراءها "فأول ما اتفقوا عليه" صرفها عن ظواهرها المستحيلة ، واعتقاد أن هذه الظواهر ،غير مرادة للشارع قطعا ، وكيف وهذه الظواهر باطلة ، بالأدلة القاطعة ، وبما هو معروف عن الشارع نفسه فى محكماته ؟.."

ثم ذكر مذهب السلف فقال :

المذهب الأول :

مذهب السلف ، ويسمى مذهب المفوضة .. وهو تفويض معانى هذه المتشابهات ، الى الله وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة" (٢)

=======================

(١) أنظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٧ ط الأخيرة مطبعة الحلبى سنة ١٣٥٨ هـ ١٥٣٩ م وشرح الخريدة البهية لأبى البركات أحمد الدرديرى ص ٧٥ مطبعة الاستقامة.
"والعقيدة الاسلامية والأخلاق " تأليف الدكتورين عوض الله جاد حجازى ، ومحمد عبدالستار أحمد نصار .
ص ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ.

(٢) عبدالعظيم الزرقانى : مناهل العرفان ج ٢ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ دار احياء التراث العربى ببيروت لبنان.

وذكر شيخ الاسلام فى بيان رأى المتاخرين فى مذهب السلف :

ان بعض من يحكى مذهب السلف يقول :

" ان طريقة أهل التأويل ، هى فى الحقيقة طريقة السلف ، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات ، والاحاديث ، لم تدل على صفات الله سبحانه ، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها ، والمتاخرون ، رأوا لمصلحة تأويلها ، لمسيس الحاجة الى ذلك ويقول :

الفرق أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل وأولئك لايعينون ، لجواز أن يراد غيره " (١)

خلاصة رأى المتكلمين فى مذهب السلف فى الصفات الخبرية أمران :

أولا : أن السلف مفوضون فى معانى آيات الصفات ، فلا يفسرون ، بل ولايعرفون ، معانى هذه الآيات كغيرها من المتشابهات ، وقد تقدم الرد على هذا الرأى حيث بينا أنهم يعلمون معانى المتشابهات ، وليسوا مفوضين فى ذلك فلا حاجة الى اعادته هنا .

ثانيا : ظواهر النصوص غير مرادة عند السلف والخلف على حد سواء وسيأتى الرد على هذا الرأى وبيان أن السلف كانوا على خلاف رأيهم اذ المقصود عندهم ظواهر النصوص ولا يكون ذلك تشبيها ولاتجسيما فاليك بيان ذلك فيما يلى :ـ

مذهب السلف كما بينه السلفيون والرد على القائلين
ان ظواهر النصوص غير مراده للسلف :

حقيقة مذهب السلف عند أئمة أهل السنة ، اثبات جميع الصفات الواردة فى الكتاب ، والسنة دون تفويض فى المعنى الذى أريد اثباته له تعالى ،

---

(١) العقيدة الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ١ص ٤٧ مطبعة محمد على صبيح .

وإليك فيما يلي اقوالا من أئمة أهل السنة من المحدثين والفقهاء تثبت لنا أن ما يظهر من نصوص الصفات هو المراد عند السلف ، دون ماعداه من المعاني ، ولايترتب على ذلك شيء من التشبيه والتجسيم خلاف مايدعيه المتأخرون من علماء الكلام وغيرهم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

وهذا القول (١) على الاطلاق كذب صريح على السلف ، أما في كثير من الصفات فقطعا ، مثل : ان الله فوق العرش ، فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم ... علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة ، وأنهم ما قصدوا خلاف هذا قط ، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك الى أن قال : ما رأيت أحدا منهم نفاها (يعني الصفات الخبرية) وانما ينفون التشبيه ، وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفي الصفات أيضا"(٢)

وقد فسر الامام أحمد النصوص التي تسميها الجهمية متشابهات فبين معانيها آية آية ، وحديثا حديثا ولم يتوقف في شيء منها ، هو والأئمة قبله ، مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الألفاظ عن ظواهرها ، لم يكن مذهبا لأئمة السنة وهم أعرف بمذهب السلف ، وانما مذهب السلف اجراء معاني آيات الصفات على ظاهرها باثبات الصفات له حقيقة ، وعندهم قراءة الآية ، والحديث

---

(١) يعني قول المتأخرين : ان السلف مفوضون ، وأنهم لايقصدون المعنى الظاهر من نصوص الكتاب والسنة .

(٢) الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جا ص ٤٧٠ـ٤٧١ ، مطبعة محمد علي صبيح

تفسيرها ، وتمر كما جاءت دالـة على المعانى ، لاتحرف ولايلحد فيها" (١)

قال ابن قيم الجوزيـة: تنازع الناس فى كثير من الأحكام ولم يتنازعـوا فى آيات الصفات ، وأخبارها فى موضع واحد ، بل اتفق الصحابـة ، والتابعون على اقرارها ، وامرارها مع فهم معانيها ، واثبات حقائقها.. أعنى فهم أصل المعنى ، لافهم الكنـه ، والكيفيـة " (٢).

وبالاضافـة الى هذا ثبت عن غير واحد من السلف انهم فسروا معنـى " الاستواء " بما يتفق مع مذهب السلف من الاثبات، منهم من فسر " استوى" بمعنى ارتفع على العرش ، ومنهم من فسر بمعنى أنه عـلا على العرش ، وآخرون منهم فسروا بمعنى صعد ، او استقر ، فهـذه المعانى " ثابتة عند السلف ذكرها البخارى فى صحيحـه ، بعضها فـى آخره فى كتاب الرد على الجهميـة " (٣)

قال ابو حنيفـة فى تفسير معنى " الاستواء "

" الرحمن على العرش استوى" أى علا " (٤)

قال أبو العاليـة " استوى الى السماء " ارتفع ،

وقال مجاهد " استوى " علا على العرش ، (٥)

" وقال اسحاق ابن راهويـه عن بشر ابن عمر قال : سمعت غير واحد من المفسرين يقول : " الرحمن على العرش استوى" أى ارتفع ،... وقال الحسين

=======================

(١) الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ٢ ص ٢٢ ـ ٢٣ وتفسير سـورة الاخلاص ١٣٤ ـ ١٣٥

(٢) مختصر الصواعق المرسلـة جـ ١ ص ١٥

(٣) رسالـة الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ٢ ص ٣٤

(٤) غايـة الأمانى فى الرد على النبهانى جـ١ ص ٤٦٠

(٥) صحيح البخارى كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء

ابن مسعود البغوى فى تفسيره المشهور قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف " استوى الى السماء " ارتفع الى السماء وكذلك قال الخليل ابن أحمد ، وروى البيهقى فى كتاب الصفات ، قال الفراء : ثم استوى أى صعد قاله ابن عباس ، (١)

وحكى مقاتل والكلبى عن ابن عباس " استوى بمعنى " استقر " وفسر أبو عبيدة " استوى " بمعنى صعد " (٢)

وهذه المعانى التى صرحها بعض السلف هنا ، هى ما اراده الأئمة مالك بن أنس ، والربيع ، وأم سلمة حينما قالوا :

" الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعه ، (٣) فهم لايريدون أنه معلوم الورود فى القرآن ، لأن هذا أمر معروف لايحتاج الى تنبيه ، وانما يقصدون أنه معلوم المعنى وان كان مجهول الحقيقة والكيفية فالمقصود بالنفى فى كلام مالك ومن معه هو الكيفية والحقيقة لا أصل معنى " الاستواء" لان ذلك معلوم للسلف وفى أصل اللغة كما صرح ذلك جمع من الائمة فيما تقدم ·

ومما يؤيد أن ظواهر النصوص فى الصفات ، هى المرادة عند السلف دون ماعداها من المعانى ، قول السلف وأئمة أهل السنة : أمروها كما جاءت بلا كيف ، وممن ثبت عنهم هذا القول ، الامام الزهرى ، وكثير غيره·

==================

(١) موافقة صريح المعقول ج ٢ ص ١٣ ــ ١٤

(٢) الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ٧٠٦

(٣) أنظر عقيدة السلف ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ١١٠ ــ ١١١ والاتقان ج ٢ ص ٦ والاكليل ج ٢ ص ٣٢ ــ ٣٣ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى

وفى ذلك يقول أبو عمر بن عبدالبر:

روينا عن مالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وسفيان ابن عيينة والاوزاعى ومعمر بن راشد فى احاديث الصفات ، أنهم كلهم قالوا :

أمروها كما جاءت .. وقال أبو عمر : أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن ، والسنة والايمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، الا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك " (١)

وقال القاضى أبو يعلى فى كتاب ابطال التأويل :

" لايجوز رد هذه الأخبار ، ولا التشاغل بتأويلها ، والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات الله لاتشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ولايعتقد التشبه فيها ، لكن على ما روى عن الامام أحمد وسائر الأئمة وذكر بعض كلام الزهرى ، ومكحول ، ومالك ، والثورى ، والاوزاعى ، والليث ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن عيينه والفضيل بن عياض ووكيع... الى أن قال :ـ

ويدل على ابطال التأويل : أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ، وصرفها عن ظاهرها ولو كان التأويل سائغا لكانوا اليه أسبق ، لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة " (٢) .

ويفهم من هذا أن الظاهر ليس معنى باطلا حتى يقال : ان مذهب السلف اعتقاد أن الظاهر غير مراد فالظاهر بالنسبة اليه تعالى لايفضى الى تمثيل

======================

(١) الحموية الكبرى ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ١ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ ٥ ص ٣٩ ـ ٤٢ .

(٢) الحموية الكبرى جـ١ ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥

ويقول ابو العباس ابن تيمية — فى بيان أن مذهب السلف ابقاء ظواهر النصوص كما جاءت دالة على معناها المتبادر من الألفاظ وأن مايظهر من نصوص الصفات ليس تشبيها :-

ويقول ابو الخطاب — ردا على سؤال ورد عليه ، عن آيات الصفات فأما ما سألت عنه من الصفات ، وما جاء منها فى الكتاب والسنة ، فان مذهب السلف اثباتها ، واجراؤها على ظواهرها ، ونفى الكيفية ، والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم فأبطلو ما اثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا فى ذلك الى ضرب من التشبيه ، والتكييف ، وانما القصد فى سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالى فيه ، والجافى ، والمقصر عنه " (١)

قال شيخ الاسلام :

وهذا الكلام الذى ذكره الخطابى قد نقل نحوا منه من العلماء عن لايحصى عددهم ، مثل أبى بكر الاسماعيلى ، والامام يحيى بن عمار السجزى ، وشيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى صاحب منازل السائرين ، وذم الكلام ، وأبى عمر بن عبد البر النمرى امام المغرب ، وغيرهم " (٢)

وقال العلامة ابن قيم :

وقد صرح الناس قديما ، وحديثا بأن الله لايجوز أن يتكلم بشيء ويعنى به خلاف ظاهره :

قال الشافعى :

وكلام رسول الله على ظاهره : وقال صاحب المحصل فى الباب

=======================

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام جـ ٥ ص ٥٨

(٢) " " " " جـ٥ ص ٥٩

التاسع من أحكام اللغات والمسئلة الثانية " لايجوز أن يعنى الله سبحانه بكلامه خلاف ظاهره والخلاف فيه مع المرجئة.. ثم أجاب عن شبه المنازعين بأن قال :

لو صح ما ذكرتموه لم يبق لنا اعتماد على شيء من اخبار الله تعالى لأنه ما من خبر الا ويحتمل أن يكون المراد به غير ظاهره ، وذلك ينفي الوثوق " (١) وذكر ابن قيم الجوزيه : ان من يحمل النصوص على خلاف الظاهر يلزمهم ثلاثة محاذير ، وهى :

القدح فى علم المتكلم بها ، أو فى بيانه او فى نصحه ، وتوضيح ذلك ان يقال :

" اما أن يكون المتكلم بهذه النصوص عالما ، أن الحق فى تأويلات النفاة المعطلين ، أولا يعلم ذلك ، فان لم يعلم ذلك كان ذلك قدحا فى علمه ، وان كان عالما أن الحق فيها فلا يخلو اما أن يكون قادرا على التعبير بعباراتهم التى هى تنزيه الله بزعمهم عن التشبيه ،والتمثيل ، والتجسيم ، وأنه لايعرف الله من لم ينزه الله بها ، أولا يكون قادرا على تلك العبارة ، فان لم يكن قادرا على التعبير بذلك لزم القدح فى فصاحته ، وكان ورثة الصابئة وافراخ الفلاسفة ، وأوقاح المعتزلة ، والجهمية وتلامذة الملاحدة أفصح منه ، وأحسن بيانا وتعبيرا عن الحق ، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة اولياؤه ، واعداؤه ، وموافقوه ، ومخالفوه ، فان مخالفيه لم يشكوا أنه أفصح الخلق ، وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ، ويخلصه من اللبس ، والاشكال ، وان كان قادرا على ذلك ولم يتكلم به ، وتكلم دائما بخلافه كان ذلك قدحا فى نصحه وقد وصف

==========================

(١) مختصر الصواعق المرسله جـ٢ ص ٢٨٦ تصحيح زكريا على يوسف مطبعة

الله رسله بأنهم أفصح الخلق لأممهم فمع النصح والبيان والمعرفة التامة كيف يكون مذهب النفاة المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب ، وقول أهل الاثبات أتباع القرآن والسنة باطلان " (١) أ هـ

وقال شيخ الاسلام :

ان كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة الذين لا يجدون مايقولونه فى الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة بل يجدون فيها خلاف الحق عندهم اما نصا واما ظاهرا ، بل دلت عندهم على الكفر ، والضلال لزم من ذلك لوازم باطله .

منها أن يكون الله سبحانه قد أنزل فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره ، ويوقعهم فى التشبيه ، والتمثيل ، ومنها أن يكون ، قد ترك بيان الحق ، والصواب ، ولم يفصح به ، بل رمز اليه ، والغزه الغازا ، ولا يفهم منه الا بعد الجهد الجهيد .

ومنها أن يكون قد كلف عباده الا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها وكلفهم ان يفهموا منها ، مالا تدل عليه ، ولم يجعل معها قرينه تفهم ذلك ومنها أن يكون دائما متكلما فى هذا الباب بما ظاهره خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب ، تارة بأنه استوى على عرشه ، وتارة بأنه فوق عباده وتارة بأنه العلى الأعلى ، وتارة بأن الملائكة تعرج اليه وتارة بأن الأعمال الصالحة ترفع اليه ... الى غير ذلك من تنوع الدلالات على ذلك .

ولا يتكلم فيه بكلمة واحدة توافق ما يقوله النفاة ، ولا يقول فى مقام واحد ما هو الصواب فيه ، لا نصا ، ولا ظاهرا ، ولا بينة " (٢)

=====================

(١) مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ٣٨ مطبعة الامام تصحيح زكريا على يوسف .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ٣٤ - ٣٥

وقال الامام الشوكاني : ان مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ، وتابعيهم ، هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها ، من دون تحريف لها ، ولا تأويل متعسف لشيء منها . . ." (١)

وقال فى موضع آخر : وبالجملة فاطالة ذيول الكلام فى مثل هذا المقام اضاعة للأوقات ، واشتغال بحكاية الخرافات ، وليس مقصودنا ههنا الا ارشاد السائل الى المذهب الحق فى الصفات ، وهو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ، ولا تحريف، (*) ولا تكلف ، ولا تعسف . . (٢)

====================

(١) التحف فى مذهب السلف ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج٢ ص٨٨ للشوكانى .

(*) " تنبيه : الفرق بين التحريف ، والتعطيل ، ان التعطيل نفى للمعنى الحق الذى دل عليه الكتاب ، والسنة ، واما التحريف فهو تفسير النصوص بالمعانى الباطلة التى لا تدل عليها والنسبه بينهما العموم والخصوص المطلق ، فان التعطيل أعم مطلقا من التحريف ، بمعنى أنه كلما وجد التحريف وجد التعطيل دون العكس ، وبذلك يوجدان معا فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق ويوجد التعطيل بدون تحريف فيمن نفى الصفات الواردة فى الكتاب والسنة وزعم أن ظاهرها غير مراد ، ولكن لم يعين لهما معنى آخر وهو مايسمونه بالتفويض ، افادة فى " الكواشف الجليه عن معانى الواسطيه تأليف عبد العزيز المحمد ـ السلمان ص ٤ ه الطبعة الثالثة.

(٢) التحف فى مذهب السلف ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ٢ ص ٩٢

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي " ... والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه . او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم. فظاهره المتبادر منه السابق الى فهم من في قلبه شيء من الايمان ، فهو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث . فبمجرد اضافة الصفة اليه جل وعلا ، يتبادر الى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق ، وبين شيء من صفات المخلوقين ،وهل ينكر عاقل ، أن السابق الى الفهم المتبادر لكل عاقل : هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته ،وجميع صفاته ، لا والله لا ينكر ذلك الا مكابر والجاهل المفترى الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات ، لا يليق بالله ،لأنه كفر وتشبيه ، انما جر اليه ذلك تنجيس قلبه ، بقدر التشبيه بين الخالق والمخلوق ، فأداه شؤم التشبيه الى نفي صفات الله جل وعلا ،وعدم الايمان بها ، مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه فكان هذا الجاهل مشبها أولا ،ومعطلا ثانيا فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء " (١)

---

(١) تفسير اضواء البيان جـ٢ ص ٢٨٦ مطبعة المدني.

حاصل الكلام فى المسألة

من قال : ظاهر النصوص غير مراد ، وأراد بذلك ما يظهر من نعوت الحوادث وخصائصها فقد أصاب فى المعنى ، اذ لاشك أن هذا المعنى غير مراد باتفاق بين السلف والخلف ، فمن أراد هذا المعنى فقد أصاب فى المراد ، ولكنه اخطأ فى التعبير عن مراده ، حيث عبر عن هذا المراد بعبارة توهم أن هذا المعنى هو ما يفهم من ظواهر النصوص ، اذ لايوجد فى القرآن والسنة الفاظ تدل بظاهرها على المعانى الباطلة من التشبيه والتجسيم قال شارح الطحاوية : يجب أن يعلم ان المعنى الفاسد الكفرى ليس هو ظاهر النصوص ، ولا مقتضاه وأن من فهم ذلك فهو لقصور فهمه ، ونقص علمه " (١) .

والسلف والائمة " لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا والله سبحانه وتعالى أعلم ، وأحكم من أن يكون كلامه الذى وصف به نفسه لايظهر منه الا ما هو كفر أو ضلال " (٢) .

وأما من قال : ظواهر النصوص غير مراد ، وأراد بذلك نفى ما ورد فى الكتاب والسنه مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ـ فهو مخطئ فى المعنى وفى التعبير معا لان ما وصف الله به نفسه لا يفهم منه التشبيه وهذا التفصيل الذى ذكرنا هو ما بينه شيخ الاسلام بن تيمية قائلا : واعلم أن من المتأخرين من يقول : مذهب السلف اقرارها على ماجاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، وهذا لفظ مجمل فان قوله : ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين ، وصفات المحدثين

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٣

(٢) شرح التدمرية جـ ١ ص ١١٩

مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى أنه مستقر فى الحائط الذى يصلى اليه
وأن الله معنا ، ظاهره انه فى جانبنا ،ونحو ذلك فلاشك أن هذا غير مراد
ومن قال أن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب فى المعنى ، لكن أخطأ
فى اطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والاحاديث ، فان هذا المحال ليس
هو الظاهر على ما بيناه فى غير هذا الموضع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممتنع
صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذورا فى هذا
الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف احوال الناس وهو من الامور
النسبيه ... وان كان الناقل عن السلف اراد بقوله : الظاهر غير مراد عندهم
ان المعانى التى تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته
ولا تختص بصفة المخلوقين بل هى واجبة لله او جائزة عليه... غير مراد ،
فهذا قد اخطأ فيما نقله عن السلف ،أو تعمد الكذب ، فما يمكن احدا قط أن ينقل
عن واحد من السلف ، مما يدل لانصا ولاظاهرا ،أنهم كانوا يعتقدون
أن الله ليس فوق العرش ، ولا أن الله ليس له سمع ،ولا بصر ولا يد حقيقة "(١)
فاعتقاد المتكلمين أن ظواهر النصوص تؤدى الى التشبيه دفعهم الى نفى الصفات
الخبريه وقد ذكرنا فى أول الرسالة فى الباب الأول أن هذا الاعتقاد هو أحد
الشبهات التى أدت الى نفى الصفات وتأويل نصوصها ،وبقيت شبهتان حول مذهب
السلف قائمتان على ماجاء من كلام السلف وما جاء فى كلام الله تعالى نبينهما فيمايلى

---

(١) العقيدة الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠

الشبهة الأولى

يستدل بعض المتأخرين بما تقدم من قول السلف : " الاستواء معلوم والكيف مجهول " وبقولهم : أمروها كما جاءت بلا كيف على أن مذهب السلف التفويض ، وانهم لا يريدون ظواهر النصوص وممن يستدل على ذلك بكلام مالك :

" الاستواء معلوم والكيف مجهول " الامام " السيوطي " (١) والامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٢) والاستاذ عبد العظيم الزرقاني (٣) فانه قال بعد أن ذكر قول مالك : " الاستواء معلوم والكيف غير مجهول ...) : يريد رحمة الله عليه ـ يعني مالكا ـ أن الاستواء معلوم الظاهر بحسب ما تدل عليه الأوضاع اللغوية ولكن هذا الظاهر غير مراد قطعا ،لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله بالدليل القاطع ،والكيف مجهول أي تعيين مراد الشارع مجهول لنا لا دليل عندنا عليه ولا سلطان لنا به ، والسؤال عنه بدعة أي الاستفسار عن تعيين هذا المراد على اعتقاد أنه مما شرعه الله ،بدعة لأنه طريقة في الدين مخترعة مخالفة لما أرشدنا اليه الشارع من وجوب تقديم المحكمات وعدم اتباع المتشابهات ...) (٤)

كان هذا ما ذكره الاستاذ / عبد العظيم الزرقاني في بيان المراد من كلام مالك المتقدم غير أن شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله قد رد على هذا الرأي وبين مراد السلف في ذلك خير بيان فقال :

فان قيل معنى قوله : الاستواء معلوم . أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه . قيل هذا ضعيف ،فان هذا من باب تحصيل الحاصل فان السائل قد

---

(١) وذلك في كتابه " الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٦
(٢) وذلك في كتابه البرهان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٧٨
(٣)
(٤) مناهل العرفان جـ ٢ ص ١٨٤

علم أن هذا موجود فى القرآن ، وقد تلا الآية ، وأيضا فلم يقل ذكر الاستواء فى القرآن ولا أخبار الله بالاستواء ، وانما قال الاستواء معلوم ،فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم ،ولم يخبر عن الجملة ،وأيضا فانه قال : والكيف مجهول ولو اراد ذلك لقال : معنى الاستواء مجهول أو تفسير الاستواء مجهول أو بيان الاستواء غير معلوم ولم ينف الا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء ،وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه ،لو قال فى قوله : اننى معكما أسمع وأرى كيف يسمع وكيف يرى لقلنا السمع والرؤيا معلوم (*) والكيف مجهول ،ولو قال : كيف كلم موسى تكليما لقلنا التكليم معلوم ، والكيف غير معلوم " (١)

" فقول ربيعة (٢) ، ومالك : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ،والايمان به واجب موافق لقول الباقين : أمروها كما جاءت بلا كيف ،فانما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ولما قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف ، فان الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل

---

* وهذا هو معنى ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا : التحقيق أن السلف كانوا يأخذون فى الصفات الالهية بمعانى الألفاظ فى اللغة مع تنزيهه تعالى عن مشابهة شيء من خلقه ،فكما أن ذاته ليست كغيرها من الذوات فكذلك صفاته وأفعاله ولا يذهبون الى ماوراء ذلك من لوازم ظاهر للفظ كالتشبيه والتحديد المأخوذ من اطلاقه فى الاصل على المخلوق ... " تعليق الشيخ محمد رشيد رضا على رسالة " التوحيد " للامام محمد عبده ص ١٠

(١) رسالة الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ٢ ص ٣٣

(٢) وهو ربيعة بن ابى عبد الرحمن شيخ مالك.

مجهولا بمنزلة حروف المعجم ، وأيضا : فانه لايحتاج الى نفى علم الكيفية ، اذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، وانما يحتاج الى نفى علم الكيفية اذا أثبتت الصفات ، وأيضا فان من ينفى الصفات الخبرية ـ أو الصفات مطلقا ـ لايحتاج الى أن يقول بلا كيف فمن قال : أن الله ليس على العرش لايحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفى الصفات فى نفس الأمر لما قالوا بلا كيف وأيضا فقولهم : أمروها كما جاءت يقتضى ابقاء دلالتها على ما هى عليه ، فانها جاءت ألفاظا دالة على معانى فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لايوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ بلا كيف ، اذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول " (١)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية ج ٥ ص ٤١ ـ ٤٢

الشبهة الثانية

ان كثيرا من المتأخرين من المتكلمين وغيرهم ، يستدلون بقوله تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " وبقوله عز وجل : " هل تعلم له سميا " " ولم يكن له كفوا أحد " ـ على تأييد مذهب النفى للصفات ، وتأويل آياتها ظنا منهم أن هذه الآيات تكون مستندا لهم فيما ذهبوا اليه من نفى الصفات ، وأن اثبات آيات الصفات على مقتضى ظواهر النصوص تشبيه يتعارض مع مقتضى هذه الآيات من التنزيه فأولوا آيات الصفات لكونها من المتشابهات التى يجب ردها الى المحكمات ، ويعنون بالمحكمات هذه الآية (ليس كمثله شيء ...) وما شابهها من آيات التنزيه (١)

وفى بيان ذلك يقول شارح الطحاوية :

ولكن النفاة قد جعلوا قوله تعالى : ليس كمثله شيء " (٢) مستندا لهم فى رد الاحاديث الصحيحة ،فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم ، وآراءهم ،وماوضعته خواطرهم ،وأفكارهم ـ ردوه ب " ليس كمثله شيء " تلبيسا وتدليسا على من هو اعمى قلبا منهم ،وتحريفا لمعنى الآى عن مواضعه ، ففهموا من أخبار الصفات مالم يرده الله ولا رسوله ،ولا فهمه أحد من أئمة الاسلام انه يقتضى اثباتها التمثيل بما للمخلوقين ،ثم استدلوا على بطلان ذلك ب ليس كمثله شيء ... " (٣)

وهذه الشبهة هى من الأسباب التى اوقعت المتكلمين فى نفى الصفات ، وتأويل نصوصها وذلك لأنهم لم يحددوا المراد من المماثلة المنفية عن الله تعالى

---

(١) أنظر مناهل العرفان ج ٢ ص ١٨٨ ،ومقدمة ابن خلدون ص ٤٣٥ " الرسالة المدنية فى تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله " ص ١٢ لشيخ الاسلام ابن تيمية ، والعقيدة الاسلامية والأخلاق ص ٣٧ ـ ٣٨

(٢) الشورى : ١١

(٣) شرح عقيدة الطحاوية ص ٢٣٩ ومختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٥٣١ .

في مثل قوله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " فظنوا أن اثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة كاليد والوجه ، والنزول والاستواء يؤدى الى التمثيل أو التشبيه المنفي في الآيات المذكورة فأولوا الصفات فرارا من التمثيل والتشبيه مع أن الانسان لايكون مشبها أو ممثلا في الحقيقة باثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات الا اذا أثبت للخالق شيئا من خصائص المخلوقين (١) كأن يثبت له عز وجل ، استواء كا " استواء المخلوقين ونزولا كنزولهم ، ومجيئا كمجيئهم ، ويدا كأيديهم وهكذا في جميع ما يثبت له تعالى من الصفات ، وهذا هو التشبيه والتمثيل عند السلف وهو الذى أريد نفيه عن الله في الآية ، لانفي ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله من الصفات فاليك فيما يلي بيان المراد بالمماثلة التي نفاها الرب عن نفسه فيما تقدم من الآيات على ضوء ما فهمه السلف وبينوه لنا .

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله :ـ

التشبيه أن تقول : يد كيد ، أو وجه كوجه فأما اثبات يد ليست كالأيدى ووجه ليس كالوجوه ، فهو اثبات ذات ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كالاسماع والابصار " (٢)

ويقول الحافظ ابن خزيمة في الرد على المؤولين الذين يستدلون بهذه الآية :

" فأما احتجاج الجهمية على أهل السنة ، والآثار في هذا النحو بقوله : " ليس كمثله شيء فمن القائل ان لخالقنا مثلا أو ان له شبيها) ؟ وهذا من التمويه على الرعاع ، والسفل يموهون بمثل هذا على الجهال يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله ، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فقد شبه الخالق بالمخلوق ، وكيف يكون خلقه مثله يا ذوى الحجا " (٣)

---

(١) أنظر الرسالة التدمرية مع شرحها تحفة المهدية ج٢ ص ١ ـ ٤

(٢) الصواعق المرسله ج ١ ص ١٩ وقال اسحاق بن راهويه انما يكون التشبيه لو قيل يد كيد وسمع كسمع افاده الحافظ ابن حجر في الفتح ج ١٧ ص ١٧٨ في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء .

(٣) توحيد ابن خزيمه ص ٢٨

فالآية الكريمة " ليس كمثله شيء " أريد منها نفى تشبيه المشبهة الذين شبهوا الخالق بالمخلوق فى ذاته أو فى صفاته ، وليس المقصود منها نفى الصفات خلاف ما يقوله المؤولة وليس فيما وصف الله به نفسه ووصف به رسوله تشبيه ولا تمثيل (١) فاستدلال المؤولة بهذه الآية على عدم اثبات الصفات الواردة فى الكتاب والسنة استدلال فى غير موضعه *

فالنتيجة التى نريد أن نخرج بها ، ان من تتبع أقوال السلف فى باب الصفات الالهية ، وتأمل مرادهم فى ذلك عرف يقينا أن السلف قائلون بابقاء نصوص الصفات على مادلت عليه ، من المعانى الظاهرة من الألفاظ ، مع نفى التشبيه ،وتفويض علم الكيفية الى الله ،فهم يقفون ضد تأويل الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم فى ذلك ،وهذا يدل بوضوح على بطلان قول القائلين ،بأن السلف والخلف متفقون على عدم ارادة ظواهر نصوص الكتاب والسنة ، فى باب الصفات الخبرية ، فالمتكلمون عندما يقولون : ان ظواهر النصوص تؤدى الى التشبيه أو التجسيم انما يعبرن عن فهمهم الخاص مع أن نصوص الكتاب والسنة المثبتة للصفات ،ليس فيها شيء من ذلك فى الواقع ، فان السلف ماأثبتوا ظواهر النصوص له تعالى الا لعلمهم بأن حقائق هذه الظواهر الثابتة له تعالى تليق بعظمة الله ، وجلاله ،فانها غير تلك الحقائق الثابتة للمخلوق ،فلا تشبيه ولا تجسيم غير أن

---

(١) أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٨

* تنبيه : الفرق بين التشبيه والتمثيل

فسروا المماثلة بين الشيئين : بأن يجوز على أحدهما مايجوز على الآخر ، ويمتنع عليه ،ويجب له ما يجب له ومعلوم ان اثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور مايقول فانه يعلم بضرور العقل امتناعه " على الله تعالى واثبات الصفات مع نفى المماثلة ليس من هذا القبيل "

" فالمماثلة تقتضى المساواة من كل وجه بخلاف المشابهة وقد يعبر بأحدهما عن الآخر " الرسالة التدمرية مع شرحها للأستاذ فالح بن مهدى آل مهدى ج ٢ ص ٢ ، ٤ *

المؤولين للصفات كما قال ابو العباس ابن تيمية وغيره من أهل العلم ـ شبهوا أولا ثم عطلوا ثانيا ، حيث فهموا التشبيه من النصوص فنتج من ذلك تعطيل الصفات وتأويل آياتها (١) وعلى ضوء ما تقدم بيانه ، من مذهب السلف تبين لنا : أن مذهب السلف ، وسط بين المؤولة ، والمفوضة من جهة ، وبين المشبهة ، والمجسمة من جهة أخرى ، فمذهب السلف اثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطل (٢) فهو ينبنى على أصلين :

الأصل الأول :

تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة صفات الحوادث .

والأصل الثاني :

الايمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، واثبات ذلك له تعالى ، حقيقة لا مجازا ، على الوجه اللائق بكماله ، وجلاله عز وجل على ضوء ما ترشدنا اليه الآية الكريمة " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ففي الآية اثبات ونفي ، فنفى المماثلة عن نفسه جل وعلا بقوله : " ليس كمثله شيء ... " وأثبت الصفات له اثباتا حقيقيا بقوله : " وهو السميع البصير " .

فأول الآية يقتضي عدم التمثيل ، وآخرها يقتضي عدم التعطيل فهي دليل على صحة مذهب أهل السنه ، ورد على الطائفتين ، المشبهة والمعطلة معا (٣)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٥ ص ٢٧ ـ ٢٨
(٢) أنظر مختصر الصواعق المرسله ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٦ .
(٣) محاضرة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٥ وتفسير اضواء البيان له أيضا ص ٢٧٢ .

وبعد أن عرفنا حقيقة مذهب السلف ، نورد فيما يلى أدلة من الكتاب والسنة فى الصفات ، التى تمسك بها المثبتون فى اثباتهم له تعالى جميع أقسام الصفات الخبريه الاختيارية منها ، وغير الاختيارية (١) فنبدأ بالصفات الفعليه الاختيارية :—

---

(١) وسيأتى بيان أن الصفات الخبريه تنقسم الى قسمين الاختيارية وغير الاختياريه وكل واحد من القسمين يثبتها أهل السنة على حد سواء .

أدلة أهل السنة فى اثبات الصفات الفعلية الاختيارية

فاذا كان كثير من المتكلمين ، يعتمدون على الأدلة العقلية فيما أثبتوه من الصفات ، وما نفوه عنه سبحانه ، فان المثبتين للصفات الخبرية ، من علماء السنة سلفا وخلفا يعتمدون ، فى ذلك على أدلة من الكتاب والسنه ، ويرون أنها لاتعارض معقولا (١) واليك نصوصا من الكتاب والسنة اعتمدوا عليها فى اثباتهم له تعالى الصفات الفعليه الاختيارية (٢) .

الاستواء على العرش والفوقيه له تعالى

" يعتقد أهل الحديث ، ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سموات على عرشه ، كما نطق به كتابه فى قوله عز وجل فى سورة الأعراف " (٣)

" ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا .. " (٤)

وقوله فى سورة الرعد : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش " (٥)

وقوله فى سوره الفرقان :

" ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا " (٦)

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ٧٩ ومختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٥١٧ ـ ٥١٨

(٢) وسيأتى تعريف الصفات الفعلية الاختيارية مع الأمثلة فى الباب الثالث الرابع ان شاء الله تعالى .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابونى ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١ ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٤) آية رقم : ٥٤

(٥) رقم الآية : ٣

(٦) آية رقم : ٥٩

وقولـه في سورة السجده :

" ثم استوى على العرش " (١)

وقوله في سورة طه :

" الرحمن على العرش استوى " (٢)

وقال في سورة : يونس :

ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش (٣)

وقال في سورة الحديد :

هو الذى خلق السموات ، والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش (٤)

" في هذه الآيـات اثبات صفـة الاستواء لله ، وهي من الصفات الفعليـه

و معنى الايمان بالاستواء " :

الاعتقاد الجازم بأن الله فوق سمواته مستو على عرشـه استواء يليق بجلالـه

وعظمته على على خلقـه ، بائن منهم وعلمه محيط بكل شيئ (٥) .

قال العلامة أبو محمد عبدالله بن يوسف الجويني والد امام الحرمين :

وكنت أخاف من اطلاق القول باثبات العلو ، والاستواء والنزول ، مخافـة الحصـر ، والتشبيـه ، ومع ذلك ، فاذا طالعت النصوص الواردة في كتـاب الله ، وسنـة رسوله صلى الله عليـه وسلم أجدها نصوصا تشير الى حقائق هـذه المعاني ، وأجـد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبرا عن ربـه واصفا له بها ، وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسـه الشريف، والعالم والجاهل ، والذكي ، والبليد ، والأعرابي ، والجافي ، ثـم

---

(١) آيـة رقم : ٤
(٢) آية رقـم : ٥
(٣) آية رقـم : ٣
(٤) آية رقـم : ٤
(٥) الكواشف الجليه ص ١٩٥ وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للامام المحدث ابى عثمان الصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١ ص ١١٠

لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها ، لا نصا ، ولا ظاهرا مما يصرفها ، عن حقائقها ، ويؤولها كما تأول هؤلاء مشايخي ، الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم " الاستواء " بالاستيلاء ، ونزول الأمر للنزول ، وغير ذلك ، ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس عن الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه (١) من الفوقيه ، واليدين ، وغيرهما ، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخرى باطنة ، غير ما يظهر من مدلولها ٠٠٠٠ وأجد الله عز وجل يقول :ـ

" الرحمن على العرش استوى " خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش " يخافون ربهم من فوقهم " اليه يصعد الكلم الطيب " أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ٠٠٠ " " قل نزله روح القدس من ربك " " وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وأني لأظنه كاذبا " ٠

وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال : واني لأظنه كاذبا ، وقوله تعالى :ـ

" ذو المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقدار خمسين ألف سنة " الآية ٠

ثم أجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما أراد الله تعالى ، ان يخصه بقربه عرج به من سماء الى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى " (٢)

وفي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال للجارية : " اين الله

---

(١) كذا قيل ولعل الصواب في صفته لربه

(٢) رسالة / في اثبات الاستواء والفوقيه جـ ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ضمن مجموعة الرسائل المنيريه٠

فقالت فى السماء " (١) فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه " كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه ، بل أقرها ، وقال اعتقها فانها مؤمنة " (٢)

وفى حديث ابى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم قال : " ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء ، يأتينى خبر من فى السماء صباحا ومساء " (٣)٠

وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :
ان الميت تحضره الملائكة ، فان كان الرجل الصالح ، قالوا أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، أخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفسح لها ، فيقال من هذا ؟
فيقول فلان فيقولون مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب أدخلى حميدة وابشرى بروح ، وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال ذلك حتى تنتهى الى السماء التى فيها الله عز وجل " الحديث (٤) *

---

(١) الحديث اخرجه مسلم ، وأبو داوود والنسائى ومالك فى موطئه ، رسالة اثبات الاستواء والفوقية مع التقرير ج ١ ص ١٧٨

(٢) رسالة اثبات الاستواء والفوقية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج١ ص ١٧٧

(٣) اخرجه البخارى ومسلم ، نفس المرجع ج ١ ص ١٧٨

(٤) رسالة اثبات الاستواء والفوقية للجوينى ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ ٠

(*) الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه وقال هو على شرط البخارى ومسلم ، أفاده فى التعليق على / رسالة اثبات الاستواء للجوينى ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١ ص ١٧٩٠

وفى حديث البخارى : (.... فكانت زينب تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم) تقول :ـ

زوجكن أهاليكن، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات ،

وفى رواية : " وكانت تفخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت تقول ان الله أنكحنى فى السماء " (١)

وفى حديث أبى هريرة فى البخارى قال :ـ

ان الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه ان رحمتى سبقت غضبى (٢)

وفى حديث المعراج :

" ... ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ـ كل سماء فيها أنبياء .. الى ان قال : وابراهيم فى السادسة ، وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى ، رب لم أظن أن يرفع على أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة ،فتدلى (٣) حتى كان منه قاب قوسين ، أو أدنى ، فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ..." الحديث (٤) .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب " التوحيد " باب وكان عرشه على الماء

(٢) نفس المصدر فى نفس الكتاب والباب

(٣) قال ابن حجر فى الفتح جـ ١٧ ص ١٦٦ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٥٩ م :

أصل التدلى النزول الى الشيئ حتى يقرب منه .
وفى النهاية : التدلى النزول من العلو ، وقاب القوس قدره ، النهاية فى : غريب الحديث لابن الأثير جـ ٢ ص ١٣١ دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : والقاب ما بين القبضة والسية من القوس " ... قال الواحدى : هذا قول جمهور المفسرين وعن ابن عباس : القاب : القدر والقوسين الذراع ، ورجح الحافظ ابن حجر التفسير الاخير .

(٤) صحيح البخارى كتاب " التوحيد " باب قوله وكلم الله موسى تكليما

والنصوص فى استواء الرب عز وجل على عرشه وعلوه فوق خلقه كثيرة وفيما تقدم كفاية فى الدلالة على المقصود قال العلامة بن قيم الجوزية :ـ

" أجمع المسلمون من الصحابه ، والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه ، وقال أبو نصر السجزى الحافظ فى كتاب الابانة : وأئمتنا كالثورى ومالك ، وابن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد وابن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد ، واسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكان . وقال أبو نعيم الحافظ صاحب الحلية فى الاعتقاد ، الذى ذكر أنه اعتقاد السلف واجماع الأمة قال فيه :ـ

وأن الاحاديث التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى العرش ، واستواء الله تعالى عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه ، وخلقه بائنون منه ، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم ، وهو مستو على عرشه فى سمائه من دون أرضه ، وقال الامام ابو بكر الآجرى . فى كتاب الشريعة :ـ

الذى يذهب اليه أهل العلم ، أن الله عز وجل على عرشه فوق سماواته وعلمه محيط بكل شيء ، وقد أحاط بجميع ما خلق فى السماوات العلى وبجميع ما فى سبع أرضين ، وكذلك أبو الحسن الاشعرى ، نقل الاجماع على أن الله تعالى مستو على عرشه " (١)

هذه النصوص الصريحة ، فى الاستواء واجماع السلف على ذلك مما يزيل احتمال المجاز ، والتأويل وعلماء الكلام لو تتبعوا ما ورد فى الفوقية وعلوه على عرشه روا فى نفى صفة الاستواء وصرف نصوصها عن ظاهرها .

الصواعق المرسلة جـ ٢ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

صفـات النزول والمجيء والاتيـــان

قال تعالى :ـ

" هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكـة (١) " وجاء ربك والملك صفا صفا " (٢) قال ابن خزيمه معلقا على هاتين الآيتين :

وهذا يوم القيامة ، إذ انزل الله ليحكم بين العباد وهو قوله :

" ويوم تشقق السماء بالغمام ، ونزل الملائكـة تنزيلا " (٣)

هل ينظرون ، الا أن تأتيهم الملائكـة ، أو يأتى ربك ، أو يأتى بعض آيـــات ربك " (٤) .

وفى حديث ابى هريره رضى اللـه عنه قال : قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول :

من كان يعبد شيئا فليتبعـه ، وساق الحديث الى قوله :

وتبقى هذه الأمـة فيقولون :

هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل فيقول : أنـا ربكم فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه " (٥) .

وفى حديث البخارى :

عن أبى هريرة رضى اللـه عنه : أن الناس : قالوا يارسول الله هل نرى ربنـا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة : البقرة : ٢١٠

(٢) الفجـر : ٢٢

(٣) الفرقان : ٢٥

(٤) سورة الانعام : ١٥٨

(٥) أنظر الاستدلال بالآيات والحديث المذكورة كتاب " الرد على الجهميـة " للامام الحافظ عثمان ابن سعيد الدارمى ص ٣١ ، ٣٥ .

هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال : فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها ، أو منافقوها شك ابراهيم (١) فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون ، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ... حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئا ...) الحديث (٢) .

وفى رواية أخرى للبخارى :

قال فيها :

((... وانما ننتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار ، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه الا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة ... الحديث (٣) .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له (٤)

(١) ابراهيم هو أحد رواه هذا الحديث

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب " التوحيد " باب " وكان عرشه على الماء .

(٣) اخرجه فى صحيحه فى كتاب " التوحيد " باب وكان عرشه على الماء .

(٤) رواه البخارى فى كتاب التوحيد باب قوله تعالى " يريدون أن يبدلوا كلام الله .

قال الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى :

حدثنا عمر بن عون الواسطى ، أنبأ أبو عوانه ، عن أبى اسحاق عن الأغر ابى مسلم قال :ـ

أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ان الله يمهل حتى اذا ذهب ثلث الليل هبط فقال: من تائب فيتاب عليه ، من داع فيستجاب له ، من مستغفر من ذنب من سائل فيعطى " (١)

وعن بن عباس رضى الله عنهما قال :ـ
ان الله يمهل حتى اذا مضى ثلث الليل هبط الى سماء الدنيا ثم قال : هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من سائل يعطى " (٢)

وعن ابى بكر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :ـ

ينزل (٣) ربنا تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس الا مشرك بالله ومشاحن (٤) *

---

(١) الرد على الجهمية ص ٣٢ لأبى عثمان الدارمى .
(٢) نفس المصدر ص ٣٤
(٣) قال الحافظ عبد الغنى : " ومن قال : يخلو العرش عند النزول أولا يخلو فقد أتى بقول مبتدع ، ورأى مخترع ،
عقيدة الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى ضمن المجموعة العلمية السعودية تحقيق الشيخ عبد الله بن حميد مطبعة النهضة الحديثة ـ بمكة المكرمة .
(٤) الرد على الجهميه لابى عثمان الدارمى ص ٣٥

(*) المشاحن : المعادى والشحناء العداوة ... وقال الأوزاعى : أراد بالمشاحن ها هنا صاحب البدعة المفارق لجماعة الأمة " ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثير ج ٢ ص ٤٤٩
دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى .

وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه :

" اذا مضى نصف الليل ، أو ثلثاه ينزل الله الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى ، هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح (١)

وعن أبى مسلم الأغر ، قال :
أشهد على أبى سعيد ، وأبى هريرة أنهما قالا :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" ان الله يمهل حتى اذا كان ثلث الليل هبط الى هذه السماء ثم أمر بأبواب السماء فتفتحت فقال : هل من سائل فأعطيه ، هل من داع فأجيبه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من مضطر اكشف عنه ضره هل من مستغيث أغيثه فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر فى كل ليله من الدنيا " (٢) .

وفى مسند عبد الرزاق من روايه بن عمر قال :

ان الله ينزل الى سماء الدنيا فيباهى بهم* الملائكة يقول هؤلاء عبادى جاؤونى شعثا غبرا يرجون رحمتى ويخافون عذابى ...) الحديث (٣)

وفى صحيح مسلم :

من حديث عائشة رضى الله عنها قالت :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفه ، وانه ليدنو ، ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء " (٤) .

---

(١) عقيدة السلف ، وأصحاب الحديث للامام أبى عثمان الصابونى جـ ١ ص ١١٤ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .
(٢) عقيدة السلف لأبى عثمان الصابونى جـ ١ ص ١١٥ ضمن مجموعة الرسائل المنيريه
(٣) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٩ ص ١١٧ باب فضل يوم عرفه .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١١٦ ، ١١٧ .
(*) يباهى بهم أى بأهل الموقف يوم عرفه .

قال بن قيم الجوزية :

ان نزول الرب تبارك وتعالى الى سماء الدنيا قد تواترت الاخبار به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة وهذا يدل على أنه كان يبلغه فى كل موطن ومجمع فكيف تكون حقيقته محالا ، وباطلا وهو صلى الله عليه وسلم يتكلم بها دائما ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة ولا يقرن باللفظ مايدل على مجازه ، بوجه ما ،

بل يأتى بما يدل على ارادة الحقيقة كقوله :

ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيافيقول :

وعزتى وجلالى لا أسال عن عبادى غيرى .

وقوله : من ذا الذى يسألنى فأعطيه ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له من ذا الذى يدعونى فاستجيب له .

وقوله فيكون كذلك حتى يطلع الفجر ثم يعلو على كرسيه فهذا كله بيان لارادة الحقيقة ومانع من حمله على المجاز (١)

صفات الرضا والغضب والضحك

قال تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) (٢)

" والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه " (٣)

يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا " (٤) .

لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجره (٥) .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٣٨٠

(٢) المائدة : ١١٩

(٣) التوبة : ١٠٠

(٤) طه : ١٠٩

(٥) الفتح : ١٨

رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه " (١)

رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون " (٢)

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " (٣) " فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين " (٤)

" ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر " (٥) " وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى " (٦)

" ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما " (٧) " قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ، وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير " (٨) " ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين ، والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ، وغضب الله عليهم ، ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مسيرا " (٩)

---

(١) البينه : ٨
(٢) المجادلة : ٢٢
(٣) المائدة : ٣
(٤) التوبة : ٩٦
(٥) الزمر : ٧
(٦) النجم : ٢٦
(٧) النساء : ٩٣
(٨) المائدة : ٦٠
(٩) الفتح : ٦

" الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم " (١)

" يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور " (٢) " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم " (٣)

أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ...) الآية (٤) "والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين " (٥)

" والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد " (٦) وما الى ذلك من الآيات القرآنية الدالة على أن البارى سبحانه متصف بصفة الرضا ، والغضب

وفى صحيح البخارى فى حديث الشفاعة الطويل :

" فيأتون آدم عليه السلام ، فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ألا ترى الى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ... الحديث (٧).

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فيقول الله يا ابن آدم أترضى أن أعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول أى رب أتستهزئ بى

---

(١) المجادلة : ١٤
(٢) الممتحنة : ١٣
(٣) النحل : ١٠٦
(٤) طه : ٨٦
(٥) النور : ٩
(٦) الشورى : ١٦
(٧) اخرجه البخارى فى كتاب التفسير فى تفسير سورة الاسراء

وأنت رب العالمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا تسالونى مم ضحكت ؟ فقالوا مم ضحكت يا رسول الله ؟ فقال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ بى وأنت رب العالمين فيقول انى لا استهزئ بك ولكنى على ما أشاء قادر (١) وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة قال يقتل هذا فيلج الجنة ثم يتوب الله على الآخر فيهديه الى الاسلام ثم يجاهد فى سبيل الله فيستشهد " (٢)

وجاء فى رواية للبخارى فى آخر رجل يدخل الجنة ،ما نصه : " فلا يزال يدعو (الرجل) حتى يضحك الله منه ، فاذا ضحك منه قال له أدخل الجنة ... الحديث (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم " فى حديث الانصارى الذى أضاف رجلا وآثره على نفسه ، وأهله ، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم :

لقد ضحك الله الليله أو عجب من فعالكما وأنزل الله تبارك وتعالى : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصه " (٤) .

فى الصحيحين وفى السنن من حديث على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فقلت يا رسول الله من أى شيء تضحك قال ربك يضحك الى عبده

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ٨٢
(٢) أنظر الحديث فى صحيح مسلم باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنه
(٣) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء
(٤) موافقة صريح المعقول ج ٢ ص ٨١

اذا قال رب اغفـرلى ذنوبى انه لا يغفـر الذنوب الا أنت ... الحديث.

وفى حديث ابى رزين عنه صلى الله عليه وسلم قال : ضحك ربنا من قنوط عبـاده وقرب غيره ينظر اليكم أذلين (١) قنطين ، فيظل يضحك ، يعلم أن فرحكم قريب فقال له ابو رزين : أو يضحك الرب ؟ قال نعم ، فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا " (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان اللـــه لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشــه ان رحمتى سبقت غضبى " (٣) .

وفى صحيح البخارى :

عن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتطـــع مال امرئ مسلم بيمين كاذبــة لقى الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ رســول الله صلى الله عليه وسلم مصداقــه من كتاب الله جل ذكره : ان الذين يشتـــرون بعهد الله ، وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاف لهم فى الآخـرة ، ولا يكلمهم اللــه) الآيــة (٤)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم :

ان الله يقول لاهل الجنــة يا أهل الجنــة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فــى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يارب وقد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأى شيئ أفضل من ذلك فيقول أحـل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " (٥)

---

(١) وفى النهايــة : الأزل : الشدة والضيق وقد أزل الرجل يأزل أزلا أى صار فى ضيق وجدب . افادة ابن الاثير فى النهاية ج ١ ص ٤٦

(٢) موافقــة صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ٢ ص ٨١

(٣) اخرجــه البخارى فى كتاب " التوحيد " باب وكان عرشه على الماء .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التوحيـد باب كلام الرب مع أهل الجنــة.

وفى حديث البخارى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من حلف يمينا صبر ليقتطع بها مال أمرىء مسلم لقى الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك : ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخره الى آخر الآية " (١)

---

(١) صحيح البخارى فى تفسير سورة (آل عمران) كتاب التفسير .

صفات الفرح والعجب والمحبة والكراهة :

وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ اذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته " (١)

وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه : " قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلت كلهن مثل ذلك ... فقال من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء فقالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشيء فاذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل فاذا أهوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفيه قال فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " (٢) .

وقرئ قوله تعالى " بل عجبت ويسخرون " بضم التاء فعلى هذه القراءة تكون الآية دليلا على اثبات صفة العجب له تعالى (٣) .

---

(١) موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ٢ ص ٨٠
أنظر الحديث فى صحيح البخارى " كتاب الدعوات " باب التوبه ، وصحيح مسلم " كتاب التوبة " فى باب الحض على التوبة .

(٢) صحيح مسلم باب اكرام الضيف وفضل ايثاره .

(٣) قال فى الكشاف : " وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى انى عجبت منها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتى
تفسير الكشاف جـ ٣ ص ٣٣٧ .

قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) (١) (فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ...) (٢)
(لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين) (٣)
(فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) (٤)
(بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) (٥) (وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (٦) (فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) (٧)

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه :ـ
(أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) (٨)

والنصوص الواردة فى اثبات الصفات الفعلية الاختيارية كثيرة جدا يصعب حصرها (٩)

---

(١) آل عمران : ٣١
(٢) المائدة : ٥٤
(٣) التوبة : ١٠٨
(٤) المائدة : ١٣
(٥) آل عمران : ٧٦
(٦) آل عمران : ١٤٦
(٧) آل عمران : ١٥٩
(٨) اخرجه البخارى فى كتاب الدعوات ، باب من احب لقاء الله أحب الله لقاءه ، واخرجه الامام مسلم أيضا فى صحيحه فى باب من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.
(٩) وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية كثيرا منها فى كتابه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ٢ ص ٧٤ ـ ٩٠

نكتفى منها بهذا القدر خوف الاطالــة ، وننتقل الى بيان ما ورد فى اثبــات الصفات الذاتيــة غير الاختياريــه •

النصوص الواردة فى اثبات الوجه والعين والقدم له تعالى

قال تعالى :ـ

" ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " (١)

وقال : " لا اله الا هو ، كل شيئ هالك الا وجهه " (٢)

وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه " (٣) قال الحافظ ابن خزيمة :

فأثبت الله لنفسه وجها وصفه بالجلال والاكرام وحكم لوجهه بالبقاء ، ونفى الهلاك عنه فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبت الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد المخلوقين ، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين ...) هـ (٤)

وأما الأحاديث الواردة فى اثبات الوجه له تعالى فكثيرة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : " ... وأسألك قرة عين لاتنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك * وأسألك الشوق الى لقائك ... " (٥)

---

(١) الرحمن : ٢٧

(٢) القصص : ٨٨

(٣) الكهف : ٢٨

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمه ص ١٠ ـ ١١ نشر مكتبة الكليات الأزهرية

(*) (والوجه فى اللغة مستقبل كل شيئ لأنه أول ما يواجه منه ، ووجه الرأى والأمر ما يظهر أنه صوابه ، وهو فى كل محل بحسب ما يضاف اليه ، فان أضيف الى زمن كان الوجه زمنا ، وان اضيف الى حيوان كان بحسبه ، وان اضيف الى ثوب أو حائط كان بحسبه ، وان أضيف الى من (ليس كمثله شيئ) كان وجهه تعالى كذلك " مختصر الصواعق المرسله جـ ٢ ص ٣٥١

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٢

(ففى مسألة النبى صلى الله عليه وسلم ربه لذة النظر الى وجهه ابين البيان وأوضح الوضوح أن لله عز وجل وجها يتلذذ بالنظر اليه من من الله عليه، وتفضل بالنظر الى وجهه ... " (١)

وقد فسر غير واحد من السلف قوله تعالى :-

" للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ... " (٢) بالنظر الى وجهه الكريم عز وجل

قال ابن كثير :

وقد روى تفسير الزيادة بالنظر الى وجهه الكريم عن أبى بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الرحمن بن ابى ليلى ، وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد ،وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وعطاء ،والضحاك ، والحسن ، وقتادة ،والسدى ، ومحمد بن اسحاق ، وغيرهم من السلف ، والخلف ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك ما رواه الامام أحمد بسنده ... عن سهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " وقال : " اذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار نادى منادى ، يا أهل الجنة أن لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ، وما هو ، الم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ،ويجرنا من النار ؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه فوالله ماأعطاهم الله شيئا أحب اليهم من النظر اليه ، ولا أقر لأعينهم ، وهكذا رواه مسلم ، وجماعة من الأئمة ، من حديث حماد بن سلمة به " (٣)

وروى ابن جرير بسند متصل عن أبى موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادى ، يا أهل الجنة _ بصوت يسمع

---

(١) توحيد بن خريمة ص ١٣ (٢) يونس : ٢٦

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١٤ ومختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٣٥٣

أولهم وآخرهم ـ (أن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن عز وجل) (١)

وعن جابر بن عبد الله قال : " أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدنا هذا ، وفى يده عرجون ابن طاب (٢) فنظر فرآى نخامة ، فأقبل عليها فنحتها بالمرجون (٣) ثم قال : (أيكم يحب أن يعرض الله عنه بوجهه ؟ ثم قال : ان أحدكم اذا قام يصلى فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه ، ولا عن يمينه ...) الحديث (٤)

وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه " أن رسول الله رآى نخامة فى قبلة المسجد فأقبل على الناس فقال ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه أيحب احدكم أن يستقبل فيتنخع فى وجهه فاذا نخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه ...) الحديث (٥)

وفى سنن أبى داود عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه كان اذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم (٦)

ففرق صلى الله عليه وسلم فى الاستعاذة بين استعاذته بالذات ، وبين استعاذته

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٤

(٢) وابن طاب : رجل من أهل المدينة ينسب اليه نوع من التمر ، أفاده / محمد محى الدين عبد الحميد / فى تعليقه على سنن أبى داود جـ ١ صـ ١٩٠

(٣) والمراجين جمع عرجون وهو عود كباسة النخل سمى بذلك لانعراجه ، وهو انعطافه ، نفس المرجع ص ١٨٨

(٤) اخرجه أبو داود فى سننه جـ ١ ص ١٩٠ فى باب كراهية البزاق فى المسجد بتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد

(٥) صحيح مسلم باب النهى عن البصاق فى المسجد فى الصلاة وغيرها .

(٦) أنظر الحديث فى سنن ابى داود .

بالوجه الكريم ، وفى هذا دليل على أن الوجه ليس بمعنى الذات وان اضافته من اضافة الصفة الى الموصوف بها (١) *

وروى ابن خزيمة عن الحارث الاشعرى أن رسول الله قال : ان الله أوحى الى يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن ، ويأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بهن ، فذكر الحديث بطوله ، وقال فى الحديث فاذا قمتم الى الصلاة فلا تلتفتوا فان الله يقبل بوجهه الى وجه عبده " (٢)

قال الحافظ ابن خزيمة عقب روايته لهذا الحديث :

" ونبينا صلى الله عليه وسلم قد اعلم أمته ما أمر الله عز وجل به يحيى بن زكريا عليه السلام أن يأمر به بنى اسرائيل لتعلم ، وتستيقن أمته أن لله وجها يقبل به على

---

(١) أنظر مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٣٥٤

* ذكر ابن قيم الجوزية فى هذا المقام قاعدة مفيده فقال :
((ان الوجه حيث ورد فانما ورد مضافا الى الذات فى جميع موارده والمضاف الى الرب تعالى نوعان : أعيان قائمة بنفسها كبيت الله وناقة الله وروح الله وعبد الله ورسول الله — فهذا اضافة تشريف وتخصيص ، وهى اضافة مملوك الى مالكه .
" الثانى " صفات لا تقوم بنفسها كعلم الله وحياته وقدرته وعزته وسمعه وبصره ونوره وكلامه فهذه اذا وردت مضافة اليه فهى اضافة صفة الى الموصوف بها ، اذا عرفت ذلك فوجهه الكريم وسمعه وبصره اذا أضيف اليه وجب أن تكون اضافته اضافة وصف لا اضافة خلق وهذه الاضافة تنفى أن يكون الوجه مخلوقا وأن يكون حشوا فى الكلام " مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٢) توحيد ابن خزيمة ص ١٥ ورواه البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات ص ٣٠٤ دار التراث العربى ببيروت — لبنان .

وجه المصلى له ، كما أوحى اليه ، فيما أنزل عليه من الفرقان " فأينما تولوا أى بصلاتكم " فثم وجه الله " (١) ويؤيد ما ذهب اليه الحافظ ابن خزيمة فى معنى هذه الآية ، ماذكره ابن قيم الجوزية حيث قال : انك اذا تأملت الأحاديث الصحيحة وجدتها مفسرة للآية مشتقة منها ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " اذا قام احدكم الى الصلاة ، فانما يستقبل ربه " وقوله " فانه يقبل عليه بوجهه مالم يصرف وجهه عنه " وقوله : " فان الله بينه وبين القبلة " وقوله : " ان الله يأمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتو ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ، مالم يلتفت رواه ابن حيان فى صحيحه والترمذى وقال : " ان العبد اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فلا ينصرف عنه حتى ينصرف أو يحدث حدث سوء " وقال جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : اذا قام العبد يصلى أقبل الله عليه بوجهه فاذا التفت أعرض الله عنه وقال يابن آدم أنا خير ممن تلتفت اليه ، فاذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه ، فاذا التفت أعرض الله عنه " .

وقال عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم : " اذا صلى أحدكم فلا يتنخمن تجاه وجه الرحمن " (٢)

وهكذا رجح ابن قيم ، ان يكون معنى " الوجه " فى الآية الكريمه " فثم وجه الله " بمعنى وجه الرحمن بدليل هذه الاحاديث الصحيحه التى تؤيد هذا المعنى وأما تفسير معنى " الوجه " فى الآية بالقبلة " وان قاله بعض

---

(١) توحيد ابن خزيمة ص ١٦

(٢) مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٣٥٩ .

السلف كمجاهد وتبعه الشافعى فليس بلازم اذ لا يمتنع " أن يراد به وجه الـــرب حقيقة فحمله على غير القبلـــة كنظائره كلها أولى .

وأصح لأمور بينها ابن قيم هناك "١"

وفى حديث البخارى : " أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : جنتـان من فضـــة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ، وما بين القـــوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكـبر على وجهـه فى جنة عدن " (٢) وعـــن أبى موسى رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمـات : " ان الله لاينام ، ولا ينبغى له ان ينام يرفع القسط ، ويخفضه ، يرفع اليـــه عمل الليل بالنهار وعمل النهار بالليل حجابه النور لو كشف لاحرقت سبحات (*) وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه " (٣) .

---

(١) أنظر مختصر الصواعق المرسلـة جـ ٢ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٦

(٢) أخرجـه البخارى فى تفسير سورة " الرحمن " باب قوله ـ ومن دونهمــــا جنتان ، وأخرجـه ابن خزيمـة أيضا فى كتاب التوحيد ص ١٦ وقال البيهقـى فى الاسماء والصفات : " رواه مسلم فى الصحيح عن نصر بن على الجهطمـى

(*) سبحات الله : جلاله وعظمته ، وهى فى الأصل جمع سبحـة وقيل أضــــواء وجهه ، وقيل سبحات الوجه : محاسنه لأنك اذا رأيت الحسن الوجه قلـت : سبحان الله وقيل معناه تنزيه له : أى سبحان وجهـه ".

افاده ابن الاثير فى النهاية جـ ٢ ص ٣٣٢
دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى .

(٣) توحيد ابن خزيمـة ص ١٩ واخرجـه مسلم فى صحيحـه عن ابى موسى الأشعرى قال العلامة بن قيم الجوزيـة :

فاضافـة السبحات التى هى الجـلال والنور ، الى الوجه واضافـة البصـــر اليه ، تبطل كل مجاز ، وتبـين ان المراد وجهـه " مختصر الصواعـــــق المرسله جـ ٢ ص ٣٥٣ .

قال تعالى فى اثبات " العين " له سبحانه

" واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " (١)

" فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ،ووحينا (٢)

" واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا " (٣)

" تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر " (٤)

" وألقيت عليك محبـة منى ولتصنع على عينى " (٥)

قال الحافظ ابن خزيمـة :

" باب ذكر اثبات العين لله جل وعلا على ما أثبته الخالق البارى لنفسه فى محكـم تنزيلـه ، وعلى لسان نبيـه المصطفى صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل لنبيـه نوح صلوات الله عليه " وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا " وقال جل وعلا : " تجرى بأعيننا " وقال عز وجل فى ذكر موسى : " وألقيت عليك محبـة منى ولتصنع على عينى " وقال : وأصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ، فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئـه ما أثبت الخالق البارى لنفسـه من العين ، وغير مؤمن من ينفى عن الله تبارك وتعالى ما قد أثبته فى محكم تنزيله " (٦)

وفى حديث البخارى :

ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لايخفى عليكم ان اللـه ليس بأعور ، وأشار بيده الى عينه ،وان المسيح الدجال اعور العين اليمنى كأن عينـه عنبـة طافيـة . (٧)

---

(١) هود : ٣٧
(٢) المؤمنون : ٢٧
(٣) الطور : ٤٨
(٤) القمر : ١٤
(٥) طه : ٣٩
(٦) توحيد بن خزيمه ص٤٢
(٧) صحيح البخارى باب ما يذكر فى الذات والنعوت وأسامى الله تعالى فى كتـاب التوحيـد .

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

مابعث الله من النبى الا أنذر قومه الأعور الكذاب انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتـوب بين عينيه كافر " (١)

وفى روايـة لابن خزيمة ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ان الله ليس بأعور الا أن المسيح الدجـال أعور عـين اليمنى ، كأنها عنبـة طافيـة . (٢)

---

(١) صحيح البخارى باب ما يذكر فى الذات والنعوت واسامى الله تعالى فى كتاب التوحيد

(٢) توحيد ابن خزيمة ص ٤٣ نشر مكتبـة الكليات الأزهريـة .

وعن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتزال جهنم تقول هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها الى بعض وفى رواية : لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنه فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تحاجت النار والجنة فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لايدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم ، وعجزهم فقال الله للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكم ملؤها فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض .

وروى أبو هريرة أيضا رضى الله عنه :

" ... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض .. " الحديث (١)

وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يلقى فى النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط وفى حديث آخر للبخارى أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تحاجت الجنة والنار

---

(١) الأحاديث المذكورة أخرجها مسلم فى صحيحه فى " باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء " جـ ٢ ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ مطبعة عيسى البابى الحلبى .

فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم (١)؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط (٢) فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله عز وجل ينشىء لها خلقا (٣).

---

(١) وسقطهم بفتحتين . جمع ساقط وهو النازل القدر الذى لا يؤبه له . وسقط المتاع رديئه والمعنى : " أى المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم هذا بالنسبه الى ما عند الأكثر من الناس . وبالنسبه الى ماعند الله هم عظماء رفعاء الدرجات لكنهم بالنسبه الى ماعند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له فى غاية التواضع لله والذله فى عباده فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح المراد بالحصر فى قول الجنة " الا ضعفاء الناس " الأغلب " افادة ابن حجر فى الفتح ج ١ ص ٢١٩

وكذلك أنظر منه ج ١٧ ص ٢١١ مطبعة مصطفى البابى الحلبى.

(٢) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وقوله قط قط أى حسبى حسبى ... وقط بالتخفيف ساكنا ويجوز الكسر بغير اشباع . ووقع فى بعض النسخ عن أبى ذر قطى قطى بالاشباع وقطنى بزيادة نون مشبعة ... وكلها بمعنى يكفى " فتح البارى ج ١٠ ص ٢١٧ مطبعة مصطفى البابى الحلبى.

(٣) الحديثان أخرجهما البخارى فى الصحيح باب قوله ـ وتقول هل من مزيد تفسير سورة " ق " .

وروى ابن خزيمة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ... ويلقى فى النار وتقول هل من مزيد حتى يأتيها تبارك وتعالى فيضع قدمه عليها فتنزوى وتقول قط قط قط " (١)

---

(١) توحيد ابن خزيمه ص ٩٨ وانظر فتح الباري أيضا جـ ١٠ ص ٢١٧ مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

الآيات القرآنية الواردة
فى اثبات صفة " اليد " له تعالى

قال ابن خزيمة :

والبيان أن الله تعالى ، له يدان كما أعلمنا فى محكم تنزيله ، أنه خلق آدم عليه السلام بيديه قال الله عز وجل ، لابليس : " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى " (١) وقال جل وعلا ، تكذيبا لليهود حين قالوا : " يد الله مغلولة " فكذبهم فى مقالتهم : " بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " (٢) وأعلمنا أن الأرض جميعا قبضته يوم القيامه . والسماوات مطويات بيمينه " (٣) و " يد الله فوق أيديهم " (٤) وقال : " سبحان الذى بيده ملكوت كل شيء ، واليه ترجعون " (٥) وقال " وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير " (٦) " أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما " (٧) (*)

وأما ما ورد من الأحاديث فى اثبات صفة اليد له تعالى فقد تقدم ان ذكرنا فى ذلك طائفة من الاحاديث فلا حاجة لذكرها هنا مرة أخرى ، غير أننا نذكر هنا ما كتبه العلامة بن قيم الجوزية ردا على من يزعم ان المراد باليد القدرة أو النعمة مجازا .

---

(١) سورة " ص " : ٧٥

(٢) سورة المائدة : ٦٤

(*) أفادة ابن خزيمه فى كتاب التوحيد ص ٥٣

(٣) سورة الزمر : ٦٧ (٤) الفتح : ١٠

(٥) سورة يس : ٨٣

(٦) سورة آل عمران : ٢٦

(٧) سورة يس : ٧١

قال رحمه الله : وتامل قوله : " ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم " فلما كانوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، ويضرب بيده على أيديهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السفير بينه وبينهم ، كانت مبايعتهم له ، مبايعة لله تعالى ، ولما كان سبحانه فوق سماواته على عرشه وفوق الخلائق كلهم كانت يده فوق أيديهم كما أنه سبحانه فوقهم ، فهل يصح هذا لمن ليس له يد حقيقة ، فكيف يستقيم أن يكون المعنى قدرة الله ، ونعمته فوق قدرهم ، ونعمهم ... وكذلك قوله (فى الحديث) : " ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله الا طيبا ـ الا أخذها الرحمن بيمينه ، وان كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل " فهل يحتمل هذا الكلام غير الحقيقة ، وهب أن اليد تستعمل فى النعمة أفسمعتم أن اليمين والكف يستعملان فى النعمة فى غير الوضع الجديد الذى اخترتموه وحملتم عليه كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك " وبيده الأخرى القسط "(1) هل يصح أن يكون المعنى وبقدرته الأخرى ، وهل يصح فى قوله : " ان المقسطين عن يمين الرحمن " أنهم عن قدرته فى لغة من اللغات(2) .

---

(1) وفى رواية للبخارى : وبيده الأخرى الميزان ، وقال فى الفتح : ووقع فى روايه " همام " وبيده الأخرى الفيض أو القبض كذلك للبخارى بالشك ولمسلم بالقاف الموحدة بلا شك " فتح البارى جـ ١٧ ص ١٦٦

(٢) مختصر الصواعق المرسله جـ ٢ ص ٣٤٩ .

وقال عبد العزيز بن يحيى المالكي الكناني جليس الشافعي في كتابه " الرد على الجهمية والزنادقة " (اذا قال الجهمي) " العرب تسمى اليد نعمة ، قلنا له ، العرب تسمى النعم يدا ، وتسمى يد الانسان يدا ، فاذا ارادت يد الذات جعلت على قولها علما ودليلا يعقل به السامع عنها أنها أرادت يد الذات ، واذا ارادت يد النعمة جعلت على قولها علما ، ودليلا يعقل السامع كلامها أنها تريد باليد " نعمة " ولا تجعل كلامها مشتبها على سامعه (١) *

وهكذا لو تتبعنا ــ جميع النصوص الواردة في غير صفة اليد وجدنا أنها رفعت احتمال المجاز واثبتت له تعالى الصفات اثباتا حقيقيا على ما يليق بجلال الله وعظمته سبحانه .

وبعد أن بينا مذهب المثبتين للصفات الخبرية ننتقل الآن الى بيان مذهب النفاة للصفات الخبرية

*****

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥
من ذلك قول الشاعر : ~~...~~
« تناولت يدا بيدى عطية » فدل ذلك على يد الذات بالمناولة ...»
وقال الآخر فيمن اراد يد النعمة :
« أشكر يديه لنا عليك وأنعما * شكرا يكون مكافئا للمنعم » فدل على يد النعمة بقوله : لنا عليك ثم قال : « وأنعما » والله تعالى لم يسم في كتابه يد نعمة ، ولم يسم نعمة يدا حتى ليعرف سبحانه اليد يدا والنعمة نعمة في جميع القرآن ...»
مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٣٤٥

الباب الرابع

النفاة للصفات الخبرية

ويشمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

* اقسام الصفات الخبرية
* النفاة للصفات الفعلية الاختياريه.
* النفاة للصفات الذاتية اللازمة.

*****

اقسام الصفات الخبرية

نريد بالنفاة هنا ، الجهمية ، والمعتزلة ، ومتأخرى الاشاعرة ذلك أن جميع هذه الفرق مشتركة فى نفى الصفات الخبرية بالمعنى المتبادر من اللفظ ، وتأويل نصوصها ، فجمعناهم فى باب واحد ، وان كان يوجد بينهم خلاف فى بعض ما يثبتونه ، او ينفونه الا أن اسم النفاة يشملهم جميعا من حيث الجملة وقبل الشروع فى بيان موقفهم من الصفات " الخبرية " نبدأ ببيان أقسام هذه الصفات " تقدم بيان انقسام الصفات الالهية الى عدة أقسام ومن بين تلك الأقسام ، الصفات " الخبرية " التى هى موضوع بحثنا ، ونريد أن نبين هنا ان الصفات الخبرية تنقسم فى نفسها الى قسمين :

القسم الأول :

الصفات الفعلية الاختيارية ، وهى الأمور المتعلقة بمشيئة الله تعالى وارادته ، يفعلها متى شاء ، وكيف شاء (١) وذلك مثل النزول والاستواء ، والقبض والطى ، والاتيان والمجيء ، والمحبة والرضا والغضب ، والسخط والكراهة والضحك والعجب والفرح والمقت والأسف (٢) هذه جملة من الصفات الفعلية الاختيارية ، منها ما وصف الله بها نفسه فى كتابه العزيز ووصفه بها رسول الله عليه وسلم فى السنة ، ومنها ما ثبت ورودها فى السنة المطهرة الصحيحة وأجمع على اثباتها سلف الأمة على ما تقدم بيانه وهذا القسم من الصفات يقال له قديم النوع فلم يزل الله فعالا لما يريد ، حادثة الآحاد عند المثبتين (٣)

---

(١) موافقه صريح المعقول ج٢ ص ٢ ـ ٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٦٦ ورسالة التدمرية ص ١١ وكتاب " دعوة التوحيد " للشيخ خليل هراس ص ٢٧٣ وكواشف الجلية ص ٢٥٨ وكتاب السنة للامام احمد بن حنبل ص ٣٧ والأسئلة والاجوبة على العقيدة الواسطيه ص ٥٣

(٢) شرح الرسالة التدمرية ج ٢ ص ١١ والاسئلة والاجوبة الأصوليه ص ٥٢

(٣) أنظر موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ٩١

أما القسم الثانى :

فهو من جملة الصفات الذاتية اللازمة للذات ، كالوجه واليدين ، والقدم والرجل والعين والاصبع واليمين والساق وسنخص كلا من هذين القسمين ، الفعلية والذاتية ببحث مستقل لنبين فى كل قسم ، موقف النفاة وأبدأ بالقسم الأول فأقول :

بيان موقف النفاة من الصفات الفعلية الاختيارية

جميع الفرق من النفاة الجهمية ، والمعتزلة ومتأخرى الأشاعرة كانوا لا يثبتون عامة الصفات الفعلية الاختيارية ، ويشتغلون بتأويل نصوص الكتاب والسنة الواردة فى اثبات هذه الصفات له تعالى ، ومنهم من يفوض علمها الى الله تعالى ، وكان السلف والائمة يثبتون ما يقوم بذاته تعالى من الصفات ، والأفعال مطلقا ، والجهمية من المعتزلة ، وغيرهم ، تنكر ذلك مطلقا وجاء عبد الله بن كلاب فنفى قيام الصفات الاختيارية به تعالى وأثبت له تعالى الصفات الذاتية اللازمة وتبعه فى ذلك أبو الحسن الأشعرى (١) ، وقدماء أصحابه كالباقلانى فكان للناس فى الصفات الاختياريه ثلاث مذاهب بعد أن كان لهم فى ذلك مذهبان فقط .
وقد أنكر على ابن كلاب ، وأتباعه هذا الرأى جماعة من السلف منهم الحافظ ابن خزيمة ، ومعه جمهور أهل السنة فى وقته ، قاموا بمعارضة ابن كلاب ، حينما وافق الجهمية ، والمعتزلة على هذا الرأى .

وكان الامام أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه حين أظهر القول بنفى قيام الصفات الاختياريه (٢)

---

(١) أنظر مقدمة الدكتور على سامى النشار ص ٥٧ على كتاب الشامل للجوينى .
(٢) موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ٥ـ٦ بهامش منهاج السنه النبوية ومنهاج السنة ج ١ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢١١ ـ ٢١٣ ، وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ١٢ ، ٦١ـ٦٢ .

وكان أبو حامد بن ابى طاهر الأسفراينى ، امام الأئمة فى وقته ، يحذر أصحابه من ابى بكر الباقلانى لاجل ذهابه الى القول بنفى الصفات الاختياريه (١) .

وأما جمهور الاشاعرة المتأخرون فانهم أيضا لا يثبتون لله تعالى أفعالا تقوم بذات الرب عز وجل ، الا اضافات (٢) او تعلقات لقدرة بالمقدور او الارادة بالمراد فليس هناك عندهم صفة تقوم بذات الرب يفعلها البارى متى شاء وكيف شاء ، لأن اثبات ذلك يؤدى الى قيام الأعراض التى هى من خصائص الجواهر أو الاجسام به تعالى فيلزم من ذلك ، أن يكون جسما محدثا وبنفس الشبهة أنكروا أن يكون البارى متكلما حسب المشيئة ، والارادة ، فلم يثبتوا الا كلاما نفسيا بلا حرف ولا صوت قديما قائما بالذات ، لأن اثبات الكلام المشتمل على الحروف والأصوات لله تعالى ، المتعلق بالمشيئة قول بقيام الحوادث بذات الرب وهو ممتنع بالادلة العقلية القاطعه فى نظرهم (٣)

كما أن المعتزلة طردا لأصلهم من أن الصفات أعراض فلا تقوم الا بالأجسام ويستحيل أن يكون الله جسما ، منعوا قيام الصفات به تعالى وجعلوا كلامه

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦٠ ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١

(٢) حاشية على شرح العقائد النسفيه للشيخ مولى مصلح الدين مصطفى الكتلى ص ٧٩ والقصيدة النونية مع شرحها للدكتور محمد خليل هراس ج٢ ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ـ ٥٠٠ مطبعة الامام .

(٣) أنظر شرح عقيدة النسفيه ص ٩٢ ـ ٩٥ وانظر موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ١٢ ومنهاج السنة النبويه ج ١ ص ١١٠ ، ١١٣ وأنظر أيضا رسالة فى حروف القران وأصواتنا بـه ، لشيخ الاسلام ابن تيميه ضمن شذرات البلاتين ص ٤٠٠

هو ما يخلقه من حروف وأصوات فى غيره ، فليس هناك عندهم فعل ومفعول ، وخلق ومخلوق ، فصفة الأفعال سواء كانت لازمة غير متعدية كالرضا ، والغضب والنزول او كانت من الأفعال المتعدية ، كالخلق ، والرزق ، والاماتة والاحياء " لاتقوم بذات الرب والمعروف عن "الاشاعره" أن افعال الله تعالى عندهم عبارة عن تعلقات القدرة بالمقدورات دون قيام فعل بذاته تعالى حيث أنهم يثبتون للقدرة تعلقين :

١ـ تعلق صلوحى قديم ، وهو صلاحيتها فى الأزل للايجاد والاعدام .

٢ـ تعلق تنجيزى حادث ، وهو الايجاد والاعدام بالفعل ، فالأول صلاحيتها فى الأزل لايجاد كل ممكن ، فيما لايزال ، أى حين وجوده .

والثانى ابرازها بالفعل للممكنات التى اراد الله وجودها ، فتعلقها فى الأزل أعم لأنها صالحة فى الأزل لايجاد كل ممكن على أى صفة كانت بخلاف تعلقها التنجيزى ، فانه تعلقها بالممكن الذى أراد الله وجوده على صفة كذا ... " (١)

ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث بذات الرب لان التعلقات أمور اعتبارية ، لا وجود لها فلا تقوم بذاته تعالى وفى بيان ذلك يقول شارح "الخريدة البهيه" :

" والايجاد والخلق بمعنى واحد ، وهو تعلق القدرة بوجود المقدور ، فان تعلقت بالحياة سمى احياء ، وبالموت سمى اماتة ، وبالمرزوق سمى رزقا وترزيقا

---

(١) حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين ص ١٩٨ الطبعة الأخيرة مصطفى البابى الحلبى وحاشية الشيخ ابراهيم البيجورى على متن السنوسية ص ١٩ مطبعة دار احياء الكتب العربية ، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٥ ــ المطبعة الاخيره

وهذه التعلقات هي المسماة بصفات الافعال وهي حادثة كما ترى ، لانها عبارة عن التعلق التنجيزي للقدرة ، وهو حادث قطعا ... فان قلت : الخلق والايجاد من صفاته تعالى ، وكيف يتصف تعالى بالحوادث ، قلنا هذه أمور اعتبارية تعرض للقدرة ، لا وجود لها في الاذهان ولا تحقق لها في نفسها وككونه قبل العالم ومعه وبعده ، فلا يلزم قيام الحوادث به تعالى " (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيميه ، في بيان مذهب النفاة للصفات الفعلية الاختياريه :
وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به فان ابن كلاب ، والأشعري ، وغيرهما ينفونها ، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم ، في هذا الباب ، بما هو معروف في كتب أهل العلم ، ونسبوهم الى البدعة ، وبقايا بعض الاعتزال فيهم ، وشاع النزاع في ذلك بين عامة المنتسبين الى السنة من اصحاب أحمد وغيرهم " (٢) . وكان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين ، فأهل السنة والجماعه (*) يثبتون مايقوم بالله من الصفات

(١) شرح الخريدة البهية ، ص ٩٤ ـ ٩٥ مع حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهيه ص ٩٥ وشرح العقيدة النسفيه لسعد الدين التفتازاني ص ٩٨

(٢) موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ١٢

(*) منهم الامام أحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه وعبدالله ابن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وعثمان سعيد ونعيم بن حماد " الخزاعي والبخاري صاحب الصحيح وابي بكر بن خزيمه ، وابي عمر بن عبدالبر ، وأبي عبدالله ابن حامد وأبي اسماعيل الانصاري الملقب بشيخ الاسلام " ومن لا يحصى عددهم الا الله تعالى " أنظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ٥ ، ١٣ و جـ١ ص ١٥٨

وهو أيضا قول طوائف من أهل الكلام من الشيعة والمرجئة والكرامية وغيرهم وقول اساطين الفلاسفة الأولين وفضلائهم المتأخرين "
منهاج السنة المحمديه جـ ١ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ، و جـ ٢ ص ١٣

والأفعال التى يشاؤها ويقدر عليها والجهميه من المعتزلة ، وغيرهم تنكر هذا ، وهذا فأثبت بن كلاب قيام الصفات اللازمة به ، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال ، وغيرها ، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسى ، وأبو الحسن الأشعرى وغيرهما ، وأما الحارث المحاسبى فكان ينتسب الى قول ابن كلاب ، ولهذا أمر أحمد بهجره ، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه ثم قيل عن الحارث انه رجع عن قوله " (١)

وقال ابن قيم الجوزية :

كان ابو محمد عبدالله ابن سعيد بن كلاب ، " من أعظم أهل الاثبات للصفات والفوقية ، وعلو الله على عرشه منكرا لقول الجهميه ، وهو أول من عرف عنه انكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى ، وان القرآن معنى قائم بالذات ... ونصر طريقته أبو العباس القلانسى ، وأبو الحسن الاشعرى ، وخالفه فى بعض الأشياء ، ولكنه على طريقته فى اثبات الصفات والفوقية ، وعلو الله على عرشه ... " (٢) وقال شيخ الاسلام " وهذه المسألة كانت المعتزلة تلقبها بمسألة حلول الحوادث . وكانت المعتزلة تقول : ان الله منزه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود .

ومقصودهم نفى الصفات ونفى الأفعال ، ونفى مباينته للخلق وعلوه على العرش وكانو يعبرون عن مذهب أهل الاثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التى تشعر الناس بفساد المذهب فانهم اذا قالوا ان الله منزه عن الأعراض لم يكن فى ظاهر هذه العبارة ما ينكر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزه عن الاستحالة والفساد

---

(١) موافقة صريح المعقول جـ ٢ ص ٤ — ٥

(٢) اجتماع الجيوش الاسلاميه على غزو المعطلة والجهميه ص ١٣٥ مطبعة الامام .

كالاعراض التى تعرض لبنى آدم من الأمراض والاسقام ولا ريب أن الله منزه عن ذلك ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك من الصفات التى يسمونها هم أعراضا وكذلك اذا قالوا ان الله منزه عن الحدود والأحياز " والجهات أوهموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم أنه ليس مباينا للخلق ولا منفصلا عنه ، ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ..... واذا قالوا أنه ليس بجسم أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ولا يقوم به صفة ، ولا هو مباين للخلق وأمثال ذلك واذا قالوا لا تحله الحوادث أوهموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلا للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التى تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم وهذا معنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختيارى يقوم بنفسه ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته وأنه لا يقدر على استواء او نزول أو اتيان او مجيء وأن المخلوقات التى خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلا ، بل عين المخلوقات هى الفعل ، ليس هناك فعل ، ومفعول وخلق ومخلوق بل المخلوق عين الخلق والمفعول عين الفعل ، ونحو ذلك " (١) *

(١) موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص ٦ ـ ٨ .

(*) والمشهور عن جمهور الاشاعره المتأخرين أنهم لا يقولون المخلوق عين الخلق والمفعول عين الفعل وانما يقولون أن تعلق القدره بالمقدور ايجادا او اعداما او نحو ذلك هو عبارة عن الفعل وهذا التعلق حادث وان كانوا ينفون قيام الصفات الفعليـة بذاته تعالى كما تقدم البيان .

وما ذكره شيخ الاسلام هنا من كون المخلوق عين الخلق ، والمفعول عين الفعل هو مذهب الجهميـة والمعتزلـه وقدماء الاشاعره .

والله أعلم .

وقال أيضا اعنى شيخ الاسلام ابن تيميـــه :

فان بعض من يعظمهم وينفى قيام الأفعال الاختباريـــة به تعالى ـ كالقاضى ابى بكر ومن اتبعه ، وابن عقيل ، والقاضى عياض ، وغيرهم يحمل كلامهم علـــى أن مرادهم بقولهم :

" يفعل ما يشاء " انه يحدث شيئا منفصلا عنه من دون أن يقوم به هو فعـــل أصلا وهذا اوجبـــه أصلان لهم :

أحدهما : أن الفعل عندهم هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، فهم يقرون ـ أفعاله المتعدية مثل قوله تعالى : " خلق السماوات والأرض " (١) وأمثاله : ان ذلك وجد بقدرته من غير أن يكون فعل قام بذاته ، بل حالـــه قبل أن يخلق وبعـــد ما خلق سواء لم يتجدد عندهم الا اضافـــة ونسبـــة وهى أمر عدمى لا وجودى " (٢)

" والناس فى هذا الباب ثلاثـــة أقسام الجهميـــة المحضـــة من المعتزلـــــه ، ومن وافقهم يجعلون هذا كله مخلوقا منفصلا عن الله تعالى ، والكلابية ، ومـــن وافقهم يثبتون ما يثبتون من ذلك اما قديما بعينه لازما لذات اللـــــه واما مخلوقا منفصلا عنه وجمهور اهل الحديث ، وطوائف من اهل الكلام يقولـــون بل هناك قسم ثالث قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته كما دلت عليـــــه النصوص الكثيرة " (٣)

---

(١) ابراهيم : ١٩

(٢) شرح حديث النزول ص ٤٢ منشورات المكتب الاسلامى .

(٣) موافقه صريح المعقول جـ ٢ ص ٩١ .

القسم الثاني
من الصفات الخبرية

بعد بيان مذهب النفاة للصفات الفعلية الاختيارية نبين فيما يلي موقفهم من القسم الثاني للصفات الخبرية ، وهو الصفات الذاتية اللازمة له تعالى وذلك كالوجه ، واليدين والعين والاصبع ، والقدم والرجل (١) واليمين والساق ونحو ذلك (٢) مما هو مذكور في الكتاب والسنة ولم يختلف في اثباتها له تعالى سلف الامة ، وقد اتفقت جميع الفرق المذكورة ، باستثناء قدماء الكلابية ، والأشاعرة ، على عدم اثبات هذه الصفات بالمعنى المتبادر من ظواهر النصوص كما هو الحال في الصفات الاختيارية المتقدمة ، فيجب عندهم تأويل أو تفويض أي نص من الكتاب والسنة يثبت لله هذا النوع من الصفات ، لأن اثبات هذه الصفات يستدعي كونه تعالى جسما ، فاثبات اليد ، والوجه والقدم يقتضي أن يكون الله تعالى ذا جوارح ، وأجزاء ، او ذا تركيب وتبعيض مما هو من خواص الأجسام المنفيه عن الله تعالى ، بالدليل العقلي ، وبناء على هذا أولوا " اليد " في قوله تعالى "بل يداه مبسوطتان " بالقدرة أو بالنعمة ، و (العين) في قوله تعالى :-

" تجري بأعيننا " بالعلم ، كما اولوا الوجه في قوله تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " بالذات ، وقد أول بعض المتكلمين كلمة " الجبار " الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم : " حتى يضع الجبار فيها قدمه ... " الحديث

---

(١) شرح الرسالة التدمرية ص ١١ والكواشف الجليه ص ٢٥٨

(٢) وذلك كصفة (الكف) والعلو أي علو الذات والرتبة.

بمعان لايحتملها السياق ، وذلك قرارا من اثبات " القدم " له تعالى ، ومن تلك التأويلات البعيدة ما قاله أبو المعالى الجوينى فى تأويله لكلمة " الجبار " الواردة فى هذا الحديث : (ان المراد بالجبار : المتجبر العاتى (*) على الله ، المتولى بركنه ، فاذا استوفت النار الجبار واشتملت على مستوجب العذاب ، فتفعم عند ذلك وتقول قط قط ، وهو المعنى بقوله تعالى : " يوم تقول لجهنم هل امتلأت ، وتقول هل من مزيد " (١) وقال القاضى عبد الجبار المعتزلى فى تأويله لليمين فى قوله تعالى : " والسموات مطويات بيمينه " قال ما نصه : وجوابنا أن اليمين بمعنى " القوة " (٢)

قال الامام أحمد بن حنبل : فى بيان مذهب " الجهم " فى الصفات: وزعم (يعنى جهما) أن من وصف من الله شيئا ، مما وصف به نفسه فى كتابه أو حدث عنه رسوله ، كان كافرا ، وكان من المشبهة ،فأضل بكلامه بشرا كثيرا ، واتبعه على قوله رجال من أصحاب أبى حنيفة وأصحاب عمر بن عبيد بالبصرة ... (ويدعى ان الله تعالى فى كل مكان)

" وهو تحت الأرض السابعة ، كما هو على العرش ، ولا يخلو منه مكان ولايكون فى مكان ، دون مكان ، ولم يتكلم ، ولا يتكلم ، ولاينظر اليه أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولا يعرف بصفة ولا يفعل ، ولا له غاية ولامنتهى

---

(١) الشامل للجوينى ص ٥٦٢

(٢) شرح الاصول الخمسة لقاضى عبدالجبار ص ٢٢٩

(*) العاتى المجاوز للحد فى الاستكبار والعاتى الجبار أيضا " أفاده فى مختار الصحاح .

ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله وهو علم كله ، وهو سمع كله ، وهو بصر كله ، وهو نور كله وهو قدرة كله ، ولا يكون فيه شيئان ، ولا يوصف بوصفين مختلفين وليس له أعلى ، ولا أسفل ، ولا نواحى ، ولا جوانب ولا يمين، ولا شمال ولا هو ثقيل ، ولا خفيف ولا له نور * ولا له جسم ، وليس هو معقولا وكلما خطر على قلبك أنه شيئ تعرفه فهو على خلافه ... قالوا لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون الا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية ، فاذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يشعر أنهم لايقولون قولهم الا فريه فى الله " (١) .

والمعروف من الجهمية انهم كانوا أشد الناس تعطيلا فلا يثبتون له تعالى شيئا من الاسماء والصفات بما فى ذلك هذا القسم الذى نحن بصدده الآن وفى بيان ذلك يقول ابن قيم الجوزية فى قصيدته النونية :

جهم بن صنوان وشيعته الألى * جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السماوات العلى * والعرش أخلوه من الرحمن

ونفوا كلام الرب جل جلاله * وقضوا له بالخلق والحدثان

قالوا وليس لربنا سمع ولا بصر * ولا وجه فكيف يدان (٢)

قال شارح القصيدة : وخلاصة مذهب الجهم فى هذا أنه لا يجوز أن يوصف الله عز وجل بصفه يوصف بها خلقه ، لأن ذلك يقتضى فى زعمه

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ابن حنبل ص ٣ ـ ٤

(٢) قصيدة النونيه بشرح الدكتور محمد خليل هراس ج ١ ص ٢٠ ـ ٢٢

(*) وفى نسخة ولا له لون .

تشبيها ، فنفى كونه حيا عالما مريدا . الخ .

ولكنه أثبت كونه قادرا فاعلا خالقا ، لأن المخلوق عنده لا يوصف بهذه الأشياء " (١)

وذكر ابن قيم الجوزيه : أن توحيد الجهمية مشتق من توحيد الفلاسفة " وهو نفى صفات الرب كعلمه ، وكلامه ، وسمعه وبصره وحياته وعلوه على عرشه ، ونفى وجهه ويديه وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته " (٢)

قال ابو الحسن الأشعرى : " ويحكى عنه أى عن " الجهم " انه كان يقول : لا أقول ان الله سبحانه ـ شيء ، لأن ذلك تشبيه له بالأشياء ، (٣) وقال أيضا :

واجمعت المعتزلة بأسرها على انكار العين ، واليد ، وافترقوا فى ذلك على مقالتين :

١ـ فمنهم من أنكر أن يقال : لله يدان ، وأنكر أن يقال انه ذو عين ، وان له عينين .

٢ـ ومنهم من زعم أن لله يدا ، وأن له يدين وذهب فى معنى ذلك الى أن اليد نعمة ، وذهب فى معنى العين الى أنه اراد العلم ، وأنه عالم ، وتأول قول الله عز وجل :

---

(١) قصيدة النونيه مع شرحها للدكتور / محمد خليل هراس جـ ١ ص ٢٠ ـ ٢٢ وكذلك " الملل والنحل " للشهرستانى جـ ١ ص ٨٦

(٢) مختصر الصواعق المرسله جـ ١ ص ١٠٩

(٣) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٣٣٨

" ولتصنع على عينى أى بعلمى " (١) " واختلفوا فى العين واليـــد والوجـه على اربعة مقالات •

١ـ فقالت المجسمـة : له يدان ورجـلان ووجـه وعينان وجنب يذهبـون الى الجوارح ، والأعضـاء •

٢ـ وقال أصحاب الحديث : لسنا نقول فى ذلك الا ما قاله الله عز وجـل أو جاءت به الروايـة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول : وجه بلا كيـف، ويدان وعينان بلا كيف •

٣ـ وقال عبدالله بن كلاب " : أطلق اليد والعين ، والوجه خبرا لأن اللـه أطلق ذلك ولا أطلق غيره فأقول : هى صفات الله عز وجل كما قال فى العلـم، والقدرة ، والحياة أنها صفات •

٤ـ " وقالت المعتزلـة " : بانكار ذلك الا الوجـه ، وتأولت اليد بمعنـى النعمة ، وقوله تعالى " تجرى بأعيننا " أى بعلمنا ••• واما الوجه فان المعتزلـة قالت فيه قولين :

١ـ قال بعضهم ـ وهو أبو الهذيل :ـ وجه الله هو الله :

٢ـ وقال غيره : معنى قوله : ويبقى وجه ربك "

ويبقى ربك من غير ان يكون يثبت وجها ، يقال انه هو الله ولا يقال ذلك فيه" (٢)

---

(١) مقالات الاسلاميـين واختلاف المصلين جـ ١ ص ٢٧١

(٢) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٩٠ •

الفصل الثاني

الموازنة بين مذهب الأشعري ، والاشاعرة

ويشتمل على مبحثين :

* بيان مذهب امام ابى الحسن الأشعرى وقدماء أصحابه
* بيان مذهب الجمهور فى الصفات الخبرية.

*****

الصفات الخبرية بين الأشعري والأشاعرة

مقصودنا بهذه الموازنة بين موقف الامام أبى الحسن الأشعرى وموقف الاشاعرة ، لكى نعرف ، أكان بينهم وفاق أم خلاف فى الصفات الخبرية اثباتا ونفيا • وللاطلاع على موقف كل منهما لابد لنا من ايراد مذهب الجميع مفصلا ، فنبدأ ببيان مذهب أئمة الأشاعرة القدماء •

ثبت عن أئمة الاشاعرة القدماء ، مثل أبى الحسن الطبرى ، وابى عبدالله ابن المجاهد الباهلى ، والقاضى ابى بكر الباقلانى أنهم كانوا متفقين على اثبات الصفات الخبرية (١)

قال أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى فى كتابه " التمهيد " :

فان قال قائل : " فما الحجة فى أن لله عز وجل وجها ، ويدين ، قيل له : قوله تعالى :

" ويبقى وجه ربك ذو الجلال ، والاكرام " •

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية جـ١ ص ٢٧٢ ، واجتماع الجيوش الاسلامية على غزوى لمعطلة والجهميه ص ٩٣٧ وبيان تلبيس الجهميه ص ٢٣ •

وقوله : " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى "

فأثبت لنفسه وجها ، ويدين .

فان قالوا فما أنكرتم أن يكون المعنى فى قوله تعالى : " خلقت بيدى " أنه خلقه بقدرته ، أو بنعمته لأن اليد فى اللغة قد تكون بمعنى النعمة ، وبمعنى القدرة ، كما يقال : لى عند فلان يد بيضاء " يراد (به) نعمة ، وكما يقال هذا الشيء فى يد فلان وتحت يد فلان ، يراد به أنه تحت قدرته وفى ملكه ، ويقال : رجل أيد اذا كان قادرا وكما قال الله تعالى : " خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما " يريد عملنا بقدرتنا ، قال الشاعر :

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

فكذا قوله : " خلقت بيدى " يعنى بقدرتى أو نعمتى ، يقال لهم : هذا باطل ، لأن قوله تعالى : " بيدى يقتضى اثبات يدين ، هما صفة له تعالى فلو كان المراد بهما ، القدرة لوجب أن يكون له قدرتان ، وأنتم فلا تزعمون أن للبارى سبحانه قدرة واحدة فكيف يجوز ان تثبتوا له قدرتين ، وقد أجمع المسلمون من مثبتى الصفات ، والنافين لها ، على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان فبطل ما قلتم ، وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين لأ ن نعم الله تعالى على آدم ، وعلى غيره لاتحصى ... ويدل على فساد تأويلهم أيضا أنه لو كان الأمر على ما قالوه لم يغفل عن ذلك ابليس وعن أن يقول : " وأى فضل لآدم علىّ يقتضى ان أسجد له ، وأنا أيضا بيدك خلقتنى التى هى قدرتك ، وبنعمتك خلقتنى ، وفى العلم بأن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه دليل على فساد ماقالوا "(١)

(١) التمهيد للباقلانى ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ نشر جامعة الحكمة فى بغداد المكتبة الشرقية ببيروت سنة ١٩٥٧م.

وذكر الباقلانى فى كتابه " الابانة " صفة الوجه ، واليدين والعينين ، واتيتها كما ذكر فى التمهيد ، ثم قال :

فان قال قائل فهل تقولون انه فى كل مكان ؟ قيل له معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه ، كما أخبر فى كتابه ثم ذكر الادلة على ذلك نقلا وعقلا .... " (١)

وبالنسبة لأبى الحسن الاشعرى ، فقد تواترت الأخبار عن أهل العلم باثباته للصفات الخبرية ، وممن نقل عنه ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، فى كثير من مؤلفاته ، وهو يصرح بأنه ليس له قولان فى المسألة ، الا الاثبات فقط ، كما سيأتى ، وكذلك نقل الاثبات عنه الحافظ الذهبى فى كتابه " العلو للعلى الغفار " (٢) والعلامة ابن قيم الجوزية ، فى كتابه " اجتماع الجيوش الاسلامية " (٣) وكثير غيرهم ، من علماء الاشاعرة ، والحنابلة ، ذكروا أنه كان مثبتا للصفات ، لا مؤولا ، وذلك اتباعا لما ورد فى الكتاب والسنة واقتداء لسلف هذه الأمة .

ونحن ننقل هنا نصوصا اطلعنا عليها فى كتابه " الابانة " و " مقالات الاسلاميين " ونصوصا أخرى نقلها الأئمة الينا من نفس مؤلفات أبى الحسن

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلاميه على غزو المعطلة والجهميه ص ١٤٧ مطبعة الامام.
(٢) ذكر ذلك فى ص ١٥٩ ــ ١٦٣
(٣) وذلك فى ص ١٣٧ ــ ١٤٦ .

الأشعرى التى تنص على ذلك .

والجدير بالذكر أن الامام أبا الحسن الأشعرى أثبت الصفات الخبرية فى غير واحد من مؤلفاته ، " كالابانة " و " الموجز " و " جمل المقالات " و " مقالات الاسلاميين " و " رسالة أهل الثغر " (١)

واليك نصوصا من كتابه " جمل المقالات " نقلها الينا ابن قيم الجوزية ، فقال : قال ابو الحسن الأشعرى " .... جملة ما عليه أهل الحديث والسنه الاقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يردون من ذلك شيئا الى أن قال : وان الله على عرشه ، كما قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى " (٢) وأن الله له يدان بلا كيف كما قال تعالى : " لما خلقت بيدى " (٣) وقال تعالى : - " بل يداه مبسوطتان " (٤) وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى " تجرى بأعيننا " (٥) وأن له وجها كما قال تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " (٦) ... وأنه يجيئ يوم القيامة هو وملائكته كما قال تعالى : " وجاء ربك والملك صفا صفا " (٧) وأنه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء فى الحديث ولم يقولوا شيئا الا ما وجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقالت المعتزلة فى قول الله عز وجل : " الرحمن على العرش استوى "

---

(١) أنظر مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٣٤٦ وكتاب " الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل " للاستاذ جلينـد ص ١١٠ - ١١١

(٢) طه : ٥

(٣) ص : ٧٥

(٤) المائدة : ٦٤

(٥) القمر : ١٤

(٦) الرحمن : ٢٧

(٧) الفجر : ٢٢

يعنى استولى ، قال وتأولت اليد بمعنى النعمة وقوله تجرى بأعيننا أى بعلمنا

ثم قال ابن قيم : فالأشعرى انما حكى تأويل الاستواء ، بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية ، وصرح بخلافه ، وأنه خلاف أهل السنة وكذلك قال محى السنة الحسين بن مسعود البغوى فى تفسيره تابعا لأبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى (١).

وقال أبو الحسن الأشعرى فى كتابه " مقالات الاسلاميين " ـ وهو يحكى مذهب أصحاب الحديث وأهل السنة " ... وان الله ـ سبحانه ـ على عرشه كما قال : " الرحمن على العرش استوى " وأن له يدين بلا كيف كما قال : " خلقت بيدى " وكما قال : " بل يداه مبسوطتان " وأن له عينين بلا كيف كما قال : " تجرى بأعيننا " وأن له وجها كما قال : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " (٢) .

وقال أيضا : ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله سبحانه ـ ينزل الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟ ...... ويقرون أن الله سبحانه ، يجيء يوم القيامة كما قال : " وجاء ربك والملك صفا صفا ، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء " كما قال : " ونحن أقرب اليه من حبل الوريد " .. (٣)

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزوى المعطلة والجهمية ص ١٤٥ ـ ١٤٦

(٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ج ١ ص ٣٤٥

(٣) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ وأنظر أيضا من نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٥

الى ان قال : وبكل ما ذكرنا من قولهم (يعنى أهل السنة) نقول واليه نذهب، وما توفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل واليه المصير " (١)

وقال فى كتابه (الابانة) :

ودفعوا أن يكون لله وجه ، مع قوله عز وجل : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام »، وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله : لما خلقت بيدى " وأنكروا أن يكون له عين مع قوله : " تجرى بأعيننا " ولقوله : " ولتصنع على عينى ••• ونفوا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أن الله عز وجل ، ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ••• الى أن قال : فان قال لنا قائل قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية ، والجهمية ، والحرورية والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذى به تقولون : وديانتكم التى بها تدينون قيل له :ـ

قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة ، والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين •••• وجملة قولنا أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه

---

(١) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ وأنظر أيضا من نفس المصدر جـ ١ ص ٢٨٥ •

الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نرد من ذلك شيئا ، وان الله عز وجل اله واحد ... وأن الله استوى على عرشه ، كما قال : " الرحمن على العرش استوى " وان له وجها ، كما قال : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " وان له يدين بلا كيف كما قال : " خلقت بيدى " وكما قال : " بل يداه مبسوطتان " وأن له عينا بلا كيف كما قال : " تجرى بأعيننا " ... الى ان قال : وندين بأنه يقلب القلوب ، وان القلوب بين اصبعين من أصابع الله عز وجل ، وأنه عز وجل يضع السماوات على اصبع ، والأرض على اصبع ، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ونصدق بجميع الروايات التى يثبتها أهل النقل من النزول الى سماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ؟ هل من مستغفر ... ونقول ان الله عز وجل يجيىء يوم القيامة ، كما قال : " وجاء ربك ، والملك صفا صفا ، وان الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال : " ونحن اقرب اليه من حبل الوريد " وكما قال : " ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى " (١)

وكتاب " الابانة " أشهر كتاب يعتمد عليه كثير من المحققين فى بيان معتقد أبى الحسن الأشعرى الذى استقر عليه أخيرا ، قال الحافظ أبو القاسم على بن حسين بن عساكر الدمشقى ، وهو يدافع عن الامام أبى الحسن الأشعرى ويبين أنه كان على عقيدة اهل السنة فى اثبات الصفات قال ما نصه :

---

(١) الابانة لأبى الحسن الاشعرى ص ٨ — ٩ — ١٠ — ١١ بتحقيق وتعليق ادارة الطباعة المنيرية .

: فاذا كان أبو الحسن .... مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم ، والانتقاد ، يوافقه فى أكثر ما يذهب اليه أكابر العباد ، ولا يقدح فى معتقده غير أهل الجهل والعناد ، فلابد أن نحكى عنه معتقده على وجهه بالأمانه ، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه ، تركا للخيانة ليعلم حقيقة حاله فى صحة عقيدته فى أصول الديانة ، فاسمع ما ذكره فى أول كتابه الذى سماه بالـ(الابانة) (١) ثم ذكر جميع ما تقدم من نصوص الابانة فى الصفات ، وزيادة الى أن قال : فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه ، وأبينه واعترفوا بفضل هذا الامام العالم الذى شرحه ، وبينه " (٢)

ثم نقل ابن عساكر ، مرثية رثى بها أحد الشعراء أبا الحسن الأشعرى جاء فيها ما يلى :ـ

وليس ينفى صفة * له كنفى المنكر

الى أن قال

ويثبت استواءه * كما أتى فى السور

ويثبت النزول لا * كهابط منحدر

من غير تشبيه كما * يثبت أهل الأثر (٣)

---

(١) تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الاشعرى ص ١٥٢ ـ مطبعة التوفيق دمشق سنة ١٣٤٧.

(٢) تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الأشعرى ص ١٦٣

(٣) تبيين كذب المفترى ص ١٧٥ ـ ١٧٦

وقال ابن عساكر أيضا :

قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه فى كتاب العمد " وألفنا كتابا كبيرا فى الصفات تكلمنا على أصناف المعتزلة والجهمية والمخالفين لنا فيها فى نفيهم علم الله .... وفى فنون كثيرة من فنون الصفات فى اثبات الوجه لله واليدين وفى استوائه على العرش " (١)

وحكى الحافظ الذهبى :

كان أبو الحسن أولا معتزليا أخذ عن أبى على الجبائى ثم نابذه ورد عليه وصار متكلما للسنة ، ووافق أئمة الحديث فى جمهور ما يقولونه ... فلو انتهى أصحابنا المتكلمون الى مقالة أبى الحسن هذه ولزموها لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل فى الأشياء ومشوا خلف المنطق ، فلا قوة الا بالله " (٢)

قال الأستاذ ابو قاسم القشيرى رحمه الله وما نقموا من أبى الحسن الأشعرى الا أنه قال باثبات القدر واثبات صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وحياته ، وسمعه وبصره ووجهه ويده ، وأن القرآن كلامه غير مخلوق " (٣) .

قال صاحب شرح " مطالع الأنظار " :

" البحث الرابع فى صفات أخرى أثبتها الشيخ أبو الحسن الأشعرى ، الظاهريون

---

(١) تبين كذب المفترى ص ١٢٩ مطبعة التوفيق دمشق عام ١٣٤٧ هـ
(٢) العلو للعلى الغفار ص ١٦٣
(٣) العلو للعلى الغفار ص ١٦١

من المتكلمين زعموا أنه لاصفة لله تعالى وراء السبعة ،الحياة والعلم ، والقدرة ، والارادة والسمع والبصر ، والكلام ، أو الثمانية ، وهى هذه السبعة مع البقـــاء والشيخ أبو الحسن الاشعرى أثبت صفات أخرى ، أثبت الاستواء صفة أخـــرى واليد صفة وراء القدرة ،والوجـه صفة وراء الوجود والعين صفة أخرى للظواهـــر الواردة لذكرها كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى يد اللــــه فوق أيديهم ، وقوله ويبقى وجـه ربك وقوله تعالى " ولتصنع على عينى " (١)

وقد ألف الشيخ " حماد بن محمد الأنصارى " رسالة (٢) اثبت فيهـــا رجوع أبى الحسن الاشعرى الى مذهب أهل السنة من اثبات الصفات واستقر رأيـه على ذلك أخيرا وذكر فى ذلك كثيرا من أقوال الأئمة ، ولم يذكر عن واحد منهـــم أن ابا الحسن الاشعرى أول شيئا من الصفات بعد رجوعه عن مذهب المعتزلـــة الى مذهب أهل السنة .

وكلام أهل العلم فى أن ابا الحسن الاشعرى كان مثبتا للصفات كثير جـــدا وفيما ذكرناه كفايـــة فى افادة المقصود ، لان من قرأ النصوص المتقدمة المنقولـــة

---

(١) مطالع الانتظار شرح طابع الأنوار لأبى الثناء شمس الدين ابن محمـــود ابن عبدالرحمن الاصفهانى ص ٣٧٨ ـ٣٧٩.

(٢) طبعت الرسالة الطبعة الثالثة بتاريخ ٢٤/١١/١٣٩٠هـ مؤسسة النـــور للطباعة والتجليد والرسالـــة صغيرة الحجم عنوانها " أبو الحسن الأشعرى "

من مؤلفات الامام أبي الحسن الأشعري من ناحية ، واطلع من ناحية أخرى على أقوال الائمة الذين ينصون على أن الامام أبا الحسن الأشعري كان مثبتا للصفات الخبرية ، خرج بنتيجة محققة تجعل القارئ لا يشك في كون أبي الحسن الاشعري مثبتا للصفات الخبرية ، وغيرها *

وهنا سؤال يتطلب الاجابة عنه وهو ؟ :

هل كان لأبي الحسن الاشعري قولان في المسألة ، أو لا ؟ ، ذهب أبو العباس ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية الى القول ، بأن أبا الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبري وأبي عبد الله بن مجاهد الباهلي ، والقاضي أبي بكر ، متفقون على اثبات الصفات الخبرية ، التي ذكرت في القرآن ، كالاستواء

---

* والجدير بالتنبيه أن أبا الحسن الاشعري وقدماء اصحابه يثبتون الصفات الخبريه له تعالى حقيقة دون ارادة المجاز ، كما صرح بذلك أبو الحسن الأشعري في كتابه " الابانة " حيث قال رحمه الله :

فان قال قائل ما أنكرتم أن يكون قوله : " مما عملت أيدينا " وقوله : " لما خلقت بيدي " على المجاز .

قيل له ، حكم كلام الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته ، ولا يخرج الشيء عن ظاهره الى المجاز الا لحجة .. " الابانه ص ٣٩

قال ابن قيم الجوزية : ان ابطال حقيقة اليد ، ونفيها وجعلها مجازا هو في الاصل قول الجهمية ، المعطلة ، ويتبعهم عليه المعتزلة ، وبعض المتأخرين ممن ينسب الى الاشعري والاشعري وقدماء أصحابه يردون على هؤلاء ويبدعونهم ويثبتون اليد حقيقته ، مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٣٤٤ .

والوجه واليد وابطال تأويلهما ليس له فى ذلك قولان أصلا ، ولم يذكر أحد عن الأشعرى فى ذلك قولين أصلا بل جميع من يحكى المقالات من أتباعه وغيرهم يذكرون أن ذلك قوله ، ولكن لاتباعه فى ذلك قولان " (١) اهـ

وبعض الأشاعرة يحكون عن الأشعرى قولين فى الصفات الخبرية الاثبات والتأويل ، ومنهم الشهرستانى حيث قال رحمه الله :

وأثبت (يعنى الأشعرى) أن السمع ، والبصر للبارى تعالى صفتان أزليتان ... وأثبت اليدين ، والوجه صفات خبرية فيقول : ورد بذلك السمع ، فيجب الاقرار به كما ورد ... وله قول أيضا فى جواز التأويل " (٢) وممن ذكر القولين للأشعرى صاحب المواقف فانه قال فى الاستواء : وذهب الشيخ فى أحد قوليه الى أنه أى الاستواء صفة زائدة ليست عائدة الى الصفات السابقة وان لم تعلمها بعينها " .

وفى الوجه قال صاحب المواقف : " ... اثبته الشيخ فى أحد قوليه ، وأبو اسحاق الاسفراينى ، والسلف صفة ثبوتية زائدة على ما مر من الصفات ، وقال فى " العين " : تارة أنه صفة زائدة على سائر الصفات ، وتارة أخرى أنه بصر " (٣) .

---

(١) موافقه صريح المعقول جـ ٢ ص ١١ ـ ١٢ ومنهاج السنه جـ ١ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣

(٢) الملل و النحل جـ ١ ص ١٠١ تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل نشر مؤسسة الحلبى وشركاه

(٣) شرح المواقف للسيد الشريف الجرجانى جـ ٣ ص ٩١ ـ ٩٢

واعتمادا على ما حكاه الشهرستانى ، وصاحب المواقف من نسبة جواز التأويل للأشعرى ، ذهب الدكتور / عبدالعزيز سيف النصر ، الى القول بأن شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية أخطأ فيما ذهبا اليه من نفى المذهب الثانى للاشعرى حيث قال : وبهذا (*) يظهر خطأ ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية فى قولهما : " انه ليس للاشعرى فى ذلك قولان أصلا " (١)

قلت : ولعل الذى حمل الدكتور / عبدالعزيز / الى نسبة الخطأ الى الشيخين ابن تيمية وابن قيم عدم اطلاعه على ما بينه شيخ الاسلام ، فى كتابه " منهاج السنة النبوية " من نصوص توضح مقصوده أكثر ، حيث قال فى ذلك الكتاب: ثم المثبتون للصفات ، منهم من يثبت الصفات المعلومة بالسمع ، كما يثبت الصفات المعلومة بالعقل ، وهذا قول اهل السنة الخاصة أهل الحديث ، ومن موافقهم ، وهو قول أئمة الفقهاء ، وقول أئمة الكلام ، من أهل الاثبات ، كابى محمد بن كلاب ، وابى العباس القلانسى وأبى الحسن الأشعرى ، وأبى عبدالله بن مجاهد ، وأبى الحسن الطبرى ، والقاضى أبى بكر الباقلانى ، ولم يختلف فى ذلك قول الاشعرى ، وقدماء أئمة أصحابه ... فهؤلاء ، يقولون ، تأويلها بما يقتضى نفيها ، تأويل باطل ، فلا يكتفون بالتفويض ، بل يبطلون تأويلات النفاة ، وقد ذكر الاشعرى ذلك ، فى عامة كتبه ، كالموجز والمقالات الكبيرة ، والمقالات الصغيرة ، والابانة ، وغير ذلك ، ولم يختلف فى ذلك كلامه ، لكن طائفة ممن توافقه ،

---

(١) رسالة : " العقيدة الاسلامية بين التأويل والتفويض " للدكتور / عبدالعزيز سيف النصر جـ ٥ ص ٤٣٨ مخطوطة.

(*) أى بما ذكره الشهرستانى ، وصاحب المواقف.

وممن تخالفه ،يحكون له قولا آخر ، او تقول أظهر غير ما أبطن ، وكتبه تدل على بطلان هذين الظنين (١)

كان هذا ما ذكره شيخ الاسلام وأما بالنسبة لابن قيم الجوزية فانه أيضا صرح بأن نسبة المذهب الثانى الذى هو جواز التأويل الى أبى الحسن خطأ حيث يقول رحمه الله فى بيانه لمذهب الأشعرى : " والاشعرى فى كتبه يصرح باثبات الصفات الخبرية فى كتبه كلها ... وكلام الاشعرى موجود فى الابانه والموجز ، والمقالات ،وموجود فى تصانيف أئمة أصحابه وأجلهم على الاطلاق القاضى أبوبكر بن أبى الطيب ، وقد ذكر ذلك فى كتاب الابانة ، والتمهيد ، وغيرهما ، وذكره ابن فورك فيما جمعه من كلام بن كلاب ، وكلام الأشعرى، وذكره البيهقى فى الأسماء والصفات ،والاعتقاد وذكره القشيرى فى كتاب الشكاية له وذكره ابن عساكر فى كتابه (تبيين كذب المفترى) حتى ابن الخطيب والسيف الأمدى حكوا ذلك عن الأشعرى وأنه أثبت اليدين صفة لله ، ولكن غلطوا حيث ظنوا أن له قولين فى ذلك ، وهذه كتبه كلها ليس فيها الا الاثبات فهو الذى يحكيه عن أهل السنة وينصره ،ويحكى خلافه عن الجهمية والمعتزلة .

نعم كان قبل ذلك يقول بقول المعتزلة ، ثم رجع عنه وصرح بخلافه واستمر على ذلك حتى مات (٢) أ هـ كلامه فمن تأمل فيما ذكرنا علم أن شيخ الاسلام وتلميذه العلامة ابن قيم حين يعزوان لأبى الحسن الأشعرى قولا واحدا وينفيان عنه القول الثانى فى المسألة انما يعتمدان على ما ذكره أبو الحسن الاشعرى نفسه فى هذه المسألة فى عدة كتب من مؤلفاته ، وان كان ابن تيمية وابن قيم يعلمان أن هناك طائفة من أصحاب أبى الحسن الأشعرى تزعم أن له قولين فى المسأله .

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣

(٢) مختصر الصواعق المرسله جـ ٢ ص ٣٤٦ .

وبهذا يتضح عدم خطأ الشيخين ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية فيما ذهبا اليه من نفي نسبة المذهب الثاني لأبي الحسن الأشعري ، اذ كان مانسب اليه من القول بجواز التأويل ، لايصح نسبته اليه اذ مجرد الحكاية ، لايعتمد عليها في اثبات المذهب الثاني الا اذا نقل ذلك عن أحد مؤلفاته ، أو ثبت باسناد صحيح اليه ، والذين حكوا المذهب الثاني لأبي الحسن ليس لهم مايعتمدون عليه في ذلك وبهذا يظهر خطأ الدكتور / عبدالعزيز سيف النصر / في نسبة الخطأ الى أبي العباس ابن تيمية وابن قيم الجوزية ، والله أعلم.

ولكي يتضح الفرق بين مذهب الامام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه وبين مذهب المتأخرين من الأشاعرة ، نذكر فيما يلي مذهب المتأخرين بمزيد من الايضاح اكثر مما تقدم فنقول :

المتأخرون من الاشاعـــــــرة

من طالع فى مؤلفات علماء الاشاعرة ، المتأخرين كـ " الشامل " و " الارشاد " للجوينى " " والاقتصاد فى الاعتقاد " للغزالى ، و " أساس التقديس" للرازى وكتاب شرح " المقاصد " وشرح العقيدة النسفيـة " كلاهما لسعد الديـن " التفتازانى " وشرح " المواقف" للشريـــف الجرجانى " وما الى ذلك من مؤلفات المتأخرين يجد صورة واضحـة تمثل مذهبهم فى تأويلهم لنصوص الكتاب والسنـــة فى الصفات الخبريـة.

خلا فـما تقدم بيانه عن أئمة الأشاعرة القدماء وفى مقدمتهم الامام أبو الحسن الأشعرى.

فالمتأخرون من علماء الأشاعرة كغيرهم من جمهور علماء الكلام ، يؤولون الاستـواء بالاستيلا ء ، واليد ، بالقدرة أو بالنعمة ، والنزول بنزول الملائكة أو الرحمـــة والوجـه بالذات ، والعين بالحفظ ، والرعاية ، ويقول للامام الغزالى مؤولا، نزوله تعالى الى سماء الدنيا : أما قوله صلى الله عليه وسلم : ينزل الله الى سمـــاء الدنيا ... " الحديث فللتأويل فيـه مجال من وجهين :

أحدهما فى اضافـة النزول اليه ، وأنه مجاز ، وبالحقيقة مضاف الى ملـــك من الملائكـة ، كما قال تعالى : " واسئل القرية " والمسؤول بالحقيقة أهـــل القريـة ، وهذا أيضا من المتداول فى الألسنة أعنى اضافـة أحوال التابـــع الى المتبوع ...

والثانى : ان لفظ النزول قد يستعمل للتلطف والتواضع فى حق الخلق ، كمـــا يستعمل الارتفاع للتكبر ، يقال : فلان رفع رأسه الى عنان السماء أى تكـــبر... أما النزول بطريق الانتقال فقد احاله العقل كما سبق ، فان ذلك لايمكن الا فـــى متحـيز " (١)

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٢٨ ـ ٢٩ الطبعة الأولى ١٣٢٠ المطبعة الأدبية سوق الخضار القديم.

وقال ابو المعالى الجوينى وهو يقرر مذهبه فى تأويله للصفات الخبرية :

" ذهب بعض أئمتنا الى أن اليدين ، والعينين ، والوجه ، صفات ثابته للرب تعالى ، والسبيل الى اثباتها ، السمع دون قضية العقل ، والذى يصح عندنا حمل اليدين على القدرة ، وحمل العينين على البصر ، وحمل الوجه على الوجود " (١)

قال " السعد الدين التفتازانى " فى مبحث الصفات المختلف فيها فى شرح المقاصد .

" ومنها (يعنى من الصفات) ما ورد به ظاهر الشرع وامتنع حملها على معانيها الحقيقية مثل الاستواء فى قوله : " الرحمن على العرش استوى " واليد فى قوله تعالى : " يد الله فوق أيديهم " وما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى " والوجه فى قوله تعالى : " ويبقى وجه ربك " والعين فى قوله تعالى ولتصنع على عينى : " وتجرى بأعيننا " فمن الشيخ أن كلا منها صفة زائدة وعن الجمهور وهو أحد قولى الشيخ أنها مجازات فالاستواء مجاز عن الاستيلاء أو تمثيل وتصوير لعظمة الله تعالى واليد مجاز عن القدرة ، والوجه عن الوجود ، والعين عن البصر ... ومعنى : " تجرى بأعيننا انها تجرى بالمكان المحوط بالكلاءة والحفظ والرعاية ، يقال فلان يمرأى من الملك ومسمع اذا كان بحيث تحوطه عنايته وتكنفه رعايته ، وقيل المراد الأعين التى انفجرت من الأرض وهو بعيد ، وفى كلام المحققين من علماء البيان أن قولنا الاستواء مجاز عن الاستيلا ، واليد واليمين عن القدرة ، والعين عن البصر ، ونحو ذلك انما هو ، لنفى وهم التشبيه ، والتجسيم بسرعة ، والا فهى تمثيلات ، وتصورات للمعانى العقلية

---

(١) الارشاد الى قواطع الادلة فى أصول الاعتقاد " للجوينى ص ١٥٥ حققه الدكتوران محمد يوسف موسى ، وعلى عبدالمنعم عبدالحميد .

وشرح " مطالع الانتظار على طوالع الأنوار ص ٣٧٩

بابرازها فى الصورة الحسية ، وقد بينا ذلك فى شرح التلخيص أ هـ كلام السعد ، ونحوه فى المواقف وشرحه (١)

وقد أيد أبو عبدالله الرازى مذهب تأويل الصفات فى غير واحد من مؤلفاته ، وأهم كتاب ألف لأجل هذا الغرض ، هو كتاب " تأسيس التقديس " وقد ظهرت نزعة الرازى التأويلية هذه ، حتى فى خطبة هذا الكتاب " أساس التقديس" حيث يقول :

الحمد لله ... المتعالى عن شوائب التشبيه ، والتعطيل صفاته وأسماؤه ، فاستواؤه قهره ، واستيلاؤه ، ونزوله بره ، وعطاؤه ، ومحبته حكمه وقضاؤه ، ووجهه وجوده ، أو جوده وحياؤه ، وعينه حفظه ، وعونه اجتباؤه ، وضحكه عفوه ، أو اذنه وارتضاؤه ، ويده انعامه واكرامه ، واصطفاؤه ... " (٢)

قال الدكتور / سيف النصر /

لقد انقسم الأشاعرة حول هذه النصوص الموهمة للتجسيم والتشبيه الى فريقين كما يقول المقريزى فى الخطط :

" والأشاعرة يسمون الصفاتية ، لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افترقوا فى الألفاظ الواردة فى الكتاب والسنة ، كالاستواء ، والنزول ، والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجيء ـ على فرقتين :

فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ ،

وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ، ولا صاروا الى التشبيه

---

(١) شرح مقاصد الطالبين فى علم أصول عقائد الدين لسعد الدين التفتازانى ج٢ ص ١١٠ مطبعة الحاج محرم افندى البغدادى ١٣٠٥هـ.

(٢) أساس التقديس للرازى ج ١ ص ٣ ضمن كتاب "بيان تلبيس الجهمية" لشيخ الاسلام الذى ألفه ردا على الرازى الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ.

والى هذه الفرقـة الأخيرة انتسب بعض أئمة الاشاعرة ، وقد أثبتوا لله تعالى من هذه الألفاظ ، صفات خبريـة زائدة على الصفات السبعة ، أو الثمانية الثابتـة عن طريق الشرع والعقل (١) .

ويبين شيخ الاسلام ، أن المتأخرين من الاشاعرة لايثبتون من الصفـات ماعدا الصفات العقلية " وأما الخبريـة فمنهم من يثبتها ، ومنهم من يتوقف فيها ـ كالرازى والآمـدى وغيرهما (٢) .

ومما تقدم نعرف أن مذهب المتأخرين يخالف ما ذهب اليه الامام أبو الحسـن الأشعرى وقدماء أصحابـه من الاثبات .

قال شيخ الاسلام :

" وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالى الجوينى فانه نفى الصفات الخبريـة وله فى تأويلها قولان :

ففى " الارشاد " أولها ، ثم انه فى الرسالة النظامية ، رجع عن ذلك وحـرم التأويل وبين اجماع السلف على تحريم التأويل ، واستدل بذلك على أن التأويـل محرم ، ليس بواجب ، ولا جائز ، فصار من سلك طريقته بنفى الصفات الخبريـة ولهم فى التأويل قولان :

وأما الأشعرى وأئمة أصحابـه فانهم يثبتون لها ويردون على من ينفيها ، أو يقـف فيها فضلا عمن يتأولها " (٣) .

---

(١) العقيدة الاسلامية بين التأويل والتفويض جـ ٥ ص ٤٣٢ مخطوطه

(٢) منهاج السنة جـ ١ ص ٢٧٢ وانظر رسالة " الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموعـة الرسائل الكبرى جـ ١ ص ١٠٥

(٣) موافقـة صريح المعقول جـ ٢ ص ١٢

قال الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله .

والمعروف عن هؤلاء الأشاعرة أنهم يثبتون لله سبع صفات يسمونها صفات المعانى وهى العلم ، والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر ، والكلام ، وهى عندهم صفات أزلية قائمة بذاته تعالى زائدة عليها .

وأما ما وراء " ذلك من الصفات الخبرية التى وردت بها النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة .

كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول والمجيء والاتيان والغضب والرضى والمحبة والكراهية ونحوها فكان أبو الحسن الاشعرى وتلاميذته كابى بكر الباقلانى وابن مجاهد يثبتونها كما يدل على ذلك ما بأيدينا من كتبهم التى لاشك فى نسبتها اليهم بل أن ابا الحسن (الاشعرى) يؤكد دائما أنه على مذهب الامام الفاضل والرئيس الكامل ، ناصر السنه وقامع البدعة أحمد بن حنبل الشيبانى " رحمه الله .

والمعروف أن من اشتغل بتأويلها من الاشاعرة هو " ابن فورك " فى كتابه " التأويلات " ثم تبعه على ذلك متأخروا الاشاعرة .

كامام الحرمين والغزالى والرازى والحليمى والآمدى وابن عقيل وابن الجوزى ، وغيرهم " (١)

وحاصل ما استفدنا مما تقدم ، أن مذهب المتأخرين الاشاعره ابتداء من " ابن فورك " وابى المعالى ، يخالف مذهب من قبلهم من قدماء الاشاعرة فى اثبات الصفات .

---

(١) دعوة التوحيد الطبعة الثانية ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

الا أننا نرى بعض المعاصرين في الوقت الحاضر ، يحاولون رد مذهب أبي الحسن الأشعري ، الى مذهب المتأخرين الأشاعرة ، الذي هو التأويل ، ومن الذين حاولوا ذلك ، الدكتور / حمودة غرابة / في كتابه : " ابو الحسن الأشعري " وفي مقدمته ، على كتاب " اللمع " لأبي الحسن الأشعري ، وتبعه في ذلك الدكتور عبدالعزيز سيف النصر / في رسالته / العقيدة الاسلامية بين التأويل والتفويض ، فقد رجح الدكتور / حمودة غرابة / أن ابا الحسن الأشعري رجع عما كتبه في كتابه " الابانة " الذي سلك فيه مسلك النصيين أو السنيين الذين يعتمدون على ظواهر النصوص ، ورجع عن هذا المذهب شيئا فشيئا الى ما كتبه في كتابه " اللمع " فسلك فيه طريقا وسطا بين مذهب المعتزلة الذي يؤدي الى الدمار ، وبين مذهب المحدثين والمشبهة الذي يؤدي الى الجمود والانهيار ، مع ما في ذلك من تفرقة كلمة الأمة وغرس بذور الشقاق بينها ، (١) فذهب الى القول بأن كتاب " اللمع " (*) هو آخر كتاب ألفه أبو الحسن الأشعري فهو الذي يمثل عقيدة أبي الحسن الأشعري ، النهائية والأخيرة وأما كتابه " الابانة " فهو مقدم على كتاب " اللمع " فقد ألفه فور رجوعه عن مذهب المعتزلة ردا على خصومه ، ثم ألف كتاب اللمع بعد أن استماد فكرته وتوازنه على الوجه الأكمل ، وبعد أن استقر المذهب في صورته الصحيحة (٢) .

---

(١) أنظر كتاب " ابو الحسن الاشعري " للدكتور حمودة ص ٦٧

(٢) نفس المرجع ص ٦٩

(*) وهو كتاب " اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع " للامام ابي الحسن الاشعري تصحيح وتقديم الدكتور / حمودة غرابة نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد مطبعة مصر سنة ٩٥٥

ويرى الدكتور / حمودة / أن موقف أبي الحسن الأشعري يختلف في كتاب " الابانة " عن موقفه في كتاب " اللمع " حيث ان اللمع يصور صورة تنزيهية نقلها عنه أتباعه خلافا لكتاب " الابانة " الذي لم يسلك فيه طريقة التنزيه العقلي .

فمن قرأ في كتاب " اللمع " وجد أن مذهب الاشعري الأخير لايختلف عن مذهب اتباعه الاشاعرة وبذلك يتفق مذهب الاشعري مع ما ذهب اليه أتباعه المتكلمون في نظر الدكتور / حمودة / لان الأشعري صرح في " اللمع " نفي الجسميه عن الله ونفي الجسمية يعني تنزيه الرب عن كل ما من شأنه أن يوهم التشبيه والتجسيم .

واليك بعض النصوص التي ذكرها الدكتور / حمودة / في هذا الصدد تأييدا لهذا الرأي ، من ذلك قوله :-

" .. ان الأشعري في مبدأ تحوله ، كما قلت لجأ الى رأي السلف في هذه المشكلة ، وهو التفويض ، مع التنزيه فكان أقرب الى الامام أحمد ، والسلفيين من أمثاله ، وحينما استعاد توازنه الفكري ، وربما حين شاهد مبالغة الحنابلة ، في التشبيه بعد موت الامام أحمد ، وذلك ، بالايمان بالنص على ظاهره من غير تفويض ، ولا تنزيه ، رأى أن يكون صريحا ، أكثر في تحديد مذهبه العقلي على عادة المتكلمين ،(١)

ومن جملة ما قال : فالاشعري في هذا الكتاب - يعني " اللمع " يبدو أعمق تفكير ، وأسلم منهجا وأشد عناية بالأدلة العقلية ... والأشعري أيضا في كتاب " اللمع " لايتعرض لذكر الوجه ، واليدين والاستواء ، على العرش ، كما فعل في " الابانة " بل يهمل ذلك ، اهمالا تاما ، ويزيد على ذلك التصريح ،

---

(١) ابو الحسن الأشعري ص ٧٦

القاطع بتنزيه الله عن الجسمية ، ونفيه عن الله ان يكون مشابها للحوادث ... وهذه الصورة العقلية التى أخذناها من " اللمع " توصل فى الوقت نفسه الى نتائج قد تكون متعارضة ، أتم التعارض مع تلك النتائج التى وصل اليها من اعتمد على " الابانة " فى تقويم مذهبه وتقدير مواهبه ،(١) ... أن الصورة السلفية التى يصورها " الابانة " قد صدرت أولا وأن الصورة العقلية التى يصورها " اللمع " قد صدرت أخيرا ، وأنها كانت تحديدا لمذهب الاشعرى فى وضعه النهائى ، الذى مات صاحبه ، وهو يعتنقه ويعتقد صحته ، ويدافع عنه ، ويرضاه لاتباعه ،(٢) وقال أيضا : وأخذت كتابته ـ يعنى أبا الحسن الاشعرى ، فى أول عهده ، تفيض حرارة وتبجيلا لمذهب السلف ، وطعنا فى المعتزلة ، ولعل كتاب " الابانة " وهو يصور هذه المظاهر يعود الى تلك الفترة من حياته ... كما نلاحظ أن هذا الاندفاع وتلك الحماسة فى اثبات الوجه ، واليدين ، والعرش (٣) وما الى ذلك ، كما تقوله الحنابلة ، قد أخذت تخف مع الزمن ، وشرع الرجل فى استعادة توازنه يوما بعد يوم الى أن انتهى الى مكانة الوسط بين المعتزلة والحنابلة ... ولعل كتابه " اللمع " الذى ألفه فى هذه الفترة كما نرجح هو الذى يمثل مذهبه الوسط فى صورته النهائية ... "(٤) ويقول الدكتور / عبد العزيز سيف النصر وهو موافق للدكتور / حمودة ، فى هذا الرأى ومذهب الأشعرى كما يصوره كتاب " الابانة " يخالف الصورة

---

(١) مقدمة اللمع للدكتور / حمودة غرابة ص ٣ ـ ٤ ـ ٥
نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد مطبعة مصر سنة ٩٥٥
(٢) " اللمع " المقدمة ص ٧
(٣) ولعله يقصد " الاستواء " لان الخلاف ليس فى اثبات العرش
(٤) أبو الحسن الأشعرى ص ٦٧ ـ ٦٨

التنزيهية التى يصرح بها الأشعرى فى كتابه " اللمع " وبهذا يظهر الأشعرى متناقضا ، اذ كيف يوفق بين نفى الجسمية عن الله تعالى ، وبين اثبات الجهة التى تستلزم الجسمية ... وقد اعتمد على كتاب " الابانة " فقط كل من قال : ان مذهب الأشعرى هو اثبات وجود الله تعالى فى جهة ، وأما نفى الجسمية وكل ما يقتضى التشبيه فقد ذكره فى كتاب " اللمع " (١)

ونجمل ما فى كلام الدكتورين فى الامور الآتية :

١ـ تناقض موقف الأشعرى فى الكتابين " الابانة " و " اللمع " .

٢ـ أن الأشعرى فى حين تأليفه لكتاب " اللمع " أتم تفكيرا وتوازنا منه فى حين تأليفه لكتاب " الابانة " . وان ما كتبه فى " اللمع " أعمق وأصح .

٣ـ دعوى تأخر كتاب " اللمع " عن كتاب " الابانة " وأن ما فى كتاب " اللمع " هو الذى يمثل مذهب الأشعرى الاخير الذى عليه أتباعه .

٤ ـ أن نفى الجسمية عن الله يتنافى مع اثبات الجهة وغيرها من الصفات الخبرية كالوجه واليدين .

٥ ـ كل من ذهب الى أن الأشعرى اثبت ان الله تعالى موجود بجهة ، لا مستند له فى ذلك سوى كتاب " الابانة " .

ونقول ردا على هذه الآراء ،

أننا لانسلم عند التأمل بتناقض موقف الأشعرى ، فى الكتابين ، لأن من قرأ كلا من كتاب " الابانة " و " اللمع " لايرى أى تناقض بين الكتابين ، لأن الأشعرى لم يشبه فى " الابانة " ولم يؤول فى " اللمع " ولم ينقض كلامه فى " الابانة " ما ذكره فى كتابه " اللمع " وانما غاية ما يقال ان ابا الحسن الاشعرى سلك فى كتابه

---

(١) العقيدة الاسلامية بين التأويل والتفويض جـ ٥ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ مخطوطة .

" اللمع " مسلك الاستدلال بالأدلة العقلية ، واكتفى بذلك ، عن الاستدلال بالأدلة النقلية . أو ترك ذكر الصفات الخبرية التى ذكرها فى "الابانة " واثبتها بأدلة من الكتاب والسنة ، وهذا لا يكون عنوانا لتناقض موقف الاشعرى فى الكتابين .

وأما حديث الجهة ، ومنافاته لتنزيهه تعالى عن الجسمية ، وهى الشبهة الرئيسية التى يشير اليها "الدكتور حمودة / ويصرح بها الدكتور / عبدالعزيز / فان ابا الحسن الأشعرى ، لايرى تناقضا بين ماصرح به ، من اثبات استواء الرب على عرشه فى الابانة ، وبين تنزيهه تعالى عن الجسمية بالمعنى الذى لايصح بالنسبة لله تعالى وما يدل على ذلك ، أن : أبا الحسن الاشعرى نفى الجسمية عن الله تعالى فى ضمن حكايته لمذهب السلف فى كتابه " مقالات الاسلاميين " (١) وكتابه "جمل المقالات " (٢) . ومع ذلك أثبت فى الكتابين له تعالى الجهة الشرعية وهو استواؤه تعالى على عرشه دون تكييف كما أثبت اليد والعين وغيرهما من الصفات الخبرية ، فلم يكن التنزيه الذى ذكره فى كتابه " اللمع " رجوعا عن رأى مخالف له ذكره فى كتابه الابانة بدعوى التشدد فى مواجهة الخصم كما قيل ، وهذا ليس رأيا يخص أبا الحسن الأشعرى بل هو رأى جميع المثبتين للصفات الخبرية فانهم مع تنزيه الله تعالى عن الجسمية ، يثبتون جميع الصفات الواردة فى الكتاب والسنة لأن نفى الجسمية عن الله لايتنافى مع اثبات الصفات له تعالى .

وأما القول بموافقة مذهب الأشاعرة ، مذهب الأشعرى كما يشير الى ذلك الدكتور حمودة ، (٣) انما يتم ادعاء ذلك اذا أثبت أن الاشعرى ، أول الصفات فى كتابه

---

(١) وذلك فى ج ١ ص ٢٨٥
(٢) أنظر كتاب " اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ١٤٥
(٣) وذلك فى مقدمة كتاب " اللمع " ص ٥ ـ ٦

" اللمع " ولم يثبت ذلك فتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات لاتعارض بينه وبين الصفات الخبرية الثابتة له تعالى بالكتاب والسنة ، وبهذا يتضح أن مذهب أتباع أبى الحسن الأشعرى ، التأويل ، ومذهب الامام الاثبات فالخلاف بين الاثبات والنفى أو بين النافى والمثبت خلاف جوهرى ، واذا ثبت عدم تناقض الأشعرى فى الكتابين ، فلا داعى ، الى أن نجهد أنفسنا فى اثبات أى الكتابين متأخر عن الآخر ، مع العلم أن ما ذهب اليه الدكتوران (١) من تأخر كتاب " اللمع " عن " الابانة " وقد سبقهما الى هذا القول ، الشيخ " زاهد الكوثرى " (٢) انما هو مجرد فرض يعوزه الدليل بل ذكر غير واحد من المحققين أن كتاب " الابانة " هو آخر ما ألفه الامام أبو الحسن الأشعرى وهو الذى يمثل رأيه النهائى فى الصفات الخبرية وهذا الرأى هو الصحيح عندى لعدة أسباب منها ما قاله السيد محمد بن محمد الحسينى الشهير بالمرتضى : قال ابن كثير ذكروا للشيخ أبى الحسن الأشعرى ثلاثة أحوال أولها : حالة الاعتزال التى رجع عنها لا محالة .

والحال الثانى اثبات الصفات العقلية السبعة ، وهى الحياة والعلم ... وتأويل الخبرية ، كالوجه واليدين والقدم والساق ، ونحو ذلك .

والحال الثالث اثبات ذلك كله ، من غير تكييف ولاتشبيه جريا على منوال السلف ، وهى طريقته فى " الابانة " التى صنفها أخيرا " (٣)

وذكر ابن قيم الجوزية نقلا عن ابن عساكر ، أن كتاب " الابانة " هو آخر كتبه وعليه اعتمد فى ذكر مناقبه واعتقاده " (٤) ويضاف الى هذا ان ابن عساكر نفسه صرح أن كتاب (اللمع) هو من جملة ما ألفه الاشعرى فور رجوعه

---

(١) أعنى الدكتور حمودة غرابه والدكتور عبدالعزيز سيف النصر

(٢) ذكر ذلك الدكتور / عبدالعزيز سيف النصر فى / العقيده الاسلاميه بين التأويل والتفويض جـ ٥ ص ٧٠٤

(٣) ابو الحسن الأشعرى تأليف الشيخ / حماد الانصارى ص ١٢

(٤) مختصر الصواعق المرسله جـ ٢ ص ٣٤٧

عن مذهب الاعتزال دون تأخر وفى ذلك يقول الحافظ ابن عساكر نقلا عن أبى بكر اسماعيل بن أبى محمد الأزدى : " أقام الاشعرى (على مذاهب المعتزلة أربعين سنة ، وكان لهم اماما ثم غاب عن الناس فى بيته خمسة عشر يوما فبعد ذلك خرج الى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس أنى انما تغيبت عنكم فى هذه المدة لأنى نظرت ، فتكافأت عندى الأدلة ولم يترجح عندى حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهدانى الى اعتقاد ما أودعته فى كتبى هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقد كما انخلعت من ثوبى هذا وانخلع من ثوب كان عليه ، ورمى به ودفع الكتب الى الناس فمنها كتاب " اللمع " ... (١)

وهذا يدل دلالة واضحة أن كتاب " اللمع " من جملة ما الفه الأشعرى بعد رجوعه عن مذهب الاعتزال دون تأخر خلافا لما قاله الدكتور حمودة سابقا من أن كتاب " الابانة " ألفه عقب رجوعه عن الاعتزال ثم الف كتاب " اللمع " فى وقت متأخر بعد ان استعاد توازنه الفكرى يوما بعد يوم (٢).

وممن ذكر أن كتاب الابانة هو آخر ما ألفه الاشعرى شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله ، فى " الرسالة المدنية فى تحقيق المجاز والحقيقة فى الصفات" (٣)

وقال أيضا فى كتابه " الحموية الكبرى " :

وقال ابو الحسن الأشعرى فى كتابه الذى سماه " الابانه " فى أصول الديانه

---

(١) تبيين كذب المفترى فيما نسب الى ابى الحسن الأشعرى ص ٣٩
(٢) ذكر ذلك الدكتور حمودة فى كتابه "ابو الحسن الأشعرى) ص ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ .
(٣) وذلك فى ص ٦ ضمن الرسالة الحموية الكبرى.

وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون فى الذب عنه عند من يطعن عليه ... " (١) ومن الذين ذكروا أن كتاب الابانة هو آخر مؤلفات الامام أبى الحسن الاشعرى ، الشيخ عبدالرحمن محمد عثمان فى مقدمة كتاب : " العلو للعلى الغفار حيث قال : وهذا أبو الحسن الأشعرى امام المتكلمين فى عصره يذكر فى آخر كتبه " الابانة " أنه رجع فى عقائده الى مذهب الامام أحمد رحمه الله ... " (٢) وبهذه النصوص المنقولة عن الأئمة يثبت ، أن ابا الحسن الأشعرى استقر أمره أخيرا على ما فى كتاب الابانة وأن الابانة هو آخر ما ألفه الأشعرى .

وأما القول : بأن الاشعرى ألف كتاب " اللمع " بعد أن استعاد فكرته الصحيحه وان طريقه فى " اللمع " أسلم وأصح فلو قيل عكس هذا الرأى ـ على فرض عدم توازنه ـ لكان صوابا ، لأن الاستدلال بما فى الكتاب ، والسنة ، كما فعل الأشعرى فى " الابانة " أعمق وأصح على الاطلاق من الاستدلال بالأدلة العقلية مع أننا نقول ان الأشعرى أتم توازنا فى حالة تأليفه لكل من الكتابين " الابانة " و " اللمع " اذ لاتناقض بين كلامه فيهما عند التأمل .

وأما ما قيل : وقد اعتمد على كتاب " الابانه " فقط كل من قال ان مذهب الأشعرى هو اثبات وجود الله تعالى فى جهة فهذا الكلام أيضا بعيد عن الصواب فان الذين حكوا مذهب الاشعرى من اثبات الجهة وغيرها من الصفات الخبرية لم يعتمدوا على كتاب " الابانة " فحسب بل اعتمدوا على عدة كتب من مؤلفاته سبق ذكرها وكتاب " الابانة " واحد من تلك المؤلفات العديده .

---

(١) الرسالة الحموية الكبرى ص ٧٢

(٢) مقدمة كتاب " العلو للعلى الغفار " ص ١٠ تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان مطبعة العاصمة .

الفصـــــل الثالـــــث

* شبهات النفاة للصفات الخبريـــــــــــــــــــــة
* الشبهات التي تخص الصفات الفعلية الاختياريــــــــة

من أسباب التأويل ، ومما نشأ منه القول بالتعطيل " الألفاظ المجملة "

من أبرز أسباب التأويل للصفات ، المؤدى الى التعطيل هو أن علماء الكلام من الجهمية ، والمعتزلة ومتأخرى الأشاعرة ، نهجوا منهجا ، استعملوا فيه الالفاظ العامة المجملة ، دون تحديد المعنى المراد منها يقصد التنزيه .

وهذا المنهج للتنزيه مع كونه ليس منهجا للكتاب والسنة ، ولم يقصد اليه أحد من السلف ـ يتضمن ألفاظا مجملة ،مشتمله على حق وباطل أدت بهم الى تأويل كثير من الصفات الخبرية.

والمقصود ببيان ذلك المنهج المخالف للكتاب ، والسنة وبيان تلك الألفاظ المجملة التى تضمنها هذا المنهج وكيف كانت هذه الالفاظ المجملة مشتملة على الحق والباطل ، وأدت بهم الى تأويل الصفات قصدا الى التنزيه فنبدأ ببيان منهج المتكلمين .

منهجهم فى التنزيه :

يختلف منهجهم فى التنزيه عن منهج الكتاب والسنة الذى سلكه السلف وجمهور المحدثين من أهل السنة وجه ذلك أن علماء الكلام يجملون فى الاثبات غالبا (١) ويفصلون فى النفى فيقولون :

---

(١) والتفصيل فى الاثبات قليل عندهم كقولهم مثلا : انه تعالى عالم قادر حى ... " افادة شارح الطحاوية ص ٤٧ ـ ٤٨ .

انه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا مركب ، ولا متحيز ، ولا بذى أجزاء وأبعاض ، وليس بطويل ولا عريض ، ولا بذى لون ، ولا بذى طعم ، ولا ينتقل ، ولا يتحرك ، وليس فى جهة من الجهات الست فليس بذى يمين ، ولا شمال ، ولا أمام ، وفوق ، وتحت ، بل يصرحون أنه تعالى ليس فى العالم ، ولا خارج العالم ، وما الى ذلك ، من الأوصاف السلبية التى يذكرونها لقصد التنزيه (١) ، هذا المنهج هو ما يسمى " توحيدا " عند الجهمية والمعتزلة (٢) ويعرف بطريقة " التنزيه " عند غيرهم من المتكلمين .

وكثير من هذه الألفاظ ، مجملة فيه حق ، وباطل سيأتى ايضاح ذلك تفصيلا ان شاء الله تعالى ، وهذه الطريقة القائمة على التفصيل فى النفى نشأت عن الدليل الذى استدلوا به على وجود الصانع فقد استدل المتكلمون على اثبات الصانع ، باثبات حدوث الأجسام ، لأنها لاتخلو عن الاكوان الاربعة ، وهى الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون وهى حادثة ، وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها وكان قصدهم الأول من احداث هذه الطريقة ، اثبات صانع هذا الكون ردا على من ينفى وجود الصانع من الملاحدة الدهرية غير أن سلوكهم هذا المسلك أداهم الى نفى الصفات الخبرية ونفى قيام الأفعال الاختيارية به تعالى ، لأنها أعراض ، وما تقوم به

---

(١) أنظر مقالات الاسلاميين / لابى الحسن الاشعرى جـ١ ص ٢٣٥ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ونهاية الاقدام للشهرستانى ص١٠٣ تصحيح " فرد جوم " والرد على الجهمية / للامام أحمد بن حنبل ص ١١ـ١٢ ، وغاية المرام فى علم الكلام / لسيف الدين الآمدى تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ص ١٧٩ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧ ، وكتاب نقض تأسيس الجهمية ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١٠٩

الأعراض ، يجب أن يكون حادثا (١) فى نظرهم .

قال شيخ الاسلام :

والأصل الذى بنى عليه نفاة الصفات ، وعطلوا ما عطلوا ... هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الأجسام محدثة ، واستدلالهم على ذلك بأنها لاتخلو من الحوادث ولم تسبقها ، وما لم يخل من الحوادث ، ولم يسبقها فهو محدث ، وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والأئمة على ذمهم ، وأصل قول المتكلمين الذين اطبقوا على ذمهم " (٢)

" وهذا الكلام وان كان أصله من المعتزلة فقد دخل فى كلام المثبتين للصفات ، حتى فى كلام المنتسبين الى السنة ... وهو موجود فى كلام كثير من أصحاب مالك ، والشافعى وأحمد ، وأبى حنيفة ، وغيرهم .... فلما اعتقد هؤلاء (يعنى علماء الكلام) أنهم أثبتوا بهذا الدليل حدوث الجسم ، لزم انتفاء ذلك عن الله ، لأن الله قديم ليس بمحدث ، فقالت المعتزلة ما قامت به الصفات فهو جسم ، لأن الصفات أعراض والعرض لايقوم الا بجسم ، فنفت الصفات ، ونفت أيضا قيام الأفعال الاختيارية به لأنها أعراض ولأنها حوادث فقالت القرآن مخلوق لان القرآن كلام وهو عرض ولأنه يفتقر الى الحركة ، وهى حادثة فلا يقوم الا بجسم ... وقالت ليس هو فوق العالم لأن ذلك مكان ، والمكان لا يكون به الا جسم أو ما يقوم بجسم " (٣) .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٢٨ ـ ١٢٩
وانظر منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤

(٢) الفرقان بين الحق والباطل ج ١ ص ١١٠ مجموعة الرسائل الكبرى

(٣) منهاج السنه ج ١ ص ٢٧٤ .

قال ابن قيم الجوزية:

وعن هذه الطريقة أنكروا علوه تعالى على عرشه ، وتكلمه بالقرآن ، وتكليمه لموسى ورأيته بالأبصار في الآخرة ونزوله الى سماء الدنيا كل ليلة ، ومجيئه لفصل القضاء بين الخلائق ، وغضبه ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب مثله بعده ،وجميع ما وصف به نفسه من وصف ذاتي أو معنوي أو فعلي. فأنكروا وجهه الأعلى ، وأنكروا أن له يدين ، وأن له سمعا وبصرا ، وحياة وأنه يفعل ما يشاء حقيقة وان سمى فاعلا فلم يستحق ذلك لفعل قام به ، بل فعله هو عين مفعوله " (١) .

" فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم : ليس بجسم ولا جوهر ولا تركيب ، ولا تقوم به الأعراض ... كيف كسوا حقائق اسمائه وصفاته وعلوه على خلقه ، واستوائه على عرشه ، وتكليمه لخلقه ،ورأيتهم له بالأبصار في دار كرامته ، هذه الالفاظ ، ثم توسلوا الى نفيها بواسطتها ،وكفروا وضللوا من أثبتها " (٢) .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٢٩

(٢) مختصر الصواعق المرسله ج ١ ص ١١٦

الموازنه بين منهج القرآن وطريقة علماء الكلام فى الاثبات والنفى

فاذا قارنا مذهب علماء الكلام المتقدم فى الاثبات والنفى بمنهج القرآن ، نجد التباين واضحا ، فمنهج القرآن فى النفى والاثبات على عكس منهج المتكلمين حيث سلك القرآن الكريم فى ذلك طريقة النفى المجمل ، والاثبات المفصل كقوله تعالى فى تنزيه نفسه عما لا يليق بجلاله من صفات المخلوقين :(١) " هل نعلم له سميا " " ولم يكن له كفوا أحد " " ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير " وما الى ذلك من الآيات المجملة فى النفى ، وهذا الاجمال القرآنى فى التنزيه يغنينا عن ذكر مالايليق بالله سبحانه تفصيلا لأن جميع افراده داخلة تحت عموم النفى فى التنزيه ، فلا حاجة الى تعداد ذلك تفصيلا لأن ذكر ذلك بالتفصيل فيه صعوبه ، لايمكن حصرها ، مهما فصلنا ، وأطلنا الكلام فى ذلك ، فلذا كان منهج القرآن فى النفى والاثبات ، أيسر ، وأبلغ ، وأوضح فى الدلالة على المعنى المراد ، اثباتا ، وتنزيها ، كله حق لايوجد فيه ما يوهم خلاف الصواب ، خلافا للطريقة التى سلكها المتكلمون ، وان كان القرآن الكريم قد يورد فى بعض المواضيع نفى شيئ معين لكن ليس ذلك النفى وحده مقصودًا بالذات لأن كل " نفى يأتى فى صفات الله تعالى هو لاثبات كمال له ، كقوله عز وجل : " ولايظلم ربك أحدا " (٢) لكمال عدله وقوله سبحانه : " وما مسنا من لغوب" (٣) . لكمال قدرته ، وقوله : " ولا يعزب عنه مثقال

---

(١) منهاج السنة جـ ١ ص ٣٣٦ وشرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس جـ ٢ ص ٦٥٥ ـ ٦٥٦. وشرح القصيدة الطحاوية ص ٤٧

(٢) الكهف : " ٤٩ "

(٣) سورة "ق" : ٣٨

ذرة فى السموات ولا فى الأرض " (١) لكمال علمه " لاتأخذه سنة ولا نوم " (٢) لكمال حياته وقيوميته .

... والا فالنفى الصرف لامدح فيه "٣" .

هذه طريقة القرآن فى النفى وأما طريقته فى اثبات الصفات لله تعالى ، التفصيل لا الاجمال ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وردت فى الكتاب والسنة منها قوله تعالى :ـ

" ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ".

بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " (٤)

" وجاء ربك والملك صفا صفا " وقوله تعالى :ـ

" ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى " والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " " كل شيئ هالك الا وجهه " (٥) "

وقوله تعالى : " الا الذين تابو من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم " (٦)

وقوله عز وجل :

" وتوكل على الحى الذى لايموت وسبح بحمده ، وكفى به بذنوب عباده خبيرا " (٧)

---

(١) سبأ : "٣"
"٢" البقرة : "٢٥٥"
(٣) الطحاوية : ص ٤٦
(٤) المائدة : "٦٤"
(٥) الطحاوية ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٦) النور : "٥"
(٧) الفرقان : "٥٨"

وما الى ذلك من أمثال هذه الآيات ، وكذلك السنة المطهرة مليئة باثبات الصفات لله تعالى مفصلة مثل حديث النزول ، والمجيئ والرؤية وغير ذلك من الأحاديث ، الواردة فى اثبات الصفات له تعالى .

وأول طائفة أحدثت هذا المنهج السلبى للتنزيه ،هم الجهميه ،قال ابو العباس أحمد بن تيميه :

" وذكروا ان جهما وأتباعه هم أول من أحدث فى الاسلام هذه الصفات السلبية ، وابطال نقيضها " (١)

فأول من قال فى الاسلام :

ان الله جسم " هشام بن الحكم " من الشيعة .

وبعد حدوث هذه الطريقه ،وادخالها فى الدين كعقيدة انقسمت مذاهب الناس فيها الى ثلاثة أقسام منهم من أطلق على الله لفظ " الجسم " بدون مبالاة لذلك ،وهم الشيعة ، ومن وافقهم من علماء الكلام فى اطلاق الجسم على الله ، مثل " محمد بن كرام " وأتباعه من مجسمة علماء الكلام ومنهم من جد فى نفى الجسم ولوازمه عن الله تعالى ، وهم الجهمية والمعتزلة .ومن وافقهم من المتكلمين .

وقد شاركهم فى ذلك كثير من أتباع الأئمة الاربعة ، أصحاب أبى حنيفه ومالك والشافعى ،وأحمد والمذهب الثالث ، مذهب علماء السنة ، لا يوافقون مذهب الاثبات ، والنفى فى الاطلاق ، بل كان مذهبهم منع اطلاق القول بالنفى

---

(١) بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية ص ٦٠٠ ومنهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

والاثبات ،لأن كل واحد من الاثبات ، والنفي بهذه الطريقة، لم يرد في الشرع ، وفي كل من الاثبات والنفي ان لم يحدد المعنى المقصود ،حق ، وباطل (١)

قال أبو العباس ابن تيمية :

والذين أثبتوا أدخلوا فيه من النقص والتمثيل ما هو باطل ، والذين نفوا أدخلوا فيه من التعطيل والتحريف ما هو باطل . (٢) فلذا كان علماء السلف وغيرهم من المحدثين والفقهاء الذين ادركوا حدوث هذه المسألة يذمون كلا من الاطلاقين .

اطلاق النفي والاثبات ، ومنهم الامام " أبو حنيفه " (٣) .

والامام احمد بن حنبل (٤) وأبو العباس ابن سريج (٥) والشيخ أبو سليمان الخطابي (٦) وابن رشد الحفيد (٧) *

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٧١ـ ٢٧٢ ، ٢٦٤ ، ٣٤٦ ، ١٧١ ونقض تأسيس الجهمية ص ٥٤ ـ ٦٠ وتفسير سورة الاخلاص ص ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ٦٤ ، ٧٥ ونقض تأسيس الجهمية ص ٢٥٥ .

(٢) منهاج السنة ص ٢٧٣

(٣) فانه قال لما سئل عن الكلام في الأعراض والاجسام : لعن الله عمر بن عبيد هو فتح على الناس الكلام في هذا " شرح عقيدة الطحاوية ص٥٢٩

(*) وابن رشد الحفيد هو القاضي ابو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف نقض تأسيس الجهمية ص ٣٦٠ ، ٢٣

(٤) وسيأتي ما قاله الامام أحمد في المسألة .

(٥) أنظر مقالته " تفسير سورة الاخلاص ص ٦٢

(٦) انظر ما قاله أبو سليمان الخطابي في (بيان تلبيس الجهمية) ص٢٥٤ـ ٢٥٥

(٧) ذكر مقالته شيخ الاسلام ابن تيمية في " بيان تلبيس الجهمية ص ٢٣ ـ ٢٧ ، ٣٦١ .

بل كثير من أجلاء أئمة الاسلام ، كالامام الشافعي ومحمد بن الحسن ، وغيرهما ، ذموا علم الكلام لأجل مثل هذا القول المحمل (١).

قال شيخ الاسلام رحمه الله مشيرا الى هذا المذهب الثالث.

وأما القول الثالث ـ وهو القول الثابت عن أئمة السنة المحضة كالامام أحمد ... فلا يطلقون لفظ الجسم لا نفيا ، ولا اثباتا لأن ذلك لم يكن مأثورا لا في كتاب ولا سنة ، ولا أثر عن أحد من الصحابة ، والتابعين لهم باحسان ، ولا غيرهم من أئمة السنه فصار من البدع المذمومة لأنه يتضمن من المعاني ما كان حقا وباطلا (٢) فلأجل هذا شدد التكبير علماء السلف على من سلك هذه الطريقه (٣) سواء كان ذلك لاجل اثبات الصانع أو لقصد التنزيه عن صفات المخلوقين.

وقد كان الامام أحمد بن حنبل من أشد الناس محافظة على التعبير بالالفاظ الواردة في الكتاب والسنة ، فلا يقبل من خصمه العدول الى العبارات المستحدثة التي لم ترد في الكتاب والسنة كما يظهر ذلك جليا في مناظرته للجهمية المعتزلة في مسألة محنة القرآن المشهورة في عهد الخليفة العباسي المأمون وأخيه المعتصم (٤)

---

(١) منهاج السنة جـ ١ ص ٣٤٦ ، ونقض تأسيس الجهمية ص ٦٠٠

(٢) منهاج السنه جـ ١ ص ٢٧٣ ، ٢٦٤

(٣) تفسير سورة الاخلاص . ص ٧٠

(٤) منهاج السنة جـ ١ ص ٣٤٦

وفى بيان ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

وكان الذين امتحنوا أحمد ، وغيره من هؤلاء الجاهلين ، فابتدعوا كلاما متشابها نفوا به الحق فأجابهم أحمد لما ناظروه فى المحنة وذكروا الجسم ونحو ذلك أجابهم بأنى أقول كما قال الله تعالى " الله أحد الله الصمد " وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به البتة والمعنى الذى يراد به مجمل ، ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح ، ما أدرى ماذا تقولون لكن أقول : " الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد " ...

فأنا لا أوافقكم على اثبات لفظ ونفيه اذا لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولا نفيه .... " (١) .

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ٦٧ ـ ٦٨ .

وأحمد وأمثاله من السلف كانوا يعلمون أن هذه الألفاظ التى ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره ، ينفيها قوم ليتوصلوا بنفيها الى نفى ما أثبته الله تعالى ورسوله ، ويثبتها قوم ليتوصلوا باثباتها الى اثبات ما نفاه الله ورسوله فالأول طريقة الجهمية من المعتزلة ، وغيرهم ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون أن قصدهم التنزيه ، ومقصودهم بذلك أن الله لايرى فى الآخرة ، وأنه لم يتكلم بالقرآن ولاغيره ، بل خلق كلاما فى غيره ، وأنه ليس له علم يقوم به ، ولا قدرة ولاحياة ، ولا غير ذلك من الصفات ... "

والثانية :

طريقة هشام ، وأتباعه يحكى عنهم ، أنهم أثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات فأجابهم الامام أحمد بطريقة الانبياء وأتباعهم ،وهو الاعتصام بكتاب الله الذى قال فيه : " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ، وطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله ، واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولاتتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله " (١)*

والحاصل أن السلف لايتكلمون بهذه الألفاظ المجملة واذا ذكرت لهم طلبوا من المتكلم بيان مراده بها فيقبل ما كان فيها من الحق ، بعد التعبير عنه بالألفاظ الواردة فى الكتاب والسنة ، ويرد ما كان باطلا منه (٢) وهذا المذهب بينه شيخ الاسلام بن تيمية خير بيان حيث ناقش هذه الالفاظ المجملة كل واحدة منها تفصيلا .

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ٥٩ ـ ٦١ وأنظر أيضا مختصر الصواعق المرسله ج ١ ص ١١٠ـ١١١

(*) الاية من سورة الانعام : ١٥٣

(٢) موافقة صريح المعقول ج ٢ ص ٦٥ ومنهاج السنه ج ١ ص ٣٤٦ـ٣٤٧، ٢٦٤

وبين ما فيها من حق وباطل ليقبل ما كان حقا ، ويرد ما كان باطلا ، لأن ما وافق الكتاب والسنة لفظا ومعنى يجب قبوله ، ولا يرد منه شيء ، وما خالفهما لفظا ومعنى يجب رده مطلقا ، وما وافق الكتاب والسنة من جهة المعنى دون اللفظ يقبل منه معناه ، ويرد لفظه لمخالفته الكتاب والسنه ، من جهة التعبير والتأدية مع صحة المعنى ، وأما ما كان مشتملا على حق وباطل فيؤخذ منه ما كان حقا ، ويرد منه ما كان باطلا ،(١) .

ولنأخذ مثالا لتلك الألفاظ المجملة - الكلمات التالية ما لجسم ، والتحيز ، والتركيب ، والجهة ، والأعراض ، والحركة ، والانتقال واليك تفصيل ما كان فيها من الاجمال .

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ٦٢

أولا :

بيان ما فى لفظ الجسم من الاجمال فى قولهم :

انه تعالى ليس بجسم .

وان كان مقصود القائلين بذلك أنه تعالى ليس مركبا من الأجزاء المتفرقة أو من الجوهر الفردة (١)

---

(١) والجوهر الفردة عند من يقول به من المتكلمين هو الجزء المتناهى فى الصغر، بحيث لا يمكن تقسيمه ،مع وجوده ولا يتميز منه جانب عن جانب لصغره، أو ما قام بنفسه أو ما كان متحيزا ، وقيل ما اذا وجد كان وجوده لافى موضع كان هذا معنى الجوهر الفردة فى اصطلاح كثير من النظار ومن على رأيهم ، وأما الجوهر فى اللغة فهو الجوهر المعروف ، وأما الجسم فى اصطلاح المتكلمين فهو الجوهر نفسه اذا كان مركبا من عدة جواهر فردة قال سعد الدين التفتازانى : ومعنى الجوهر ما يتركب عنه غيره ، ومعنى الجسم ما يتركب هو عن غيره : فالجسم عندهم ما كان مركبا أو مؤلفا أو ما يقبل الاشارة الحسيه بأنه هنا أو هناك وقد يعبرون عنه بما قبل الأبعاد الثلاثة الطول ، والعرض ،والعمق.

وأما الجسم عند أهل اللغة فهو البدن ،أو اليدن ونحوه مما هو غليظ كثيف... ومنه قوله تعالى : " واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم " وقوله تعالى : " وزاده بسطة فى العلم والجسم " فلا يسمى الهواء جسما ، ولا النفس الخارج من فم الانسان جسما فى اللغة ،لأن الجسم لا يطلق فى اللغة الا على ما كان غليظا كثيفا .

أنظر منهاج السنه ملخصا جـ ١ ص ٢٦٤ـ٢٦٥،٢٦٨،٣٣٠ـ٣٣١ ،وشرح العقائد النفسيه لسعد الدين التفتازانى ص ٧٣ ، وتفسير سورة الاخلاص ص ٦٨ـ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧٥ باختصار .

أو من الهيولى (١) والصورة فهذا حق ، لأنه تعالى منزه عن مشابهة الحوادث

---

(١) والهيولى هى المادة المجردة عن الصورة يثبتها الفلاسفة وهى فى الأصل كلمة يونانية بمعنى الأصل والمادة وفى الاصطلاح جوهر فى الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال (١) ويقصدون بالصورة ، الهيئة التى تكون عليها الاجسام الصناعيه والطبيعية.

قال شيخ الاسلام بن تيمية:

والهيولى فى لغتهم بمعنى المحل يقال : الفضة هيولى الخاتم والدرهم ، والخشب هيولى الكرسى أى هذا المحل تصنع فيه هذه الصورة ، وهذه الصورة الصناعية .

عرض من الأعراض ويدعون أن الجسم هيولى محل الصورة الجسمية ، وغير نفس الجسم القائم بنفسه . تفسير سورة الاخلاص ص ٧٨ ومنهاج السنه ج ١ ص ٢٦٥_٢٦٦.

ويدعى الفلاسفه أن الأجسام مركبة من الهيولى والصورة ، بينما يدعى غيرهم من المتكلمين أن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة ،وهناك طوائف من المتكلمين وغيرهم تنكر هذا وذاك فنقول لم يكن الجسم مركبا ، لا من الهيولى ، والصورة ،ولا من الجواهر الفردة وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية : أن المذهب الاخير هو الصحيح دون ما عداه ، وبين أن الجسم لم يكن مركبا لا من الهيولى والصورة ولا من الجواهر الفردة _ أنظر تفسير سورة الاخلاص ص ٦٩_٧٠ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٥ ومنهاج السنه ج ١ ص ٢٦٥ _ ٢٦٦.

---

(١) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، تأليف الشهاب الخفاجى المصرى ص ٢٦٨ الطبعة الاولى سنة ١٣٧١هـ مطبعة المنيريه بالأزهر.

بأى وجه من الوجوه ، ومن نفى الجسمية عن الله بهذا المعنى فهو نفى صحيح يجب اعتقاده على كل مسلم اذ من المعلوم شرعا وعقلا أن الله سبحانه ليس كمثله شيء فى ذاته ، وصفاته فمن قال انه جسم بمعنى أنه مركب من الأجزاء المتفرقة أو من الجواهر الفردة أو من الهيولى والصورة فقوله باطل لكونه كفرا صريحا لأنه شبه الخالق بالمخلوق .

وأما من قال : انه تعالى ليس بجسم وأراد نفى التركيب المذكور فهو مصيب من حيث المعنى ومخطئ من جهة التعبير وتأدية المعنى الصحيح لأن المعنى المنفى عن الله تعالى يجب أن يؤدى بالألفاظ الشرعية التى وردت فى الكتاب والسنة بدلا عن هذه العبارات المستحدثة المحتملة للحق والباطل .

والتعبير الشرعى الصحيح الذى يؤدى المعنى الصحيح دون احتمال لأى معنى باطل نحو قوله تعالى :ـ

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقوله سبحانه : " هل تعلم له سميا " وقوله : ولم يكن له كفوا أحد "

فهذه الآيات وأمثالها تدل على التنزيه بأبلغ عبارة ولا ليس فيها ولا اجمال فهى واضحة فى الدلالة على تنزيه الرب سبحانه عن جميع سمات الحوادث ، ونفى المشابهة عن الله عز وجل (١)

وأما من أراد بنفى الجسمية عن الله سبحانه انكار الصفات الواردة فى الكتاب والسنة التى أثبتها الرب لنفسه كاستوائه على عرشه ، ونزوله الى سماء الدنيا والوجه واليدين له تعالى ، فهذا المعنى المراد باطل باجماع أهل السنة ،

---

(١) تفسير سورة الاخلاص ص ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ وأنظر منهاج السنة ج ١ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، ٢٦٨ ـ ٢٦٩

لأن اثبات هذه الصفات لله تعالى لايلزم منه التشبيه والتجسيم ، وان ظن ذلك كثير من المتكلمين ، وسموا اثباتها تجسيما ، فهذا ظن غير صحيح ،لأن مثبت هذه الصفات لله تعالى ، يثبتها له عز وجل منزها الله عن أن تشبه صفاته صفات المخلوقين فهى صفات تليق بجلاله وعظمته "ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير"

قال شيخ الاسلام:

ومن قال: ليس بجسم بمعنى أنه لا يرى فى الآخرة ، ولا يتكلم ... ولا يقوم به العلم ، والقدرة ، وغيرهما من الصفات ولاترفع الأيدى اليه فى الدعاء ، ولاعرج بالرسول اليه ولايصعد اليه الكلم الطيب ، ولاتعرج الملئكة والروح اليه فهذا قول باطل ، وكذلك كل من نفى ما أثبته الله ورسوله وقال: ان هذا تجسيم فنفيه باطل ،وتسمية ذلك تجسيما تلبيس منه ، فانه ان اراد أن هذا يقتضى أن يكون جسما والأجسام متماثلة قيل له أكثر العقلاء يخالفونك فى تماثل الأجسام المخلوقة ، وفى أنها مركبة فلا يقولون ان الهواء مثل الماء ،ولا أبدان الحيوان مثل الحديد ، والجبال ، فكيف يوافقونك على أن الرب يكون مماثلا لخلقه اذا أثبتوا له ما أثبت الكتاب والسنة والتشبيه قد نفى المماثلة فى بعض المخلوقات ، وكلاهما جسم كقوله تعالى :ـ

" وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم " (١) مع أن كلا بشر فكيف يجوز ان يقال : اذا كان لرب السموات علم ، وقدرة أنه يكون مماثلا لخلقه ، والله تعالى ليس كمثله شيئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ونكتة الأمر ، أن الجسم فى اعتقاد هذا النافى يستلزم مماثلة سائر الأجسام ، ويستلزم أن يكون مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، وأكثر العقلاء يخالفونه فى التلازم (٢) .

---

(١) سورة محمد :٣٨ (٢) تفسير سورة الاخلاص ص ٧٠ـ٧١ .

قال العلامه بن قيم الجوزيه :

" واعلم أن لفظ الجسم لم ينطق به الوحى اثباتا فيكون له الاثبات ولانفيا فيكون له النفى ، فمن اطلقه نفيا او اثباتا سئل عما أراد به فان قال : أردت بالجسم معناه فى لغة العرب ، وهو البدن الكثيف الذى لا يسمى فى اللغة جسما سواه ، فلا يقال للهوى جسم لغة ولا للنار ، ولا للماء فهذه اللغة ، وكتبها بين أظهرنا ، فهذا المعنى منفى عن الله عقلا وسمعا " ... وان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ، ويرى بالأبصار ويتكلم ، ويكلم ، ويسمع ، ويبصر ، ويرضى ، ويغضب .

فهذه المعانى ثابتة له تعالى ، وهو موصوف بها ، فلا تنفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما ... ثم أنشد بالأبيات التالية فقال :

وان كان تجسيما ثبوت استوائه * على عرشه انى اذا لمجسم

وان كان تشبيها ثبوت صفاته * فمن ذلك التشبيه لا أتكتم

وان كان تنزيها جحود استوائه * وأوصافه او كونه يتكلم

فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا * بتوفيقه والله أعلى وأعظم ...

وان أردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق به ـ بأصبعه رافعا بها الى السماء بمشهد الجمع الأعظم ، مستشهدا له لا للقبلة

وان أردتم بالجسم ما يقال : أين هو ؟ فقد سأل أعلم الخلق به ، بأين منبها على علوه على عرشه ، وسمع السؤال بأين ، وأجاب عنه ، ولم يقل هذا السؤال انما يكون عن الجسم ... وان أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر غير أمر ، فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها ، من السمع ، والبصر ، والعلم ، والقدرة ، والحياة ، وهذه صفات متميزة متغايرة....

وإن أردتم بالجسم ماله وجه ، ويدان ، وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى ، وبيديه ، وبسمعه ، وبصره ، وغير ذلك من صفاته التي أطلقها على نفسه ، وإن اردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويا على غيره ، فهو سبحانه فوق عباده مستو على عرشه " (١) .

---

(١) مختصر الصواعق المرسله جـ ١ ص ١١٢ ــ ١١٣ .

الاجمال فى لفظ التركيب

ان كان مرادهم بالتركيب المنفى عن الله تعالى أنه سبحانه ، ليس مركبا من الجواهر الفردة ، أو من الصورة والهيولى أو أن الله ليس ذا أجزاء متفرقة ثم جمعت فهذه المعانى لا يختلف فيه اثنان من المسلمين فى تنزيه الرب عنها عز وجل ، وأما ان كان المقصود بالتركيب المنفى عن الله تعالى نفى أن يكون متصفا بالأوصاف التى ورد الكتاب والسنة باثباتها له تعالى فهذا لا يسمى تركيبا فى عرف الشرع ، واللغة العربية (١) اذ لا دليل لهم شرعا وعقلا ولغة على أن اتصاف الرب بصفاته العلية يسمى تركيبا ، ولكن تسمية ذلك تركيبا اصطلاح يخص بعض علماء الكلام ، دون من سواهم * وفى بيان خطأ ارادة هذا المعنى يقول ابن قيم الجوزية :

ان أردتم بالتشبيه ، والتركيب نفى هذه المعانى " التى دل عليها الوحى والعقل ، فنفيكم لها بهذه الألقاب المنكرة ، خطأ فى اللفظ والمعنى ، وجناية على ألفاظ الوحى أما الخطأ اللفظى فتسميتكم الموصوف بذلك جسما مركبا مؤلفا مشبها بغيره ، وتسميتكم هذه الصفات تركيبا وتجسيما وتشبيها ، فكذبتم على القرآن ، وعلى الرسول وعلى اللغة ، ووضعتم لصفاته ألفاظا منكم بدئت واليكم تعود * وأما خطئوكم فى المعنى فنفيكم وتعطيلكم لصفات كماله ، بواسطة هذه التسمية والألقاب ، فنفيتم المعنى الحق ، وسميتموه بالاسم المنكر (٢) وقال شيخ الاسلام :

والنظار كلهم متفقون فيما أعلم أن الجسم يشار اليه ، وان اختلفوا فى كونه مركبا من الأجزاء المتفرقة ، أو من المادة والصورة ، أو لا من هذا ولا من هذا ** فاذا عرف تنازع النظار فى حقيقة الجسم ، فلا ريب أن الله سبحانه ليس مركبا من الأجزاء المنفردة ، ولا من المادة والصورة ، ولا يقبل سبحانه التفريق والاتصال ، ولا كان متفرقا فاجتمع ، بل هو

---

(١) لأن المركب فى اللغة يراد به ما ركبه غيره ، وما كان متفرقا فاجتمع أو ما يقبل التفريق ـ ذكره شيخ الاسلام فى منهاج السنه جـ ١ ص ٢٥٢ ، ٢٦٥ وابن قيم الجوزيه فى الصواعق المرسله جـ ١ ص ١١٤

(٢) مختصر الصواعق المرسله جـ ١ ص ١١٣ ـ ١١٤

سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فهذه المعانى المعقولة من التركيب كلها ، منفية عن الله تعالى "

(ولفظ " المركب يطلق) على ما كان أجزاؤه متفرقة فجمع ، أما جمع امتزاج ، وأما غير امتزاج ، كتركيب الأطعمة والأشربة والأدوية ، والأبنية ، واللباس ، من أجزائها ، ومعلوم نفى هذا التركيب عن الله ، ولا نعلم عاقلا يقول أن الله مركب بهذا الاعتبار ...

وأما كونه تعالى ذاتا مستلزمة لصفات الكمال ، له علم وقدرة وحياة ، فهذا لا يسمى مركبا فيما يعرف من اللغات ... ولا دليل على نفى هذا ... بل الدلالة العقلية توجب اثباته ، ولهذا كان جميع العقلاء مضطرين الى اثبات معان متعددة لله تعالى "

والمعتزلى يسلم أنه حى ، عالم ، قادر ، ومعلوم أن كونه حيا ليس معنى كونه عالما ، ومعنى كونه عالما ، ليس معنى كونه قادرا ...) وكذلك جميع الطوائف مضطرون الى اثبات شيء ما من الصفات كالفلاسفه ، وغيرهم ، فان الذات المجردة عن جميع الصفات لا وجود لها ، الا فى الأذهان ، وليس لها ، وجود فى الخارج ، وهذا يبطل زعمهم أن اثبات الصفات لله يلزم منه التركيب ، والا يلزمهم مع اثباتهم بعض المعانى له تعالى ، الوقوع فى القول بالتركيب الذى يلزمون غيرهم من المثبتين للصفات (١)

---

(١) نقض تأسيس الجهمية ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ومنهاج السنة ج ١ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، ٢٦٩ وتفسير الاخلاص ص ٧٥ ـ ٧٦ ومختصر الصواعق المرسله ج ١ ص ١١٤ ـ ١١٥

الاجمال فى لفظ " الجهــــة " فى قولهم :
انه تعالى ليس فى جهـة من الجهات الست

بيان ذلك أنه قد يراد بنفى الجهـة أن الله تعالى ليس موجودا فى داخل هذا العالـم ، فان أريد هذا فهذا معنى صحيح اذ يستحيل أن يكون الله سبحانه فى شىء مـن مخلوقاته ، وان كان المقصود بنفى الجهـة نفى الجهة العدميـة التى هى عبارة عمـا فوق هذا العالم كلـه فهذه جهـة عدميـة لا يطلق عليها أنها جهـة وجوديـة والرب سبحانه وتعالى لما كان فوق خلقه ، لا يصح ان يقال أنه ليس فى جهة مرادا بذلـك نفى فوقيته ، وعلوه على خلقـه فوق عرشـه فعلى هذا الجهـة على قسمين :

١ ـ جهـة يجب أن ينزه الله تعالى عنها وهو هذا العالم الوجودى ، وهذا الكـون من المخلوقات ، فان اللـه ليس فى شىء من هذه المخلوقات .

٢ ـ الجهـة الثانيـة عدم محـض وهو ما فوق العالم فاثبات هذه الجهة لله تعالـى بمعنى كونـه فوق العالم واجب شرعا بدون تشبيـه ، ولا تكييف ولا تعطيل لأن هذه الجهـة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة ، واجماع سلف هذه الأمة ، بل الاديـان السماويـة والكتب المنزلـة جميعا تثبت ذلك اتفاقا فمن قال انه تعالى فـوق العالم لم يقل انه فى جهـة وجوديـة فان قيل اثبات كونـه فوق العرش ، اثبـات لجهـة الفوقيـة ، فهو اثبات للجهـة قيل له لا محذور فى ذلك لكونها جهـة شرعيـة بمعنى أن الشرع جاء باثبات هذه الجهـة لله تعالى فهى ثابتة له تعالـى شرعا ، وعقلا فمن اراد بنفى الجهـة عن الله تعالى ، أنه ليس فوق خلقـه بائنا عنه اذ يقولون انه فى كل مكان أو ليس داخل العالم ولا خارجـه كما هـو مذهب جل علماء الكلام من الجهميـة والمعتزلـة ومن على شاكلتهم فهذا نفـى باطل مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف هذه الأمـة .

قال شيخ الاسلام توضيحا لهذا المعنى " فاذا كان سبحانه فوق الموجـودات كلها ، وهو غنى عنها لم يكن عنده جهـة وجوديـة يكون فيها فضلا عن أن يحتاج اليها .

وأن اريد بالجهة ما فوق العالم فذلك ليس بشيء ، ولا هو أمر وجودي ..
وهؤلاء أخذوا لفظ الجهة بالاشتراك ، وتوهموا وأوهموا اذا كان في جهة كان في شيء غيره ، كما يكون الانسان في بيته ثم رتبوا على ذلك أن يكون محتاجا الى غيره والله تعالى غني عن كل ما سواه (١) .

ثم بين شيخ الاسلام مذاهب الناس في الجهة فقال:

" للناس في اطلاق لفظ الجهة ثلاثة أقوال: طائفة تنفيها وطائفة تثبتها ، وطائفة تفصل... وذلك أن لفظ الجهة قد يراد به ما هو موجود وقد يراد به ما هو معدوم ، ومن المعلوم أن لا موجود الا الخالق والمخلوق فاذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله كان مخلوقا والله لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات. وان أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم فليس هناك الا الله تعالى وحده .

فاذا قيل:

انه في جهة كان معنى الكلام أنه هناك فوق العالم حيث أنتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليه (٢) .

---

(١) نقض تأسيس الجهمية ص ٥٢٠ ومختصر الصواعق المرسله ج ١ ص ١١٥ ـ ١١٦

(٢) منهاج السنه ج ١ ص ٢٨٩ .

الاجمال فى لفظ التحيز

ولكى نعرف ما كان فى لفظ التحيز ، وما اشتق منه من الاجمال فى اصطلاح علماء الكلام يجب أن نعرف مقدما معناه فى اللغة فالمتحيز لغة : اسم لما يتحيز الى غيره ومن ذلك قوله تعالى :

" ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئه " (١) وهذا يستدعى حيزا وجوديا ولابد أن ينتقل من حيز الى حيز فا " التحيز ، والانحياز والتحوز ، وتحوذ لك تضمن عدولا من محل الى محل وهذا أخص من كونه يحوزه أمر موجود ، فهم يراعون فى معنى الحوز ذهابه من جهة الى جهة ... وأعم من هذا ان يراد بالمتحيز ما يحيط به حيز موجود فيسمى كل ما احاط به غيره أنه متحيز .

فالمتحيز لغة يلاحظ فيه المعانى التاليه :

١ـ معنى الانتقال من حيز الى حيز آخر .

٢ـ أن يكون محاطا بالحيز الوجودى " فمن نفى عن الله التحيز بهذا المعنى فهو نفى صحيح اذ يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله تعالى منزه عن ان يحيط به شيئ من مخلوقاته (٢) .

ومما تقدم يظهر أن من قال : " ان الله سبحانه وتعالى متحيز بمعنى (أنه) أحاط به شيئ من الموجودات فهذا مخطئ فهو سبحانه بائن من خلقه ، وما ثم موجود الا الخالق والمخلوق واذا كان الخالق بائنا عن المخلوق امتنع أن يكون

---

(١) سورة الانفال : ١٦

(٢) منهاج السنه النبوية جا ص ٣٣٣ـ٣٣٤ وتفسير سورة الاخلاص ص ٨٨ ونقض تأسيس الجهمية ص ٥٢٠ ـ ٥٢١ .

الخالق فى المخلوق وامتنع أن يكون متحيزا بهذا الاعتبار وان اراد بالحيز امرا عدميا فالأمر العدمى لاشيء وهو سبحانه بائن عن خلقه فاذا سمى العدم الذى فوق العالم حيزا وقال يمتنع أن يكون فوق العالم ، لئلا يكون متحيزا فهذا معنى باطل ، لأنه ليس هناك موجود غيره سبحانه حتى يكون فيه ، وقد علم بالعقل والشرع أنه بائن عن خلقه ... وهذا مما احتج به سلف الامة وأئمتها على الجهمية كما احتج به الامام أحمد فى رده على الجهمية ، وعبدالعزيز الكنانى ، وعبدالله ابن سعيد بن كلاب والحرث المحاسبى وغيرهم ، وبينوا أنه سبحانه وتعالى كان موجودا قبل أن يخلق السماوات والأرض ، اما أن يكون قد دخل فيها أو دخلت فيه وكلاهما ممتنع فتعين أنه بائن عنها وقرروا ذلك بأنه يجب أن يكون مباينا لخلقه أو مدا خلاله ، والنفاة يدعون وجود موجود لامباين بغيره ولامداخل له وهذا ممتنع فى بداية العقول لكن يدعون أن القول بامتناع ذلك هو من حكم الوهم لا من حكم العقل (١) .

---

(١) منهاج السنه ج ١ ص ٢٣٤ ونقض تأسيس الجهمية ص ٥٢١ .

الاجمال فى الالفاظ الآتية
الحركة والانتقال والأعراض

" وأما الذين نفوا الحركة والانتقال فان نفوا ما هو من خصائص المخلوقين فقد أصابوا ، ولكن أخطئوا فى ظنهم أن ذلك لازم ما أثبته الله لنفسه وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا لاتقول متحرك ولاتقول ينتقل ولاتنفى ذلك عنه فهم أسعد بالصواب والاتباع فانهم نطقوا بما نطق به النص وسكتوا عما سكت النص عنه من لفظ مجمل يحتمل حقا وباطلا كلفظ الحركة والانتقال والأعراض ومن نفاها مطلقا فقد أخطأ فان معانيها منقسمة الى ما يمتنع اثباته لله وما يجب اثباته له فان الانتقال يراد به انتقال الجسم والعرض من مكان هو محتاج اليه الى مكان آخر يحتاج اليه ، وهذا يمتنع اثباته للرب تبارك وتعالى وكذلك الحركة اذا أريد بها هذا المعنى امتنع اثباتها لله تعالى ، ويراد بالحركة والانتقال حركة الفاعل من كونه غير فاعل الى كونه فاعلا ، وانتقاله أيضا من كونه غير فاعل الى كونه فاعلا فهذا المعنى حق فى نفسه لايعقل كون الفاعل فاعلا الا به فنفيه عن الفاعل نفى لحقيقة الفعل وتعطيل له " وهذا المعنى الحق لايجوز نفيه عن الله تعالى ... وقد دل القرآن والسنة والاجماع على أنه سبحانه يجيئ يوم القيامة وينزل لفصل القضاء بين عباده .... فلا يجوز نفى هذه الأفعال عنه بنفى الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين فانها ليست من لوازم افعاله المختصة به فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه ، وما كان من خصائص الخلق لم يجز اثباته له ، وحركة الحى من لوازم ذاته ولا فرق بين الحى والميت الا بالحركة والشعور فكل حى متحرك بالارادة وله شعور فنفى الحركة عنه كنفى الشعور وذلك يستلزم نفى الحياة.

وأما الاجمال فى لفظ " الأعراض " المنفى عن الله تعالى فانهم ان ارادوا بذلك نفى الصفات التى اثبتها الكتاب والسنة فهذا نفى باطل وان ارادوا نفى ما هو من خصائص المخلوقين فلا يلزم من اثبات الصفات اثبات ما هو من خصائص المخلوق (١) .

كان ما ذكرنا بعضا من الالفاظ المجملة التى كانت ذريعه وسببا اوجب المؤولون لأجله تأويل جميع الصفات الخبرية التى لا يثبتها العقل لديهم وقد تبين لنا أن المعنى الحق فى الالفاظ المجملة ، يجب اثباته والمعنى الباطل يجب نفيه ، وان الالفاظ المجمله لم يرد اطلاقها فى الكتاب والسنه نفيا ولا اثباتا .

---

(١) مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ نشر مكتبة الرياض الحديثه البطحاء الرياض.

شبهات النفاة للصفات الاختيارية

أما الشبهات التى تخص الصفات الفعلية الاختيارية فنلخصها فيما يلى :ـ

قالوا :

١ـ ان هذه الصفات من جملة الاعراض الحادثة ، اذ هى متعلقة بمشيئته تعالى واختياره فلو قامت بذات الرب لزم أن يكون محلا للحوادث ، ومحل الحوادث يجب أن يكون حادثا ، لاستحالة حوادث لا أول لها اذ تسلسل الحوادث الى مالانهاية له باطل ، وما لا يسبق الحادث فهو حادث (١) .

٢ـ الصفات الاختيارية حادثة ، فلو قبل اتصافه بها لكان قابلا للحوادث فى الأزل اذ تكون القابلية حينئذ من لوازم ذاته فتكون أزلية ، ويستحيل أن تكون القابلية ممتنعة أزلا ثم صارت ممكنة والا لزم الانقلاب من الامتناع الذاتى الى الامكان الذاتى ، وهو باطل . واذا كانت القابلية من لوازم ذاته ، وقابلية الشيء لغيره نسبة بين القابل والمقبول فيلزم من تحققها أزلا تحقق القابل والمقبول أزلا لكن تحقق المقبول وهو الحادث أزلا باطل ، وبهذا يتبين أنه تعالى لايقبل الاتصاف بالحادث فلا تقوم به الحوادث .

٣ـ ما يقوم بذات الرب ، اما ان يكون صفة كمال ، أولا يكون ، فان لم يكن صفة كمال استحال قيامه به ، لان اجماع الامة على أن صفات الله تعالى بأسرها صفات كمال فاثبات صفة ليست من صفات الكمال خرق للاجماع وأنه غير جائز .

---

(١) أنظر منهاج السنة جـ ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ ، وموافقة صريح المعقول جـ ٢ ص ٩٣ وكذلك منه جـ ١ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨ ملخصا .

وان كان صفة كمال ، استحال ان يكون حادثا ، والا كانت ذاته قبل الانصاف بتلك الصفة خالية عن صفة الكمال ، والخالى عن صفة الكمال الذى يمكن الاتصاف به ناقص ، والنقص على الله تعالى محال باجماع الأمه (١).

٤ - لو قامت به الحوادث ، لتغير ، والتغير باطل .

وللرد على هذه الادلة أقول :

أما الدليل الأول : "فأصل هذا الكلام من الجهمية فانهم قالوا " باستحالة دوام الحوادث التى لا أول لها ، فيمتنع أن يكون البارى عز وجل لم يزل فاعلا متكلما بمشيئته بل يمتنع أن يكون قادرا على ذلك لأن القدرة على الممتنع ممتنع ... قالت الجهمية ومن وافقهم " نحن لانسلم أن امكان الحوادث لابداية له لكن نقول :

امكان الحوادث يشترط كونها مسبوقة بالعدم ، لابداية له وذلك لأن الحوادث عندنا تمتنع أن تكون قديمة النوع بل يجب حدوث نوعها (٢) وستأتى الاجابة عن هذه الشبهة قريبا ان شاء الله تعالى .

وأما الدليل الثانى فيقال فيه بأن قدرة الله تعالى أزلية ، ولا يلزم من أزلية القدرة على حادث معين أن يصح وجود هذا المعين أزلا .

والحادث الذى يقوم بذاته تعالى مقبول مقدور فاذا كان لايلزم من أزلية القدرة أن يصح وجود المقدور المعين أزلا ، لم يلزم من قابليته لحادث ، أن يصح وجود هذا الحادث لأن هذا الحادث المقبول مقدور من المقدورات .

فهذا الدليل مبنى على أن القابلية نسبة بين شيئين فيلزم من تحقيقها ، تحقيقهما فى زمن واحد ، مع أن القدرة على شىء نسبة بين قادر ، ومقدور ، ولا يلزم من قدرته

---

(١) موافقة صريح المعقول ج ٢ ص ٩٨ - ١٣٢ - ١٣٣

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٥ - ٧١ ورسالة حروف القرآن وأصواتنا به ضمن شذرات البلاتين ص ٤٠٠ - ٤٠١ لشيخ الاسلام ابن تيمية .

تعالى على شيء في الأزل وجود المقدور أزلا فكذلك اذا قيل هو قابل لهذا الحادث لم يلزم من ذلك وجود الحادث أزلا اذ يمتنع أن يكون الحادث المعين أزليا .

وأما الدليل الثالث فيقول ابن تيمية في الرد عليه :

" ليس كل فرد من الأفراد صفة كمال ، مستحقة القدم بحيث يكون عدمها في الأزل نقصا وما اقتضت حكمته تعالى حدوثه في وقت لم يكن عدمه قبل ذلك نقصا بل الكمال عدمه حين لا تقتضي الحكمة وجود حدوثه "(١) مع أنه تعالى كان متصفا بنوع تلك الافراد وقابلا اياها أزلا وأبدا وأما وجود فرد حينا وعدمه حينا آخر لا يقتضي النقصان

وأما الجواب عن الدليل الرابع :

أنه ان أريد بالتغير قيام الحوادث به كان بمنزلة لو قامت به الحوادث ، قامت به الحوادث ، فيتحد اللازم والملزوم وان أريد بالتغير غير مجرد قيام الحوادث ، مثل ان يعني به الاستحالة في الصفات ، كما يقال تغير المريض وتغيرت البلاد ونحو ذلك ، فلا دليل على أنه يلزم من قيام الحوادث به التغير بهذا المعنى فان من عادته من الناس ان يقرأ القرآن لا يقال انه كلما قرأ قد تغير ، وانما يقال ذلك لمن لم يكن عادته هذا الفعل اذا تغيرت صفته ، وعادته (٢) والله تعالى لم يزل فعالا لما يشاء ولا يقال كلما فعل قد تغير .

ثم ان الرازي ذكر في "أعظم كتبه " نهاية العقول " أنه ليس في هذه المسألة (مسألة حلول الحوادث بذاته تعالى) دليل عقلي على النفي ، فلا يمكنه أن يقيم عليهم (يعني الكرامية) فيها دليلا عقليا .

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول جـ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٣

(٢) أنظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول جـ ٢ ص ١٠١

وغايـة ما اعتصم فيها بما ادعاه من الاجماع على أنه سبحانه وتعالى غير موصوف بالنقائص وأن الحادث ان كان صفـة كمال فقد كان قبل ذلك ناقصا ، وان لم يكن صفة كمال ، فالاجماع منعقد على أنه تعالى لايوصف بغير صفـة الكمال . (١) وقد تبين مافى هذا الدليل .

وقد استدل كل من القاضى عبدالجبار المعتزلى وأبى المعالى الجوينى على استحالـة ان يكون نوع الحوادث قديما فذكرا :

انه يلزم القائلين بحوادث لا أول لها ، التناقض فى كلامهم حيث حكموا على مجموع الحوادث أنه لا أول له دون كل واحـد من آحادها ، وهذا تفريق بدون فارق ، لأن تلـك الآحاد جزء من مجموع الحوادث التى حكموا عليها بالدوام مع أن حقيقة الحادث لاتختلف مجموعا وآحادا لأن حقيقـة الحادث هو الموجود الذى له أول فاذا كان هذا حقيقـة الحادث الواحد ، فحقيقـة الحوادث هى التى لها أول ، اذ الحقائق ، لاتختلـف بانضمام آحاد الى أفراد ، والذى يقـرر ذلك الجوهر الواحد اذا كان حقيقتـه التحيز فالجوهـر متحيز . (٢)

~~(١) الشامل للجوينى ص ٢١٦ وأنظر المحيط بالتكليف ص ٥٩~~

(١) بيان تلبيس الجهمية ص ٣١٣

(٢) الشامل للجوينى ص ٢١٦ وانظر المحيط بالتكليف ص ٥٩ المطبعة الكاثوليكية بيروت

مذاهب الناس في مسألة حلول الحوادث بذاته تعالى والرد على القائلين بامتناع ذلك

قال شيخ الاسلام : القول بحلول الحوادث في ذاته عز وجل " هو مذهب أكثر أهل الحديث ، بل قول أئمة أهل الحديث ... وهو الذى نقلوه عن سلف الامة وأئمتها ، وكثير من الفقهاء ، والصوفية أو أكثرهم ، وفيهم من الطوائف الاربعة الحنفية ، والمالكية والشافعية ، والحنبلية ، من لا يحصى عدده الا الله تعالى ، وقد ذكره هو - يعني الرازي - في غير موضع من كتبه أن القول بحلول الحوادث يلزم كل الطوائف حتى المعتزلة والفلاسفة وذكر ذلك عن أبي البركات البغدادي صاحب المعتبر وهو من أعظم الفلاسفة المتأخرين قدرا وأنه قال :
ان ألوهيته لهذا العالم لا تتم الا بذلك (١)

" وكل طائفة من طوائف الأمة وغيرهم فيها (٢) على قولين حتى الفلاسفة لهم فيها قولان لمتقدميهم ، ومتأخريهم ... وأول من صرح بنفيها الجهمية من المعتزلة ونحوهم ووافقهم على ذلك أبو محمد بن كلاب وأتباعه كالحارث المحاسبي ، وأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الاشعري ومن وافقهم من أتباع الأئمة كالقاضي أبي يعلى وابي الوفاء بن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني وهو قول طائفة من متأخري أهل الحديث كأبي حاتم البستي والخطابي ونحوهما وكثير من طوائف أهل الكلام

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ص ٣٠٣ _ ٣٠٤ وانظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ج ٢ ص ٩١ _ ٩٢ .
(٢) يعني في مسألة حلول الحوادث بذاته تعالى .

يثبتها كالهشامية والكرامية والزهيرية ، وأبى معاذ التومنى وأمثالهم ، كما ذكره الأشعرى عنهم فى المقالات وهو قول أساطين فلاسفة المتقدمين وكأبى البركات صاحب المعتبر وأمثاله من المتفلسفة وهو قول جمهور أئمة الحديث كما ذكره عثمان ابن سعيد الدارمى ، وامام الائمة ابو بكر بن خزيمة وغيرهما عن مذهب السلف والأئمة وكما ذكره شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصارى وأبو عمر بن عبد البر النمرى ... ولا ريب أن الطرق الدالة على الاثبات والنفى اما السمع واما العقل أما السمع فليس مع النفاة منه شيء بل القرآن والأحاديث هى من جانب الاثبات كقوله تعالى :

" انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون " وقوله تعالى " خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش " وقوله سبحانه " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

وأمثال ذلك مما فى القرآن ... وأما الطرق العقلية فالمثبتون يقولون انها من جانبهم دون جانب النفاة كما تزعم النفاة أنها من جانبهم ، وذلك أنهم قالوا أن قدرته على ما يقوم به من الكلام والفعل صفة كمال ، كما أن ما يقوم به من العلم والقدرة صفة كمال ومن المعلوم أن من قدر على أن يفعل ويتكلم أكمل ممن لا يقدر على ذلك ، كما أن قدرته على أن يبدع الاشياء صفة كمال والقادر على الخلق أكمل ممن لا يقدر على الخلق ، وقالوا الحى لا يخلوا عن هذا والحياة هى المصححة لهذا كما هى المصححة لسائر الصفات واذا قدر حى لا يقدر على ان يفعل بنفسه ويتكلم بنفسه كان عاجزا بمنزلة الأخرس ... ... " (١)

---

(١) شرح العقيدة الاصفهانية ضمن مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٦٠ - ٦١ مطبعة " كردستان العلمية " سنة ١٣٢٩هـ وبيان تلبيس الجهمية ص ١٤٥ .

وأما القول :

بأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، فهو كلام مجمل فيه حق وباطل ، فيقبل منه ما كان صحيحا ، ويرد منه ما كان باطلا .

وتفصيله أن يقال :

ان كان مقصودكم بالحوادث حوادث محصورة معينة ، علم أن لها بداية ، ونهاية لاشك أن مالايخلو من هذا النوع من الحوادث فهو حادث دون خلاف بين اهل العلم فى ذلك بخلاف ما لايخلو من جنس الحوادث المتعاقبة ، واحدة بعد أخرى الى غير نهاية ، فهذا لايكون مالايخلو منه حادثا عند كثير من العقلاء (١)

وقال شيخ الاسلام بن تيمية :

" أنتم تقولون ان الرب كان معطلا فى الأزل ، لايتكلم ولا يفعل شيئا ثم أحدث الكلام، والفعل بلا سبب حادث أصلا فلزم ترجيح أحد طرفى الممكن على الآخر بلا مرجح ، وبهذا استطالت عليكم الفلاسفة فخالفتم أئمة أهل الملل وأئمة الفلاسفة فى ذلك وظننتم أنكم أقمتم الدليل على حدوث العالم بهذا حيث ظننتم أن مالا يخلو من نوع الحوادث يكون حادثا لامتناع حوادث لانهاية لها وهذا الأصل ليس معكم به كتاب ولا سنة ولا أثر من الصحابة والتابعين بل الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة والقرابة وأتباعهم بخلاف ذلك ، والنص والعقل دل على أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق حادث كائن بعد ان لم يكن ولكن لايلزم من حدوث كل فرد فرد مع كون الحوادث متعاقبة حدوث النوع ، فلا يلزم من ذلك أنه لم يزل الفاعل المتكلم معطلا عن الفعل

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ١ ص ٨٦ _ ٨٧ وكذلك ص ٩١ _ ٩٢ جـ ٢ من نفس المصدر .

ومنهاج السنه النبويه جـ ١ ص ١٦٠ ، ١٤٥ _ ١٤٦ .
ورسالة حروف القرآن وأصواتنا به ضمن شذرات ص ٤٠٠ _ ٤٠١

والكلام ثم حدث ذلك بالسبب كما لا يلزم مثل ذلك فى المستقبل فان كل فرد فـــــرد
من المستقبلات المنقضية فان ، وليس النوع فانيا كما قال تعالى : " أكلها دائـــــم
وظلها " وقال تعالى : " ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ، والدائم الذى لاينفد أى لاينقض
هذا النوع والا فكل فرد من أفراده نافد منقض ليس بدائم وذلك أن الحكم الـــذى
وصف به الأفراد ان كان المعنى موجودا فى الجملة وصفت به الجملة مثل وصـــف
كل فرد بوجود أو امكان أو بعدم فانه يستلزم وصف الجملة بالوجود والامكان والعدم
... وأما اذا كان ما وصف به الأفراد لايكون صفة للجملة لم يلزم ان يكـــون
حكم الجملة حكم الأفراد ... وكذلك اذا وصف كل واحد واحد من المتعاقبـــات
بفناء أو حدوث لم يلزم أن يكون النوع فانيا ، أو حادثا بعد ان لم يكـــن
لأن حدوثه ، معناه أنه وجد بعد أن لم يكن كما أن فناؤه معناه انه عـــدم
بعد وجوده وكونه عدم بعد وجوده او وجد بعد عدمه يرجع الى وجوده وعدمـــه
لا الى نفس الطبيعة الثابتة للمجموع .... فليس اذا كان هذا المعين لايدوم يلـــزم
أن يكون نوعه لايدوم لأن الدوام نعاقب الأفراد وهذا أمر يختص به المجمـــوع
لايوصف به الواحد واذا حصل للمجموع بالاجماع حكم يخالف به حكم الافراد لـــم
يجب مساواة المجموع للافراد فى أحكامه وفى الجمله فما يوصف به الافراد قد توصـــف
به الجملة وقد لاتوصف به فلا يلزم من حدوث الفرد حدوث النوع الا اذا ثبـــت
أن هذه الجملة موصوفة بصفة هذه الأفراد .

---

(١) منهاج السنه جـ ١ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

الرد على المانعين بتسلسل الحوادث

والمتكلمون يستدلون لابطال تسلسل الحوادث (١) فى الماضى بأدلة من أهمها الطريقة التى تسمى "برهان التطبيق" ومن الذين استدلوا به ، سعد الدين التفتازانى (٢) والامام الرازى حيث يقول :

أننا " اذا فرضنا الحوادث الماضية من اليوم الى الأزل جملة ومن زمان الطوفان الى الأزل جملة أخرى ، فلا شك ان الجملة الأولى أزيد من الجملة الثانية بما بين زمان الطوفان الى هذا اليوم فاذا طبقنا فى الوهم الطرف المتناهى من الجملة الزائدة على الطرف المتناهى من الجملة الناقصة ، حتى يقابل كل فرد من أفراد احدى الجملتين بما يشابهه فى الرتبة من الجملة الأخرى ، فان لم تنقص الجملة الناقصة عن الزائدة فى الطرف الآخر كان الشيء مع غيره كهو لا مع غيره .

وهذا محال ، وان انقطعت الجملة الناقصة من ذلك الطرف كانت متناهية من ذلك الطرف وكانت متناهية من جانب الأزل ، والزائد ، زائد عليها بمقدار متناه ، والزائد على المتناهى بمقدار متناهى يكون متناهيا ، فالكل متناه فى جانب الأزل " (٣)

قال شيخ الاسلام :

وعمدة من يقول : بامتناع مالا نهاية له من الحوادث انما هى دليل التطبيق ......

---

(١) وفى هذا ما وعدنا سابقا عن الكلام على الدليل الأول .

(٢) وذلك فى كتابه " شرح العقائد النسفيه ص ٦٠

(٣) الأربعين فى أصول الدين للرازى ص الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدرأباد سنة ١٣٥٣هـ.

المقتضى تفاوت الجملتين ، ثم يقولون : والتفاوت فيما لايتناهى محال •

مثال ذلك أن يقدروا الحوادث من زمن الهجرة الى مالا يتناهى فى المستقبل ، أوالماضى والحوادث من زمن الطوفان الى مالا يتناهى أيضا ،

ثم يوازنون الجملتين فيقولون :

ان تساويا لزم أن يكون الزائد كالناقص ، وهو ممتنع فان احداهما زائدة على الأخرى بما بين الطوفان والهجرة وان تفاضلتا لزم أن يكون فيما لايتناهى تفاضل وهو ممتنع (١)•

وقد أجاب عن دليل التطبيق هذا كل من شيخ الاسلام والشيخ محمد عبده رحمهما الله•

فأجاب شيخ الاسلام بالاجوبة التالية :

أولا :

اننا نمنع التفاضل بين السلسلتين باعتبار ، ولا تمنعه باعتبار آخر ، بل نسلم صحة ذلك ،

وبيان ذلك أن الحوادث من الطوفان الى مالا نهاية له فى المستقبل لاشك أعظم قدرا ، وأكثر كما ، من حوادث الهجرة الى مالا نهاية له فى المستقبل ، وبالعكس من الهجرة الى مالا بداية له فى الماضى اعظم قدرا من الطوفان الى مالا بداية له فى الماضى مع تسليمنا ان كلا من السلسلتين ليس له بداية فيجوز تفاوت السلسلتين قدرا ، وكما ، دون تفاوتهما من جانب الطرفين والكل يشترك فى عدم التناهى ، ولكن الاشتراك فى عدم التناهى لايقتضى التساوى فى المقدار •

---

(١) منهاج السنه جـ ١ ص ١٦٠ـ١٦١ وموافقة صريح المعقول جـ ١ ص ٢٤٨ـ٢٤٩

لان تفاوت السلسلتين من حيث الكم والعدد شيء مسلم به نظير ذلك ، أننا لو ضاعفنا الآحاد والعشرات والمآت فلكل يشترك فى عدم التناهى ، وفى نفس الوقت يجوز ان نقول :

ان تضعيف العشرات وتضعيف الآلاف اكثر من تضعيف المآت وهكذا وهذا واضح بحمد الله .

ثانيا :

أننا نسلم التفاضل الذى حصل بين السلسلتين ، ولا مانع منه لأنه لم يكن من جانب الأزل الذى لايتناهى ، ولكنه حصل من جانب المستقبل ، مما يلى جانبنا ، وهذا لا محذور فيه وبناء على هذا لايصح القول بأنه وقع التفاوت فيما لايتناهى لأن " هذا يشعر بأن التفاوت حصل فى الجانب الذى لا آخر له ، وبذلك يتضح غلط من يقول يلزم التفاضل أو التساوى فيما لايتناهى .

ثالثا :

أن الموازنة والتطبيق المزعوم لم يكن أمرا حقيقيا بل أنه مجرد فرض وتقدير لأن ما مضى من الحوادث فقد عدم ، ومالم يحدث لم يكن ، فالتطبيق فى مثل هذا أمر يقدر فى الذهن ، لا حقيقه له فى الخارج كتضعيف الأعداد ، فان تضعيف الواحد أقل من تضعيف العشرة ، وتضعيف العشرة أقل من تضعيف المائة وكل ذلك لانهاية له لكن ليس هو أمرا موجودا فى الخارج (١)

كان هذا خلاصة ما اجاب به شيخ الاسلام عن هذا الدليل وأما الشيخ محمد عبده فانه قال فى اجابته عن هذا الدليل :

---

(١) منهاج السنه جـ ١ ص ١٦١ ـ ١٦٢ وأنظر أيضا موافقة صريح المعقول جـ ١ ص ٢٤٨

" ونحن نقول أنه (أى دليل التطبيق) سفسطه فان العقل لايسوغ انطباق الرأسين الا بجذب غير المتناهى الناقص ، ليصل الى رأس الزائد ، أو ينمو الناقص حتى يصل الى الزائد ، أو بذبول الزائد • حتى يصل الى الناقص ، أو يتخلخل الناقص أو يتكاثف الزائد حتى يتساوى راساهما ، أو يعطف رأس الزائد الى رأس الناقص والاول محال لمكان عدم التناهى ، اذ غير المتناهى لاينجذب وما بعده الا الأخير لايستلزم انطباق كل جزء على جزء محالا •

فلم يبق الا الأخير ، فاذا فرض العقل انعطاف الزائد حتى انطبق الرأسان فذلك فرض جائز ، والحكم بعد ذلك بانطباق كل جزء من احدى السلسلتين على كل جزء من أجزاء الاخرى حكم باطل للزوم تساوى الناقص والزائد ••• وعند الانحناء لايلزم من انطباق الراسين انطباق كل جزء على كل جزء بل ما كان في المنحنى لم ينطبق على شيء ، ولم تظهر الزيادة فى الطرف الآخر " (١) أ هـ

---

(١) حاشية على شرح العقائد العضديه للشيخ محمد عبده ص ٣٧ ، ٣٨ •

برهان التضايف

ومما استدل به المتكلمون على بطلان تسلسل الحوادث فى الماضى ما يسمى (برهان التضايف) ٠

قبل أن نسوق هذا الدليل نقول : المتضايفان هما الأمران الذان لايعقل أحدهما بدون الآخر ، فاذا تحقق أحدهما من حيث أنه مضاف انما يكون مع تحقق الآخر سواء كان ذلك فى الذهن ، أو فى الخارج فالمتضايفان بينهما نسبة التضايف ، ولا تكون النسبة بين شيئين الا اذا كان الشيئان ، فلا ينفرد أحدهما عن الآخر ، فهما متكافئان وذلك كالعلة ، والمعلول ، والسابق والمسبوق ، والأب والابن والمتقدم والمتأخر وغير ذلك واذا كان المتضايفان ، متكافئين ، فلا يزيد عدد أحد المتضايفين على عدد الآخر ٠

اذا تقرر هذا فلو فرضنا أن سلسلة كل من آحادها قد تقدمه آخر كسلسلة الحوادث مثلا لوقع التضايف بين الآحاد بالسابقية والمسبوقية ولو ذهبت هذه السلسلة الى غير النهاية لزم أن يكون عدد المسبوقيات ، أكثر من عدد السابقيات لكن التالى – وهو كون عدد احدهما أكثر من الآخر ، باطل لما بينا أن عدد أحد المتضايفين لا يزيد على عدد الآخر ٠ وأما الملازمة فبيانها ، أننا لو أخذنا السلسلة من مسبوق معين ، وليكن هو من طرف السلسلة مما يلينا ، ثم ذهبنا مع الآحاد الى ما لانهاية له ، فكل واحد من أفراد السلسلة ما عدا المسبوق الأخير يتحقق فيه أنه سابق ومسبوق ، سابق لما بعده ومسبوق بما قبله ، فيتساوى عدد السابقيات مع عدد المسبوقيات ، ويبقى المسبوق الأخير مسبوقا ، لا سابقا اذ ليس بعده حادث فيكون سابقا عليه ، فمسبوقية الأخير لاتوازيها سابقية فيكون عدد المسبوقيات أكثر بواحد من عدد السابقيات فاذا فلابد ان تقف السلسلة من جانب الماضى عند حد فيكون هذا الذى وقفت عنده السلسلة سابقا ، وليس بمسبوق

فتكون سابقيته موازية بمسبوقية الأخير فيتكافأ العددان .

كان هذا وجه استدلال المتكلمين بهذا الدليل على استحالة تسلسل الحوادث .

والجواب :

أنه لو ذهبت السلسلة الى غير نهاية من جانب الماضى لم يزد عدد المسبوقيات على عدد السابقيات ذلك ان المسبوق الأخير ، وهو طرف السلسلة مما يلينا بينه وبين الذى تقدمه سابقية ومسبوقية فيتكافأن اذ كل منهما مضايف للآخر ثم ان هذا السابق على المسبوق الأخير مع ما قبله متضايفان ، وبينهما سابقيه ومسبوقية متكافئتان وهكذا الى غير النهاية يكون التكافؤ بين السابقيات والمسبوقيات ، فلا يزيد عدد أحدهما على الآخر بل اثنان اثنان كلما حققت التضايف ولو ذهبت سلسلة المتضايفات الى غير النهاية .

الاجمال فى لفظ " التسلسل "
وبيان مذاهب الناس فى تسلسل
الحوادث الى غير نهاية

هذه الكلمة مجملة يدخل تحتها ثلاث احتمالات ، منها ما هو ممنوع يجب رده وعدم قبوله اتفاقا ، ومنها ما هو حق يجب قبوله ، والذهاب اليه ، ومنها ما هو جائز ليس هناك مانع من القول به شرعا وعقلا .

فالأول وهو التسلسل الممنوع اتفاقا ـ التسلسل فى الفاعلين والخالقين أو المحدثين ، وهو أن يكون للمحدث محدث آخر وللمحدث محدث آخر الى مالا يتناهى "(١)

---

(١) منهاج السنه جـ ١ ص ١٦٢ وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول جـ ١ ص ٢٨٤ ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .

الثانى :

التسلسل الواجب ، وهو الذى دل عليه العقل والنقل وذلك دوام أفعال الرب تعالى فى الأبد ـ (وأنه كلما أنقضى لأهل الجنه نعيم أحدث لهم نعيما آخر ، لا نفاد له وكذلك التسلسل فى أفعاله سبحانه من طرف الأزل ، وان كل فعل مسبوق بفعل آخر فهذا واجب فى كلامه فانه لم يزل متكلما اذا شاء ولم يحدث له صفة الكلام ، فى وقت ، وهكذا أفعاله التى هى من لوازم حياته فان كل حى فعال والفرق بين الحى والميت الفعل ولهذا قال غير واحد من السلف الحى الفعال ، وقال عثمان بن سعيد ، كل حى فعال ولم يكن ربنا تعال قط فى وقت من الاوقات معطلا عن كماله من الكلام والارادة والفعل (١)

الثالث ـ وهو التسلسل الممكن ـ التسلسل فى الآثار من طرف الماضى فهذا فيه ثلاث مذاهب للناس .

المذهب الأول :

منعه فى الماضى والمستقبل وهو قول جهم بن صفوان وأبى الهذيل .

المذهب الثانى :

منعه فى الماضى فقط ـ وهو قول كثير من المتكلمين ففرقوا بين التسلسل فى طرف الأزل والتسلسل فى طرف الأبد فمنعوا الأول دون الثانى .

المذهب الثالث :

جوازه فى الماضى والمستقبل وهو قول أكثر أهل الحديث والفلاسفة ، لأن التسلسل فى مفعولاته تعالى فى الأزل كالتسلسل فى طرف الأبد دون فرق بينهما ، وكونه سبحانه وتعالى فاعلا أكمل من أن لا يفعل شيئا (٢).

---

(١) شارح الطحاوية ص ٧٣

(٢) منهاج السنة ج ١ ص ١٦٣ ، ٥٦ وشرح الطحاوية ص ٧٣٢ ـ ٧٤٠ وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

واليك فيما يلى ما حكاه الدكتور (حمودة غرابة) عن الشهرستانى والامام / محمد عبده / حيث صرح كل واحد منهما بفشل المتكلمين ، فى قولهم : مالايخلو من الحوادث فهو حادث لاستحالة تسلسل الحوادث ، قال ما نصه :

" يسوق الأشعرى فى البرهنة على حدوث العالم ، دليله الذى يمكن وضعه فى كلمات وهو أن جميع الأجسام مكونة من جواهر ، وأعراض ، بل يوجد تلازم بينهما ، فلا يوجد الجوهر بدون العرض ، ولا العرض بدون الجوهر ، ولكن الأعراض بالمشاهدة متغيرة فهى اذن حادثة واذن فالجواهر أيضا حادثة ، لأن ما لازم الحادث ، ولم يسبقه زمنا فى الوجود ، كان بالضرورة حادثا أيضا .

يعترف الشهرستانى نفسه فى مطلع كتابه ، نهاية الاقدام بأن هذا الدليل ، لايتم للأشعرى ، ومن تابعه فى الاستدلال به الا اذا تم لهم أولا الدليل على بطلان وجود حوادث متعاقبة لانهاية لها ، لأنه لو لم يتم لهم هذا فللقائلين بالقدم ، أن يقولوا سلمنا بأن الجوهر يلازم للعرض ، ولكن ليس عرضا بذاته يبقى معه ولكنه عرض ما يتعاقب على الجوهر واحدا بعد الآخر الى مالانهاية — فاذا قيس الجوهر الى أى عرض من هذه الأعراض المتعاقبة يكون سابقا عليه ، لا محالة ، وان كان بحسب الكل لا يخلو من جوهر ما ، (١) فيكون الجوهر قديما بذاته ، والأعراض قديمة بنوعها ، حادثة بشخصها وهذا لا استحالة فى القول به ، حاول الاشاعرة بعد الأشعرى أن يردوا على ذلك ، أن تعاقب الأعراض الشخصية على الجوهر ، الى غير نهاية باطل ، وساقوا فى ذلك أدلة كثيرة منها ، برهان التطبيق ، وبرهان التضايف الى غير ذلك ولكن هل نجحوا فى الاستدلال على بطلان القول بحوادث لانهاية لها

يقول الامام محمد عبده ان برهان التطبيق سفسطة وبرهان التضايف فيه تمويه

---

(١) هكذا فى النسخة التى عندى ولعل الصواب لا يخلو من عرض ما .

وليست له صحة على أى وجه قرر •

ومعنى ذلك فى رأيه أن القول باستحالة الحوادث المتعاقبة التى لانهاية لها ، مازال الى اليوم بحاجة الى دليل صحيح على أن الدليل الذى ساقه الأشعرى ، رغم محافظة كثير من أتباعه عليه ، وتمسكهم به يعتبر قاصرا ـ حتى على فرض صحته ـ من ناحية أنه لايبرهن ، الا على حدوث الأجسام الطبيعية التى تتوارد عليها الحوادث ، المتعاقبة •

أما الأجسام الثابتة ـ اذا كانت موجودة ، كما يدعى الفلاسفة ـ وكذلك المجردات فان الدليل لايتعدى اليها قطعا " (١)

وقد اتضح لنا من خلال دراستنا لشبهات النفاة المتقدمة أن الأصل الذى أوقع النفاة فى نفى الصفات الخبرية ، انما هو سلوكهم فى الاستدلال على وجود الصانع، بما يسمى " طريقة حدوث الأجسام " (٢)•

" وقد ابتدعت هذه الطريقة ، لأجل هذا الغرض " بعد المائة الأولى ، وانقراض عصر أكابر التابعين ، بل وأوساطهم (٣) وقد حرمها غير واحد من أئمة الاسلام ومن بينهم ابو الحسن الأشعرى ، فى رسالته الى أهل الثغر (٤)•

ومن هذه الطريقة نشأ القول بأن ظواهر النصوص تؤدى الى التشبيه والتجسيم كما نشأ منها تقديم العقل على النقل عند التعارض فى باب العقائد ، والسلف ومن تبعهم من علماء الحديث لما تجنبوا استعمال هذه الطريقة في اثبات الصانع وفى التنزيه ـ لم تعترض لهم هذه الشبهات التى تعوق المتكلمين عن التمسك بالقرآن الكريم فى الصفات من الاثبات دون تأويل •

---

(١) ابو الحسن الأشعرى ص ١٤٢ ـ ١٤٣
(٢) موافقة صريح المعقول جـ ٢ ص ٦٢
(٣) أنظر موافقة صريح المعقول جـ ١ ص ٦٦ بهامش منهاج السنة•
(٤) نفس المصدر جـ ٢ : ص ٦٢

وقد تقدم بيان طريقة القرآن فى التنزيه ، واتماما للفائدة نبين هنا منهج القرآن الكريم فى اثبات الصانع خالق هذا الكون .

فأقول : الناس يختلفون فى طريقهم لاثبات الصانع ، وربوبيته تعالى ، فمنهم من جعل الطريق الى ذلك طريقة الرياضة ، وتهذيب النفوس عن شهواتها بالتجرد ، والانقطاع الى العبادة ، وهذه طريقة الصوفية .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

وأما الصوفية فطرقهم فى النظر ليست طرقا نظرية ـ أعنى مركبة من مقدمات وأقيسة ـ وانما يزعمون ان المعرفة بالله ، وبغيره من الموجودات شيء يلقى فى النفوس عند تجردها من العوارض الشهوانية واقبالها بالفكرة على المطلوب ويحتجون لتصحيح هذا بظواهر من الشرع كثيرة مثل قوله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) ومثل قوله تعالى : (ان تتقوا الله يجعلكم فرقانا) الى اشباه ذلك كثيره يظن أنها عاضدة بهذا المعنى ... الى أن قال : نعم لسنا ننكر أن تكون اماتة الشهوات شرطا فى صحة النظر مثل ما تكون الصحة شرطا فى ذلك ، لا أن اماتة الشهوات هى التى تفيد المعرفة بذاتها ، وان كانت شرطا فيها ، كما أن الصحة شرط فى التعلم وان كانت ليست مفيدة له ومن هذه الجهة دعا الشرع الى هذه الطريقة وحث عليها فى جملتها حثا ، أعنى على العمل لا أنها كافية كما ظن القوم " (١)

ومنهم من جعل الطريق الى اثبات الصانع حدوث الأعراض وتعلقها بالجواهر ، وانقلابها فيها ليستدلوا بذلك على حدوث الأجسام والجواهر وهذه طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وكثير من متأخرى الأشاعرة ، وهى ليست طريقة شرعية ، ولا طريقة فطرية موصلة الى اليقين والعلم (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
(٢) أنظر كتاب " بيان تلبيس الجهمية فى الصفحات التالية : ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

وأما طريقة القرآن لاثبات الصانع وربوبيته تعالى فانها تختلف عن هذه الطرق كلها ، ذلك أن القرآن الكريم سلك لاثبات الصانع مسلكين .

أحدهما الاستدلال بدليل الاختراع ، والابداع وهو الاستدلال على وجود الله تعالى بهذا الكون وما أبدعه الله من سماء ، وأرض ، وسحاب وهواء ، وماء وحيوان ، ونبات فالناظر الى هذا الكون يرى تغيرا من العدم الى الوجود ، ومن الوجود الى العدم ومن الصحة الى المرض ، ومن الغنى الى الفقر ، ومن العز الى الذل وبالعكس، فهذه الأحداث الجارية فى هذا الوجود ، واحدة بعد أخرى بصورة مستمرة ودائمة ، تدل على أن لهذا الكون خالقا مدبرا قادرا يفعل ما شاء وكيف شاء ، فللآيات القرآنية الدالة على هذا النوع كثيرة جدا ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :ـ

يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أردل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير" (١)

الى غير ذلك من الآيات التى لاتحصى .

فالانسان (اذا فكر فى نفسه رآها مدبرة ، وعلى أحوال شتى مصرفة كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحما .

فيعلم أنه لاينقل نفسه من حال النقص الى حال الكمال ، لانه لايقدر أن يحدث فى حال الافضل التى هى حال كمال عقله وبلوغ أشده عضوا من الأعضاء ـ ولا يمكنه أن يزيد فى جوارحه جارحة فيدله ذلك على أنه فى وقت نقصه وأوان ضعفه عن فعل

---

(١) سورة الحج ٥ ـ ٦

ذلك أعجز وقد يرى نفسه شابا ثم كهلا ثم شيخا ، وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة الى حال الشيخوخة والهرم ، ولا اختاره لنفسه ولافى وسعه ان يزيل حال المشيب ، ويراجع قوة الشباب فيعلم بذلك أنه ليس هو الذى فعل هذه الأفعال بنفسه ، وأن له صانعا صنعه وناقلا نقله من حال الى حال ولولا ذلك لم تتبدل أحواله بلا ناقل ولا مدبر " (١) •

الثانى الاستدلال بدليل العناية :

هناك مسلك آخر لاثبات الصانع ذكر فى القرآن الكريم وهو الاستدلال بهذه العناية ، التى يجدها كل من ينظر فى هذا الكون متأملا متدبرا ، اذ يرى هذا الكون يرتبط بعضه ببعض ، ويخضع لسننه الكونية ، ويراه مسخرا لخير الانسان ، ومنفعته وأنه لم يوجد عبثا كما فى قوله تعالى : " وسخر لكم ما فى السماوات ومافى الأرض جميعا منه) (٢) •

فالقرآن الكريم يرشد فى آياته الى المنافع المترتبة على هذه المخلوقات ، ويبين لنا المصالح المترتبة على الخلق ، فينزل المطر لينبت به الزرع ، ويرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته ، والمعلوم أن المخلوقات اذا ارتبطت بمنافع معينه ووجدت لها ، دل ذلك على أن لهذه المخلوقات موجدا مدبرا حكيما •

ومن الآيات القرآنية الدالة على هذا النوع " قوله تعالى : " فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا * فانبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وآبا * متاعا لكم ولأنعامكم * (٣) •

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ص ١٧٨
(٢) الجاثية : ١٣
(٣) سورة عبس : ٢٤ ـ ٣١

وقولـه تعالى :

الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ، ويجعله كسفا ، فترى الودق يخرج من خلالـه فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون" (١)

وقال تعالى :

(ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا * وبنينا فوقكم سبعا شدادا * وجعلنا سراجا وهاجا * وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا * (٢)

وقوله تعالى :

(تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا ، وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد أن يذكر أو أراد شكورا (٣)

وقوله تعالى :

وغير ذلك من الآيات كثير .

---

(١) الروم : ٤٨
(٢) سورة النبأ : ٦ ـ ١٦
(٣) سورة الفرقان : ٦١ ـ ٦٢

ولو أن علماء الكلام ، ومن على رأيهم سلكوا منهج القرآن لاثبات الصانع ، وفى تنزيه الرب سبحانه ، كما فعل السلف وجمهور اهل الحديث ، لأصابوا الحق والسداد فى اثبات الصفات ، ولكن خاضوا فى مسألة حدوث الجواهر ، والأعراض فجرهم ذلك الى نفى الصفات وتأويل آياتها [1] ومهما تعددت الشبهات التى يتعلق بها النفاة يرجع حاصلها الى شيء واحد ، وهو القول : (ان اثبات الصفات على مقتضى ظواهر النصوص من الكتاب والسنة يؤدى الى التشبيه والتجسيم) غير ان المثبتين للصفات أجابوا عن ذلك قائلين : (ان كان اثبات الصفات تجسيما كما يزعمون فان ذلك يلزمهم أيضا فيما أثبتوه له تعالى لأن جميع من نفى الصفات عن الله ، لابد ان يثبت شيئا يلزمه فيما أثبته نظير ما ألزمه غيره فيما نفاه بيان ذلك أن يقال : ان كان اثبات الصفات الخبرية كاليد والعين ، والاستواء يلزم منه التشبيه والتجسيم كذلك اثبات صفة الحياة والقدرة والعلم والسمع والبصر التى يثبتها كثير من المتكلمين يلزم منه التشبيه والتجسيم).

فان قيل ان اثبات صفة اليد والعين والقدم وما الى ذلك من الصفات الخبرية يستلزم التشبيه والتجسيم (لانه لا يعقل ماهو كذلك الا الجسم قال له المثبت ، لا .. يعقل ماله حياة ، وعلم وقدرة ، وسمع وبصر وكلام وارادة الا ماهو جسم فاذا جاز لك أن تثبت هذه الصفات وتقول الموصوف بها ليس بجسم جاز لى (مثل ذلك من اثبات الصفات) مع ان الموصوف بها ليس بجسم فان قيل ان هذا معان وتلك أبعاض قيل له : الرضا والغضب والحب والبغض معان ، واليد والوجه وان كان بعضا فالسمع والبصر ، والكلام أعراض لا تقوم الا بجسم فان جاز لك اثبات هذه ، على أنها ليست أعراضا ومحلها ليس بجسم جاز لى اثبات هذه مع أنها ليست أبعاضا ، فان قال نافى الصفات أنا لا أثبت شيئا منها ، قيل له أنت تثبت الأسماء فتقول : حي عليم قدير ولا تعقل حيا عليما قديرا الا جسما ، فاذا جاز أن تثبت مسمى بهذه الاسماء ، ليس بجسم مع أن هذا ليس معقولا لك جاز لى أن أثبت موصوفا بهذه

---

[1] وذلك لأن جميع الشبهات التى يتعلق بها المؤولون كان منشؤها عن هذه الطريقة أعنى طريقة حدوث الاجسام.

الصفات ، وان كان هذا غير معقول لى ، فان قال الملحد : أنا أنفى الأسماء والصفات قيل له : اما أن تقر بأن هذا العالم المشهود مفعول مصنوع له صانع ، أو تقول انه قديم أزلى واجب الوجود لنفسه غني عن الصانع فان قلت بالاول ، فصانعه ان قلت هو جسم وقعت فيما نفيته ، وان قلت ليس بجسم فقد أثبت فاعلا صانعا للعالم ليس بجسم ، وهذا لا يعقل فى الشاهد ، فاذا أثبت خالقا فاعلا ليس بجسم وأنت لا تعرف فاعلا الا جسما كان لمنازعك أن يقول هو حي عليم ليس بجسم وان كان لا يعرف حيا ، عليما ، الا جسما ، بل لزمك أن تثبت له من الصفات والأسماء ما يناسبه (١) .

" فاذا تأول المتأول ، المحبة والرحمة والرضى والغضب بالارادة قيل له : يلزمك فى الارادة ما لزمك فى هذه الصفات (٢) واذا تأول الوجه بالذات لزمه فى الذات ما لزمه فى الوجه .

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١ ص ٩٢ — ٩٤ .

(٢) وذلك لأن نفاة الصفات يقولون : " ان الرحمة رقة تعترى طبيعة الحيوان والمحبة ميل النفس لجلب ماينفعها والغضب غليان دم القلب لورود مايرد عليه (فيجب تنزيه الرب عن هذه المعانى قيل لهم فى الجواب) . وكذلك الارادة هي ميل النفس الى جلب ماينفعها ودفع مايضرها وكذلك جميع ما (أثبتم) من الصفات انما هي أعراض قائمة بالاجسام فى الشاهد ، فان العلم انطباع صورة المعلوم فى نفس العالم ، أو صفة عرضية قائمة به وكذلك السمع والبصر والحياة أعراض قائمة بالموصوف فكيف لزم التشبيه والتجسيم من اثبات ذلك الصفات ولم يلزم من اثبات هذه فان قلت أنا أثبتها على وجه لا يماثل صفات المخلوقين قيل لك فهلا أثبت الجميع على وجه لا يماثل صفات المخلوقين ؟

فان قلت هذا لا يعقل قيل لك فكيف عقلت سمعا وبصرا وحياة وارادة ومشيئة ليست من جنس صفات المخلوقين فان قلت : أنا أفرق بين مايتأول ومالا يتأول بأن ما دل العقل على ثبوته يمتنع تأويله كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر ومالا يدل عليه العقل يجب أو يسوغ تأويله كاليد والوجه والضحك والفرح والغضب والرضى فان الفعل المحكم دل على قدرة الفاعل واحكامه دل على علمه والتخصيص دل على الارادة فيمتنع مخالفة مادل عليه صريح العقل . قيل لك وكذلك الانعام والاحسان

....

وكشف الضر وتفريج الكربات دل على الرحمة كدلالة التخصيص على الارادة سـواء ، والتخصيص بالكرامة والاصطفاء والاختيار دال على المحبـة كدلالة ما ذكرت على الارادة والاهانـة والطرد والابعاد والحرمان ، دال على المقت والبغض كدلالـة ضده على الرضا والحـب ، والعقوبة والبطـش والانتقام دال على الغضـب، كدلالة ضده على الرضـى .

ذكره ابن قيم الجوزية فى كتابه " مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١٧ .

فان لفظ الذات يقع على القديم والمحدث فاذا تأول لفظ اليد بالقدرة فالقدرة يوصف بها الخالق والمخلوق ، واذا تأول السمع والبصر بالعلم لزمه مافر منه في العلم واذا تأول الفوقية بفوقية القهر لزمه فيها مافر منه من فوقية الذات فان القاهر من اتصف بالقوة والغلبة ولا يعقل هذا الا جسما ، فان أثبته العقل غير جسم لم يعجز عن اثبات فوقية الذات لغير جسم ، وكذلك من تأول الاصبع بالقدرة .. فان القدرة أيضا صفة قائمة بالموصوف وعرض من اعراضه ففر من صفة الى صفة . وكذلك من تأول الضحك بالرضى والرضى بالارادة انما فر من صفة الى صفة فهلا أقر النصوص على ماهي عليه ولم ينتهك حرمتها فان المتأول اما ان يذكر معنى ثبوتيا أو يتأول اللفظ بما هو عدم محض فان تأوله بمعنى ثبوتى كائن ماكان لزمه فيه نظير مافر منه (١) .

حاصل الكلام ان المذهب الصحيح الذى نؤيد ونعتقد صحته هو ماذهب اليه السلف وجمهور أهل الحديث من اثبات الصفات الخبرية له تعالى على الحقيقة دون دعوى المجاز والاستعارة ، لأنه هو الذى تؤيده الادلة العقلية والنقلية دون ماعداه من المذاهب ولولم يكن مع المثبتين سوى أدلة من الكتاب والسنة لكفاهم دليلا .

وأما المؤولون فلم نجد عندهم مايؤيد مذهبهم سوى أدلة عقلية ظنوها صحيحة وليست صحيحة فى الواقع وذلك لأنّ مدار هؤلاء (النفاة) على أن العقل عارض مادلت عليه النصوص وقد بين أهل الاثبات ان العقل مطابق موافق لما أخبرت به النصوص لا معارض له (٢) .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٠

(٢) موافقة صريح المعقول جـ ٢ ص ٧٩ .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

" ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء (النفاة) أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب مايدعى الآخر أن العقل أحاله ياليت شعرى بأى عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضي الله عن الامام مالك بن أنس حيث قال : أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

فالواجب علينا وعلى الأمة الاسلامية التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وماكان عليه سلف هذه الأمة فى جميع المجالات فى باب الصفات الالهية وغيرها ، وترك المذاهب المخالفة للكتاب والسنة ، وفقنا الله جميعا العمل بما فى الكتاب والسنة انه ولى التوفيق .

---

(١) الحموية الكبرى ص ٢٣ .

الخاتمة

" خاتمة الرســـــالة "

وحيث ان هذه الرسالة بينت مذهب المؤولين والمثبتين للصفات الخبرية وأدلة كل من الفريقين — نسجل فيما يلــى أهم النتائج التى توصلنا اليها فى هــــذا المبحــث وهى كما يلى :

١) عرفنا أن الأصل فى الصفات الالهية اثبات جميع ما أثبته الله لنفسه ، وأثبته له رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ونفي جميع مالايليق بعظمة الله تعالى من غــير تعطيل وأول من أظهر القول بنفي الصفات "الجعد بن درهم" وتلميــذه "جهم بن صفوان الترمذى" ، فكان الناس بين مثبت للصفات ونفاة لهـــا حتى كانت الكلابية ، ثم الاشاعرة فنفوا البعـــض ، وأثبتوا البعض ، فقـــد نفوا قيام الافعال به عز وجل وفى الصفات الخبرية ، اما أن يفوضوا أو يؤولـــوا .

٢) العقل الصريح لايخالف النقل الصحيح ، وماخالف ليس أصلا للنقل ولذلـــك ظهر بطلان قول من يقول بوجوب تقديم العقل على النقل بدعوى ان العقـــل أصل للنقل فى اثبات الصانع وصدق الرسالة .

٣) قول كثير من المتأخرين : نصوص الكتاب والسنة لاتفيد القطع واليقين فى حالـــة من الأحوال ، كلام لا أساس له من الصحة .

٤) الاشتراك فى المعنى العام للفظ لايلزم منه تماثل المسميين واتحادهما عنـــد التجريد عن الاضافة ، وهو الاطلاق ، اذ هذا المعنى العام لا وجود لـــه ، الا فى الذهن كما لايلزم تماثلهما فى حالة الاضافة والاختصاص فضلا عن اتحادهما فى هذه الحالة (١) فذلك ينفى بطريق الاولى فلاتماثل فى حالة الاطلاق ، وفى حالة الاضافة بين المسميين ، وانما يحصل الاشتراك بينهما فى المعنى العـــام الذهنى عند الاطلاق والاشتراك فى المعنى العام لايؤدى الى التشبيه ، لأن مابه الاشتراك غير مابه الاختصاص ومن هنا يعلم ان اثبات أسماء الله الحســـنى

---

(١) أعنى فى حالة الاطلاق والقطع عن الاضافـــة .

وصفاته العليا لا يؤدى الى التشبيه فليست يده كأيدينا ونزوله كنزولنا وهكذا فى جميع الصفات .

٥) التأويل الذى جاء فى الكتاب والسنة يراد به التأويل بمعناه اللغوى وهذا الذى يعرفه السلف ، وأما التأويل بالمعنى الاصطلاحى فغير مراد فى الكتاب العزيز فى جميع المواضع التى جاء بها ذكر كلمة " التأويل " بما فى ذلك آية آل عمران .

٦) فى حالة الوقف على لفظ الجلالة فى آية " آل عمران " يراد بالمتشابه المتشابه الحقيقى الذى لا يعلم حقيقته أحد الا الله ، وفى حالة الوصل والوقف على "والراسخون فى العلم " يراد بالمتشابه المتشابه الاضافى ، وبذلك توصلنا الى خطأ من يجعل التأويل فى الآية فى حالة الوقف على لفظ الجلالة بمعنى التفسير ، لأن ذلك يعنى أن المخلوق بما فى ذلك الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعامة السلف ، لا يعرفون معنى المتشابه أصلا فقد رأينا أن ذلك غير صحيح ، كما أننا توصلنا الى خطأ المتكلمين الذين زعموا أن التأويل فى الآية هو بالمعنى الاصطلاحى فى حالة الوقف على " والراسخون فى العلم " وقد تقدم أن بينا أن التأويل بالمعنى الاصطلاحى لم يرد فى أى موضع من القرآن الكريم .

٧) لما رأى كثير من المتكلمين ، أن المتشابه ما خالف العقل وان المحكم ما وافقه فرجعوا فى معرفة المحكم والمتشابه الى عقولهم اختلفوا فى المتشابه حسب ما أدت اليه عقولهم ، فقد نجد المتشابه عند بعض غير المتشابه عند الآخرين .

٨) الراسخون فى العلم يعلمون ما تشابه من القرآن فيعرفون معناه ، وان خفى على غيرهم ومع ذلك لا يعرفون حقائق المتشابهات وكيفيتها باتفاق من أهل العلم ، لأن ذلك هو التأويل المعنى فى " آل عمران " عند الوقف على لفظ الجلالة (الا الله) كما تقدم .

٩) لا يصح قول من يزعم ان المثبتين للصفات الخبرية من المحدثين وقعوا في التشبيه والتجسيم وظن أنهم خالفوا بذلك مذهب السلف ، في التفويض بالمعنى الذى هو خلاف الظاهر فالسلف ليسوا مفوضين بالنسبة الى العلم بمدلولات النصوص ، وان كانوا مفوضين في معرفة الحقيقة والكيفية وقد مر بنا بيان أن ظواهر النصوص لا يفهم منها التشبيه ، ومن فهم ذلك منها فهو لقصور فهمه لا لأن ذلك مدلول كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

١٠) التأويل الصحيح هو الذى يوافق ماجاء في الكتاب والسنة ويعلم به مراد المتكلم من كلامه ، وماخالف ذلك فهو تأويل باطل ومن هذا القبيل جميع التأويلات الجهمية ومن نحا نحوهم ، اذ كل تأويل لا يدل عليه دليل من السياق ولا قرينة معينة لا يقصده الهادى المبين لكلامه اذ لو قصده لحف به القرائن التى تدل على المعنى المخالف للظاهر حتى لا يوقع في اللبس والخطأ .

١١) قياس الغائب على الشاهد أوقع المشبهة في التشبيه ، كما أوقع المؤولة في التأويل فقد شبهوا أولا ثم أولوا ثانيا .

١٢) حقيقة مذهب السلف اثبات بلا تشبيه وتنزيه بدون تعطيل على ضوء ماترشدنا اليه الآية الكريمة (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فهو وسط بين المذاهب الثلاثة " التشبيه الذى وقع فيه المشبهة والتأويل الذى جر اليه التعطيل ، والتفويض بالمعنى الذى أراده المتكلمون " .

١٣) احتج المثبتون للصفات بأدلة من الكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة بينما النفاة يعولون فيما يثبتون وفيما ينفون عن الله على أدلة عقلية وان كانوا يذكرون احيانا بعض النصوص دليلا لهم على نفي الصفات ، وتأويل آياتها مثل قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، وقوله عز وجل (ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) كان هذا الاستدلال في

الواقع لتأييد مادل عليه العقل عندهم لا لأن النصوص هي المعول عليها في الاستدلال وقد تقدم بيان أن ذلك لايكون لهم دليلا في الواقع وان ظنوا دليلا فالاستدلال بالآية الاولى على نفي الصفات خطأ نجم عن عدم تمييزهم بين ما يستلزم اثباته التشبيه وبينما لايستلزم ذلك .

وبالنسبة للآية الثانية انما تسرب الخطأ اليهم من جهة عدم تمييزهم بين التأويل المراد في الآية وبين التأويل الاصطلاحي ونسيانهم المعنى الاصلي للتأويل في اللغة ، وفي الكتاب والسنة حتى ظنوا ان التأويل المذكور في الآية هو نفس التأويل المعروف عندهم .

١٤) رأينا أن الشبهة الأساسية للمانعين لقيام الصفات الاختيارية به تعالى زعمهم ان اثباتها يؤدي الى تسلسل الحوادث في الماضي وذلك مستحيل قالوا : ذلك دون تفصيل بين التسلسل الممنوع وهو التسلسل في العلل ، وبين التسلسل الممكن الذي لا مانع منه شرعا وعقلا وقد بحثنا حجة المانعين فلم نجد عندهم دليلا عقليا أو نقليا يمنع من تسلسل نوع الحوادث مع موافقتنا لهم في امتناع دوام كل فرد من أفراد الحوادث ، وقد تقدم أن بيّنا أن .. هذا هو مذهب جمهور السلف وأئمة الحديث والفلاسفة ، بل هو الواجب بالنسبة لأفعال الله تعالى . فالفعل من لوازم الحياة ، فالله تعالى مازال فاعلا متكلما متى شاء وكيف شاء ، وبالاضافة الى هذا فاننا نجد أدلة من الكتاب والسنة تثبت قيام الصفات الاختيارية به تعالى .

١٥) عقدنا الموازنة بين مذهب جمهور الاشاعرة وبين ماذهب اليه أبو الحسن الاشعري وقدماء أصحابه فوجدنا المخالفة بين المذهبين ، فالقدماء يثبتون ولا يؤولون ، والجمهور مؤولون ، وان كان يوجد فيهم من يفوض . والفرق بين التأويل والاثبات واضح . نعم الجميع متفقون على منع قيام الصفات

الاختيارية بذاته تعالى :

١٦) يرى بعض الاشاعرة ان أبا الحسن الأشعرى له قولان فى الصفات الخبرية "الاثبات والتأويل" ، ولكن أبا العباس ابن تيمية وابن قيم الجوزية لايقبلان ذلك ، بل يقرران ان مذهبه اثبات الصفات دون تأويل ولا تفويض بالمعنى الذى فهمه أصحابه .

١٧) يترجح عندنا أن كتاب "الابانة" لأبى الحسن الاشعرى هو آخر مؤلفات أبى الحسن الأشعرى بعد رجوعه الى مذهب أهل السنة ولا تناقض بين ماذكره الأشعرى فى "الابانة" وبينما ذكره فى كتابه "اللمع" خلافا لمن يرى ذلك .

١٨) تحدثنا عن مذهب النفاة فوجدنا أن الذى دفعهم الى نفي الصفات ظنهم ان اثبات الصفات لله تعالى يؤدى الى التشبيه والتركيب والتحيز ونحو ذلك مما هو من خواص الأجسام والأعراض مع أن اثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله لايلزم منه شيئ مما ذكر ولكن علماء الكلام ظنوا لزوم ذلك فأولوا نصوص الصفات الخبرية ونفوا قيام الصفات به تعالى .

١٩) الألفاظ المجملة التى فيها حق وباطل يمنع من اطلاقها نفيا واثباتا ، فان اطلق لابد من بيان ما أريد منها وان كان المراد باطلا رد ، وان كان حقا قبل ، وان اشتمل كلام المتكلم بها على حق وباطل لم يرد كله ، ولم يقبل كله بل يقبل مافيه من الحق ويرد مافيه من الباطل ، فالحق لايترك بسوء التعبير عنه والواجب استعمال الألفاظ الشرعية التى لاتحتمل معنى باطلا .

٢٠) رجحنا مذهب السلف ، وبيّنا ان الواجب الذى يلزم كل مسلم أن يكون على ماكان عليه السلف دون ماعداه من المذاهب المخالفة والسبب فى ترجيحنا لمذهب السلف ماتقدم بيانه من أدلة الكتاب والسنة فى اثبات الصفات له تعالى وان اثباتها له تعالى لايؤدى الى تشبيه ولا تركيب ونحو ذلك مما نفوا لأجله قيام الصفات به ، أو ثبوت الصفات الخبرية له فلا مجال حينئذ للتأويل

وهو حينئذ تحريف للكلام عن مواضعه وتعطيل للفظ عن مدلوله .

ومن جانب آخر رأينا المؤولين والمشبهين انما يعتمدون غالبا فيما ينفونه عن الله ، وفيما يثبتون له على الأدلة العقلية التي ظنوا أنها أقوى من الدليل النقلي اذ رأوا أن الألفاظ لا تفيد اليقين بمدلولها ، وقد فندنا حجتهم هذه ، وبينا أن الواجب خلاف ماذهبوا اليه فيجب تقديم النقل على العقل واتباع منهج الكتاب والسنة ومادرج عليه سلف الأمة والدين الاسلامي لا يسمح لنا أن نقدم آراء الرجال المعارضة للنقل على الوحي الالهي مهما بلغ صاحب الرأي من الرتبة والشهرة عند الناس . . اذ هذه الآراء المخالفة ليست على شيء من الحق عند النظر الصحيح فلا يتحقق الاسلام والايمان الا بالتسليم لما جاء من عند الله "(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[1] .

اذ لو تركنا الوحي وتتبعنا آراء الرجال كما فعل بعض المتكلمين لكان ذلك عزلا للقرآن والسنة المطهرة عن الهداية ، اذ تؤول النصوص حينئذ بما يطابق هذه الآراء أو يكون الايمان بمجرد ورود اللفظ عن الله تعالى ولكان ذلك سببا للتفرق والاختلاف في الدين ، اذ العقل يختلف من شخص لآخر وكل يدعي صحة ماوصل اليه بعقله وواقع المتكلمين الذين عولوا على العقل أولا ، والتمسوا الهدى في غير كتاب الله يرينا الى أي حد كان التفرق والحيرة في نهاية المطاف ويصرح بعضهم بذلك كالشهرستاني والآمدي وأبي المعالي الجويني .

وقد كمل الله هذا الدين وشهد بذلك عز وجل ومن أصدق من الله قيلا (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على أشرف المرسلين وخاتم رسله نبينا محمد الذي بيّن الحق وأقام الحجة ودمغ الباطل .

---

(١) سورة النساء ٦٥ .

" مصادر ومراجع الرسالة "

حرف " الألف "

- القرآن الكريم

أبو العباس بن أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية المولود سنة ٦٦١ هـ والمتوفى سنة ٧٢٨ هـ.

- الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله ضمن الرسالة الحموية الكبرى الطبعة السادسة تحقيق عبد الرزاق – مطبعة المدني بالقاهرة ؛
- تفسير سورة الاخلاص ، تصحيح طه يوسف شاهين – من مكتبة الأنصار السنة المحمدية .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام الطبعة الاولى – مطابع الرياض .
- منهاج السنة النبوية نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض المملكة العربية السعودية .
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – الطبعة الاولى سنة ١٣٩١ هـ.
- شرح حديث النزول – منشورات – المكتب الاسلامي .
- موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، بهامش منهاج السنة النبوية .
- رسالة / في الكلام على الفطرة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى .
- مقدمة في أصول التفسير – مطبعة السلفية – الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥ هـ.
- رسالة " الاكليل " ضمن مجموعة الرسائل الكبرى – مطبعة محمد صبيح وأولاده بميدان الأزهر .
- الرسالة الحموية الكبرى .
- رسالة الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى .
- رسالة في حروف القرآن ، وأصواتنا به ضمن شذرات البلاتين .
- شرح العقيدة الاصفهانية ضمن مجموعة فتاوى شيخ الاسلام – مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٩ هـ .

ابن قيم – أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية .

- اعلام الموقعين – تحقيق محي الدين عبد الحميد .
- مختصر الصواعق المرسلة تصحيح زكريا على يوسف – مطبعة الامام .
- القصيدة النونية بشرح محمد خليل هراس – مطبعة الامام .
- اجتماع الجيوش الاسلامية على غزوى المعطلة والجهمية – نشر زكريا يوسف – مطبعة الامام .

اسماعيل بن كثير القرشي المعروف بابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.

- تفسير القرآن الكريم ط دار احياء الكتب العربية .

- البداية والنهاية - الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦م .

أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوى الشهير بابن فارس .
- مقاييس اللغة - الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ.

ابراهيم البيجورى
- حاشية الشيخ ابراهيم البيجورى على متن السنوسية - مطبعة دار احياء الكتب العربية .

أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى المعروف بابن حجر.
فتح البارى بشرح البخارى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

أحمد بن محمد الصاوى المالكـــى .
- حاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية - مطبعة الاستقامة .

ابراهيم بن موسى ابو اسحاق المعروف بالشاطبى .
- الموافقات فى أصول الأحكام - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- الاعتصام - الناشـــر مكتبة التجارية الكبرى .

أحمد رضا - عضو المجمع العربى بدمشق .
- معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة دار مكتبة الحياة - بيروت ١٣٧٧ - ١٩٥٨م .

أبو عثمان بن سعيد الدارمى المولود سنة ٢٠٠هـ والمتوفى سنة ٢٨٠هـ .
- الرد على الجهميـــة .

أبو عبد الله امام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيبانى .
- الرد على الجهمية والزنادقة - مطبعة غيسى البابلى الحلبى .
- كتاب السنة طبع مع كتاب (الرد على الجهميـــة) . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصـــر.

الأنبابـــــــى .
التقرير بهامش حاشية البيجورى .

أبو الفرج عبد الرحمن الأنصارى المعروف بابن الحنبلى .
- رسالة استخراج الجدال من القرآن الكريم ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

أحمد بن الحسينى بن على أبو بكر الحافظ البيهقـــى .
- الأسماء والصفات - دار التراث العربى - بيروت لبنان .

ابراهيم البيجورى

- تحفة المريد على جوهرة التوحيد - الطبعة الأخيرة - مطبعة الحلبى .

أبو منصور محمد بن أحمد الأزهـرى .

- تهذيب اللغة تحقيق الاستاذ ابراهيم الأبيارى دار الكاتب العربى سنة ١٩٦٧م.

أبو الثناء شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الاصفهانى

- مطالع الأنظار - شرح طوالع الأنوار

المولى مصلح الدين مصطفى الكتلـى .

- حاشية على شرح العقائد النسـبية .

الهيئة المصريـة العامة للتأليف والنشـر

- معجم ألفاظ القرآن طبع عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

ابن منظـور

- لسان العرب ط بيروت سنة ١٩٥٦م - ١٣٧٥هـ.

(حرف " الباء ")

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشـى

- البرهان فى علوم القرآن - الطبعة الاولى .

(حرف " الجيم ")

الجويـنى والد امام الحرمين أبو محمد عبد الله بن يوسف .

- رسالة فى اثبات الاستواء والفوقيـة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

(حرف " الحاء ")

حماد الانصـارى ، وهو الشيخ حماد الانصارى المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

- أبو الحسن الاشعرى - الطبعة الثالثة مؤسسة النور للطباعة والنشر سنة ٢٤/١١/١٣٩٠هـ

حمودة غرابة (وهو الدكتور " حمودة غرابة/) مدير المركز الثقافى الاسلامى بلندن .

أبـو الحسن الأشـعرى

- مقدمة كتـاب " اللمع " لأبى الحسن الاشعرى .

(حرف " السين ")

سليمان بن الأشعث بن اسحاق المعروف بأبي داود :

- سنن أبي داود بتعليق محي الدين عبدالحميد .

(حرف " الشين ")

شهاب الدين احمد الخفاجي المصري .

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . الطبعة الاولى مطبعة المنيرية بالأزهر . ١٣٧١هـ تصحيح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي .

(حرف " الصاد ")

الصابوني الامام المحدث أبو عثمان الصابوني

- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧هـ .

- تفسير فتح البيان طبع بمطبعة العاصمة بالقاهرة سنة ١٩٦٥م .

(حرف " العين ")

على بن محمد المعروف بالسيد الشريف الجرجاني

- كتاب التعريفات - نشر الدار التونسية

- حاشية مطالع الانظار

- شرح المواقف للجرجاني .

على بن محمد المعروف بسيف الدين الآمدي

- غاية المرام في علم الكلام تحقيق حسن محمود عبداللطيف .

على بن أحمد بن حزم الاندلسي الظاهري أبو محمد المشهور بابن حزم .

- الفصل في الملل والاهواء والنحل . الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت

عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المعروف بالموفق بن قدامة .

- روضة الناظر وجنة المناظر .

عبدالله بن عمر بن محمد بن على المعروف بالقاضي البيضاوي .

- طوالع الأنوار .

عبدالرحمن بن الكمال بن أحمد الأسيوطي الشافعي الشهير بالسيوطي .

- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ضمن مجموعة المنيرية .

- الاتقان فى علوم القرآن ـ مطبعة حجازى بالقاهرة .
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور بدون تاريخ .

عبد الرحمن الوكيل ـ رئيس أنصار السنة المحمدية .
- الصفات الالهية بين السلف والخلف ـ نشر مكتبة السنة المحمدية .

على بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم المعروف بأبى الحسن الاشعرى المتكلم صاحب الكتب والتصانيف ولد الامام أبو الحسن الاشعرى عام ٢٦٠ هـ على ما يذكر معظم المؤرخين .
- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ـ طبع بمطبعة النهضة المصرية تحقيق محي الدين عبد الحميد .
- كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع تصحيح وتعليق الدكتور / حمودة غرابة مطبعة مصرية شركة مساهمة مصرية ٩٥٥
- كتاب الابانة عن أصول الديانة . تحقيق وتعليق ادارة الطباعة المنيرية .

عبد الرحمن بن عثمان
- مقدمة كتاب " العلو للعلى الغفار " مطبعة العاصمة .

عبد الملك بن الشيخ أبى عبد الله بن أبى يعقوب المعروف بامام الحرمين توفي سنة ٤٧٨ هـ .
- الشامل فى أصول الدين طبع بشركة الاسكندرية للطباعة والنشر ١٩٦٦م .
- الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد تحقيق الدكتورين محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد ـ مكتبة الخانجى .

على المصطفى الغرابى
- تاريخ الفرق الاسلامية ـ مطبعة محمد صبح وأولاده .

عبد العزيز المحمد السلمان المدرس فى معهد الامام الدعوة بالرياض .
- الكواشف الجليلة عن معانى الواسطية ـ الطبعة الثالثة

عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز
- العقيدة الاسلامية بين التأويل والتفويض ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ـ جامعة الازهر عام ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٤ م .

على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقى المتوفى سنة ٥٧١ هـ .
- تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الاشعرى ـ مطبعة التوفيق دمشق سنة ١٣٤٧ هـ .

عبد العزيز المحمد السلمان المدرس فى معهد امام الدعوة بالرياض .
- الأسئلة والأجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م

عوض الله جاد حجازى ومحمد عبد الستار احمد نصار .
- العقيدة الاسلامية والاخلاق ـ الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ .

عبدالرحمن بن خلدون الفيلسوف المؤرخ .

- مقدمة ابن خلدون

- التقرير على مقدمة ابن خلدون

عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبى شامة الشافعى المولود سنة ٥٩٦هـ المتوفى سنة ٦٦٥هـ .

- مختصر كتاب المؤمل للرد الى الأمر الأول ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

(حرف " الفاء ")

فالح بن مهدى آل مهدى

- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية - الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ .

فخر الدين الرازى

- التفسير الكبير للرازى - الطبعة الاولى - مطبعة الهيئة المصرية سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .

- الاربعين فى اصول الدين - الطبعة الاولى مجلس دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر أباد سنة ١٣٥٣هـ .

- اساس التقديس ضمن كتاب " بيان تلبيس الجهمية - الطبعة الاولى ١٣٩١هـ .

(حرف " القاف ")

قاضى عبدالجبار أبو الحسن عبدالجبار أحمد بن الخليل بن عبدالله الهمذانى .

- شرح الاصول الخمسة - تعليق احمد بن الحسين بن أبى هاشم ، حققه وقدم له الدكتور / عبدالكريم عثمان - الطبعة الاولى عام ١٣٨٤هـ .

- المحيط بالتكليف .. المطبعة الكاثوليكية - بيروت

(حرف " الميم ")

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى أبو الحسين ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفى سنة ٢٦١ هـ .

- صحيح مسلم طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر .

محمود بن عبدالله الحسينى شهاب الدين وشهرته الالوسى الكبير .

- تفسير روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم - ادارة الطباعة المنيرية .

محمود بن عمرو الزمخشرى جار الله

- تفسير الكشاف ط مصطفى البابى الحلبى .

مسعود بن عمر بن عبدالله المعروف بسعد الدين التفتازانى

- شرح التفتازانى على متن العقائد النسفية .

- شرح مقاصد الطالبين فى علم اصول اعتقاد الدين - مطبعة الحاج محرم افندى البغوى سنة ١٣٠٥هـ

محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الملقب بمرتضى الزبيدى .

- تاج العروس من جواهر القاموس بدون تاريخ .

محمد بن محمد بن محمد الغزالى أبو حامد

- الاقتصاد فى الاعتقاد الطبعة الاولى طبع بالمطبعة الأدبية بمصر بسوق الخضار القديم .

محمد رشيد بن على رضا بن محمد صاحب مجلة المنار

- تفسير المنار المسمى ، تفسير القرآن الحكيم - الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٩-١٩٦٠م

..... التعليق على رسالة التوحيد للامام محمد عبده .

محمد على بن محمد الشوكانى ثم الصنعانى ولد سنة ١١٧٣هـ . وتوفى سنة ١٢٥٠هـ

- فتح القدير - التفسير .

- ارشاد الفحول الطبعة الاولى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

- التحف فى مذهب السلف ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

محمد بن جرير بن يزيد الطبرى أبو جعفر .

- تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل القرآن) الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م . مصطفى البابى الحلبى .

محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى ولد ببخارى سنة ١٩٤هـ وتوفى سنة ٢٥٦هـ

- صحيح البخارى ، الناشر مكتبة الجمهورية العربية .

- خلق أفعال العباد - مطبعة النهضة الحديثة .

محمد الامين محمد المختار الجكنى الشنقيطى

- أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن - مطبعة المدنى على صبح المدنى .

- مذكرة فى اصول الفقه من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

- محاضرة الشيخ محمد الامين الشنقيطى .

المبارك بن محمد بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير .

- النهاية فى غريب الحديث والأثر - دار الكتب العربية تحقيق طاهر احمد الرازى و.. ومحمود محمد الطناحى .

محمد أبو زهرة

- ابن تيمية حياته وعصره - دار الفكر العربى .

محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبدالله الذهبى

- العلو للعلى الغفار تقديم وتصحيح عبدالرحمن محمد عثمان - الطبعة الثانية مطبعة العاصمة

محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمى الذى ولد فى العونية من أعمال نجد المولود سنة ١١١٥هـ المتوفى سنة ١٢٠٦هـ .

- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/لبنان

محمد بن عبدالرحمن بن قاسم

- مقدمة كتاب نقض تأسيس الجهمية - الطبعة الاولى .

محمد خليل هـــــراس

- شرح القصيدة النونيـــة - مطبعة الامام .
- كتاب دعوة التوحيد -
- التعليق على كتاب التوحيد لابن خزيمة لمحمد خليل هراس .

محمد شاكر بن أحمـــد

- فوات الوفيـــات .

محمد عبدالرحمن بن قاســـم .

- التقرير بهامش كتاب " بيان تلبيس الجهمية " .

محمد بن الطيب بن الباقلانى

- التمهيد - المكتبة الشرقية - بيروت / سنة ١٩٥٧م .

محمد يوسف السنوســـى

- شرح أم البراهين بهامش حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين .

محمد بن احمد الدسوقى

- حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين - الطبعة الاخيرة .

محمد بن عبـــده

- حاشية على شرح الجلال الدوانى على العقائد العضدية - الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢هـ.
- رسالة الامام محمد عبده - الطبعة السابعة عشرة سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح المعروف بالشهرستانى

- الملل والنحل تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل - الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
- نهاية الاقدام الى علم الكلام

محمد عبدالعظيم الزرقانـــى

- مناهل العرفان - دار احياء التراث العربى - بيروت / لبنان - عيسى البابى الحلبى - تصحيح " فرجوم ".

محمد السفارينى الحنبلى

- شرح العقيدة السفارينى - الطبعة الاولى - مطبعة مجلة المنار الاسلامية بمصـــر .

محمد السيد الجليند

- الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل - طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

محمود شكر الالوسي - المولود عام ١٢٧٣هـ المتوفى عام ١٣٤٢ .

- غاية الأماني في الرد على النبهاني - الطبعة الثانية عام ١٣٩١هـ.

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى سنة ٦٦٦ هـ .

- مختار الصحاح - الطبعة الاولى سنة ١٩٦٧م.

محمد بن اسحاق بن خزيمة.

- كتاب التوحيد واثبات صفات الرب - تحقيق وتعليق الدكتور / محمد خليل هراس - نشر مكتبة الكليات بالأزهر.

محمد فؤاد عبد الباقي

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - دار احياء التراث العربي - بيروت / لبنان .

(حرف " النون ")

ناصر الدين الألباني

- رسالة وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة .
- التعليق على شرح العقيدة الطحاوية .

(حرف " الياء ")

يحيى بن شرف محي الدين أبو زكريا النووي.

- شرح النووي على صحيح مسلم بدون تاريخ .
- جمع الجوامع بهامش حاشية البناني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع بدون تاريخ .
- شرح العقيدة الطحاوية - الطبعة الثالثة منشورات المكتب الاسلامي بدمشق .
- القاموس المحيط - الطبعة الثالثة سنة ١٣٧١هـ.